barcode | page back

BOBST LIBRARY
3 1142 02886 0248

*(فهرست الجزء الاول من كتاب مطالع البدور فى منازل السرور
تأليف الشيخ الاديب والفاضل الاريب علاء الدين على
ابن عبد الله البهائى الغزولى)*

صحيفة

٨ الباب الاول فى تخير المكان المتخذ للبنيان
١٠ الباب الثانى فى احكام وضعه وسعة بنائه و بقاء الشرف والذكر ببقائه
١٣ الباب الثالث فى اختيار الجار والصبر على اذاه وحسن الجوار
١٧ الباب الرابع فى الباب
٢٣ الباب الخامس فى ذم الحجاب
٢٩ الباب السادس فى الخدم والدهليز
٣٥ الباب السابع فى البركة والفوارة والدواليب وما فيهن من كلام وجيز
٤٥ الباب الثامن فى الباذهنج وترتيبه
٤٩ الباب التاسع فى النسيم ولطافة هبوبه
٥٨ الباب العاشر فى الفرش والمساند والارائك
٦٢ الباب الحادى عشر فى الاراييج الطيبة والمروحة وما شاكل ذلك
٦٦ الباب الثانى عشر فى الطيور المسمعه
٧٥ الباب الثالث عشر فى الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعه
٨١ الباب الرابع عشر فى الشمعة والفانوس والسراج
٩٣ الباب الخامس عشر فى الخضراوات والرياحين
١١٣ الباب السادس عشر فى الروضات والبساتين
١٢٨ الباب السابع عشر فى آنية الراح
١٣٧ الباب الثامن عشر فيما يستجلب بها الافراح وهو خمسة فصول
١٣٨ الفصل الاول قال كسرى الفيد صابون الهم
١٤٠ الفصل الثانى فى تدبير استعمالها على رأى الحكماء
١٤٤ الفصل الثالث فى آداب منتشيها وما يجب على مستعمليها

صحيفه

١٠٠ الفصل الرابع فى استهدائها واستدعاء الاخوان
١٥٦ الفصل الخامس فى من وصفها من الشعراء الاعيان
١٧٥ الباب التاسع عشر فى الصاحب والنديم
١٨٧ الباب العشرون فى مسامرة أهل النعيم
٢١٤ الباب الحادى والعشرون فى الشعراء المجيدين وهو مقدمة ونتيجة
٢٢٩ الباب الثانى والعشرون فى الحذاق المطربين
٢٣٢ فصل وينبغى أن يكون المغنى جميل الخلق صافى الخلق الخ
٢٣٣ فصل فيما ورد للفضلاء فى مدحهم
٢٣٦ فصل فيما ورد فى ذم الغناء
٢٤٦ الباب الثالث والعشرون فى الغلمان
٢٥٨ الباب الرابع والعشرون فى الجوارى ذوات الالحان
٢٦١ فصل فيما يتعلق بكتابة المتظرفات منهن على آلاتهن
٢٦٢ فصل فى المولدات من الجوارى وغيرهن
٢٦٧ الباب الخامس والعشرون فى الباه
٢٦٨ فصل ولما كان جمال المرأة وحسن تناسب أعضائها هو الداعى الرجل الى وطئها الخ
٢٧٨ فصل فى بعض ما كتبته المتظرفات

(تمت الفهرست)

AL-ĠHUZŪLĪ, ʿALĪ B. ʿABD ALLĀH

(الجزء الاول)

ای ملك محمد حسنی المهدی
ضحوة الاحد ٢٥ جمادی الاولی
١٤١٤ هجریة جمیع الکتاب

من مطالع البدور فی منازل السرور
تألیف الشیخ الادیب والفاضل
الاریب علاء الدین علی
ابن عبد الله البهائی
الغروی عفی
الله عنه
آمین

/MAṬĀLIʿ AL-BUDŪR FĪ MANĀZIL AL-SURŪR/

(طبع بمطبعة ادارة الوطن)

(الطبعة الاولی سنة ١٢٩٩)

MAR 22 1984
PJ
7760
.G47
M3
1881
C.1

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) الذى جعل قلوب البلغاء افلاكا لمطالع البدور * وأسكنها من فسيح صدورهم فى منازل السرور * وأطلعها من درج الفصاحة الى بديع الطباق وأحلها منازل سعد سنية الاشراق * يظل تحت جناح شرفها كل منشد وقائل * لك يا منازل فى القلوب منازل *(أحمده) حمد من تخير لعمله الصالح دارا أسس بنيانها على تقوى * وجعل بابها مدخلا الى جنة المأوى * فأضحت مباركة العتبة لمن أمها بعد سير حثيث * وروى حديث فضلها المسند فأكرم بدار الحديث * (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة هى عدتنا فى هذه الدار * وعمدتنا فى دار المقام * (وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله قائدنا الى دار السلام * الكافى لمن يخافه ويرجوه * الهادى الى طباق السعادة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه * صلى الله عليه وعلى آله ما رفعت أركان * وشيد بنيان

اما

(أما بعد) فهذا كتاب مجموعه لفريق أهل الادب مفيد * وتذكرة فيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * جاء في تأليفه الشريف علوي النسب وتاريخا أديبا لو سمعه الذهبي لكتبه بماء الذهب * ما وصيل الى حلاوة تأليفه ابن خلكان * ولا ينظر مع وجوده بوجه في مرآة الزمان * فيا له من مجموع أقسم بثاني اثنين انه تفرد * وهامت به كتب الادب وأمست عارية من الجلد وما عسى ان تتجلد * لقد أصبح من حِسَان المعاني بحور مقصورات في خيام الطروس ممدودا وأوتي من كنوز الادب وأنبائه ما لا يمد ودا * وبنين شهودا * صرفت الذهن سيبه الى ترصيفه واستعفت بالناقد البصير عند الصرف * وبالصانع القدير عند الرصف * وأعربت بناه عن وصف دار ملك جاء في حسنه زائد الوصف * فأقسم من وصف هذه الدار بالبيت المعمور انها نزهة الناظر والسامع * واتلو على بيت حاسدها ان عذاب ربك لواقع * ما مرّ الادباء على أبوابها الا سلموا سلام الخاشعين عسى ان يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين

وانى وان لم أستطع خلوة بكم * أمر على أبوابكم فأسلم

فتح على من وصفها بخمسين بابا فسبحان الفتاح * ولكن جعلت سواد نقسها وبياض طرسها نزهتي في الليل والصباح * وجاورتها بأوصاف علت بحسن طباقها البديعة على بيوت الاشعار * فاستحقيت التمتع بها دون الغير لان جار الدار أحق بدار الجار * وتالله لقد أعجم الفضلاء عن وصف هذه الدار المباركة أعنابها فكيف اذا جاؤها وفتحت أبوابها * وأمست قلوب معانيها المختلفة بأنواع البدائع تتألف * وهي تتلو على بيت حاسدها لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف * كم طرق بابها بوصف فأتيت بالدقة الادبية من الافتتاح * وأبديت ما لو ناظره ابن سكرة لعسر ذلك عليه ولو أتى بالمفتاح وان دخلت الى وصف الدهليز من بابه فما تركت لاحد فيه مدخل * أوالى البادهنج نقلت حديث الهوى صحيحا وان كان معلل * أوالى وصف الخدام استعبدت حر الكلام * وأظهرت قوة العزائم في الاستخدام * وان ترويت في البركة رفعت لها من الوصف راية فوق قناتها * أو في النوفرة الغضة حققتها من زهور البديع بخضراتها * كم سهرت في الفرش لوصف المساند وهم على الارائك ينظرون * ودرت الى وصف الدواليب وهالات بدورها ونجوم نثرتها

وكل في فلك يسبحون * وكم سجعت في وصف الطيور المسموعة بما يغني عن سجع المطوق وألحان السواجع * وهذبت النفس في وصف الشطرنج فعقد لي الدست من حسن فرزتي من غير مانع * وروحت الخاطر لوصف المروحة فهب لي نسيم القبول من غير تعب * واقتبست من شعل الدهر وصف الشمعة والفانوس ولم أقل للهيب الفكر تبت يدا أبي لهب * وأطلقت عنان الزهن القادح في وصف السراج * فكنت فارس القبيلة * وأتيت بما يفحم السراج * ولو طول لسانه لقيل له لا تكن طويل الفتيلة * وحدقت في البساتين ووصف غصونها وزرد خمائلها * فهمت الى بان الحمى وزرود * وتغزلت في رياحينها وورودها بما أخجل زهر الآداب وشوق الى العوارض والخدود * وتمسكت بالغوالي من المعاني المعشوقة في وصف الطيب فاطربت حتى قال أهل العود طيب وملت الى صرف الذهن في وصف الراح فمازجته من الشعر الذي يقطر ماء الحسن منه بصيب * ووصفت الاواني * حتى قالت الكاسات جانا دور و قهقهت فرحة ثغور القناني * وحليت سادجها بذهب الوصف حتى قالت أنا ذهبية عصري وأواني * وجرعت العدو في وصف النديم * والصديق الحميم * وألفت في وصف الشعراء قصصا تركت الحسود لما عبس وتولى عنها في ألف لام ميم * وأتيت في وصف الفضلاء بنظم ونثر يحير الفاضل * وأرقصت طربا في وصف المطربين وما خرجت عما هو في السمع داخل * واسترقيت في وصف الجواري والغلمان كل حر من المعاني دقيق * وجئت بما لو سمعه ابن فباتة لصار له عبدا بسوق الرقيق * ووصفت الباه بما يحرك الشهوات * وأتيت بما هو أوضح من الصبح ولكن لم يكن قاطع اللذات * ودخلت الى الحمام بقلب وانشراح صدر فأبديت ما لو شاهده الحمامي لقال ما أنا قبالة هذا التشبيه * ومن هنا عرفت حر الاشياء وباردها وأخذت المأمن مجاريه * وأضرمت الفكر في وصف النار فأتيت من الأدب بخشمة قطعت عندها الالسن المجربة * وألجمت كل ذهن وقاد وأخمدت الافكار اللهبية * وقعدلي الدست في الطباخ فاتيت في وصف القدور بما طاب وعلى سوقه استوى * وقلت للافكار الاهبي بصحنك فأتت بما ترك قلوب الاعداء خوافق على غير الاستوا * وتصيدت من وصف الاسماك ما غصت خلفه من الشعر الى أقصى البحور * وأتيت بما حير

الثوراني

الثورانى والجزار فى وصف الجزور * ولم أدخل الى السفرة بجبن بل مددتها بما يليق بمثلى * وتركت البقول تقول لمن لا عنده رشاد وهو غير حاذق ما أنت من خل بقلى * ومددت الخوان بمائدة من المعانى صيرت الشعراء عند وصفها فرقان وتنوعت فى الاطعمة الشهية بألوان وتفقهت فى الوصف لما دخلت الى باب المياه وقلت وقد جرى جواد الفكر فى وصف الماء سبحان من أجراه * وأتيت فى وصف الحلوى بما لو ذاقه ابن الحلاوى لشبك عليه وعقد الخناصر * وفى وصف المشروب بما أصبح كل ظام من أهل الذوق الى مورده العذب صادر * وتركت الضد فى بيت الخلاحائرا يبحث فى باب الطهاره * وكم طلب ان يستعير له وصفا فلم يطق وشابت ذقنه فى باب الاستعاره * وعالجت وصف الاطباء وأعطيت الذهن دستورا فاتى بما هو من القانون أطرب * وان جحد ذلك جمار ضعيف الذهن ففردات ابن البيطار له أوجب * وأتيت فى وصف الوزراء بما لو ناظره غير لقالوا عنه كلا لا وزر وباشرت وصف الحساب فأتيت بما لو شاهده ابن الصاحب رجع عن ديوانه وعلم انى صاحب النظر واصطبحت بخمرة الانشاء فى رياض الوصف فأتيت بما أشار اليه بأصبعه زهر المنثور * وطرقت بابه ففتح على ودخلت من غير دستور * وأتحفت الاسماع من الهدايا بكل هدية صالحة لطيفة * وجلبت من معادن الأدب فى وصف الجواهر ما لو سمعه صاحب العقد نسى نظامه وتأليفه * وسننت الفكر فى وصف السلاح فجزت الحد وكنت فارس الكلام * وتغزلت فى حواجب القسى واصداغ السيوف وقامات الخطى واهداب السهام * ووصفت الكتب وأبوابها بكل قرينة صالحة وأسكنتها فى أجمل بيت * وأتيت فى وصفها بما لو ناظره الغير لغلقت الابواب وقالت هيت * وركضت بشدة الحزم الى وصف الخيل فلم الحق فى ذلك المضمار * وأتيت فى وصف الدواب بما لم يقع عليه حافر ولا يلحق له غبار * وقنصت فى وصف المصائد ظباء البديع فانفرت * وحشرت وصف الوحوش فى حظائرها وناهيك اذا الوحوش حشرت * وصدحت فى وصف الحمائم بما هيج البلابل حين علا أوراقه * وأصبح طائر قلب الضد واقعا دونه ولو طار نحوه بطاقه * وأطلت فى وصف القصور فأتيت بكل بيت لم يكن له فى علو طباقه مطابق * وأتيت فى وصف الحصون المنيعة بما عوذته بالسماء ذات البروج من الطارق * وشوقت الى الاوطان

فأتيت فى وصف علائم المنازل بأبيات * اذا رآها الشيق الى أوطانه قال هى المنازل
لى فيها علامات * ودخلت الى الجنة ففزت بأوصاف تركت الاعداء فى نار الحسد
يتقلبون * وتلى عليهم لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم
الفائزون * واستوعبت هذه الاوصاف التى بعد مرامها وأمست عينا يشرب بها
المقربون وهنا يحسن الالتفات فنقول والله المستعان على ما تصفون * وهذا أوان
ايراد الابواب المذكوره * وشرح المحاسن المأثوره * وبالله التوفيق والاعانة * فى
لطف الانابة وحسن الابانة * لا رب غيره ولا خير الا خيره وهو حسبنا ونعم الوكيل
(الباب الاول) فى تخير المكان المتخذ للبنيان (الثانى) فى أحكام وضعه وسعة
بنائه وبقاء الشرف والذكر ببقائه (الثالث) فى اختيار الجار والصبر على
أذاه وحسن الجوار (الرابع) فى الباب (الخامس) فى ذم الحجاب (السادس)
فى الخدم والدهاليز (السابع) فى البركة والفوارة والدواليب وما فيهن من كلام
وجيز (الثامن) فى البادهنج وترتيبه (التاسع) فى النسيم واطافة هبوبه
(العاشر) فى الفرش والمساند والأرائك (الحادى عشر) فى الارابيج
اللذيذة والمروحة وماشاكل ذلك (الثانى عشر) فى الطيور المسموعة (الثالث
عشر) فى الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعه (الرابع عشر) فى الشمعة
والفانوس (الخامس عشر) فى الخضرات والرياحين (السادس عشر) فى
الروضات والبساتين (السابع عشر) فى آنية الراح (الثامن عشر) فيما يستجلب
بها من الافراح (التاسع عشر) فى الصاحب والنديم (العشرون) فى مسامرة
أهل النعيم (الحادى والعشرون) فى الشعراء المجيدين (الثانى والعشرون) فى
الحذاق المطربين (الثالث والعشرون) فى الغلمان الحسان (الرابع والعشرون)
فى الجوارى ذوات الالحان (الخامس والعشرون) فى الباه (السادس والعشرون)
فى الحمام وما غزا مغزاه (السابع والعشرون) فى النار والطباخ والقدور
(الثامن والعشرون) فى الاسماك واللحوم والجزور (التاسع والعشرون)
فى السفرة والبقول (الثلاثون) فى الخوان والمائدة وما فيها من كلام مقبول
(الحادى والثلاثون) فى الوكيرة والاطعمة المشتهاه (الثانى والثلاثون) فى الماء
وما جرا مجراه (الثالث والثلاثون) فى الحلوى والمشروب (الرابع والثلاثون) فى
بيت الخلا المطلوب (الخامس والثلاثون) فى نبلاء الاطباء (السادس والثلاثون)

فى

فى الحساب والوزراء (السابع والثلاثون) فى كتاب الانشاء وهو فصلان (الثامن والثلاثون) فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان (التاسع والثلاثون) فى خواص الاحجار وكانها فى المعادن (الاربعون) فى خزائن السلاح والكمائن (الحادى والاربعون) فى الكتب وجمعها (الثانى والاربعون) فى الخيل والدواب ونفعها (الثالث والاربعون) فى مصائد الملوك الجليلة المقدار (الرابع والاربعون) فى حضائر الوحوش المتخذة لنزهة الابصار (الخامس والاربعون) فى الاسد والزرافة والفيل (السادس والاربعون) فى الحمام ومافيه من قيل (السابع والاربعون) فى الحصون والقصور والآثار (الثامن والاربعون) فى الحنين الى الاوطان ومافيه من رائق الاشعار (التاسع والاربعون) فى دار سكنت بها كثيرة الحشرات (الخمسون) فى جنات النعيم ومافيها من غرفات و بتمامه تمت الابواب

(والمقصود) من الواقف على كتابنا هذا الاقصار عن تتبع خطائنا والصفح عما يقف عليه عن اغفالنا والتجاوز عما ينتهى اليه من اهمالنا وان أدّاه التصفح الى صواب نشره والى خطاء ستره فقد كان يقال من ألف كتابا فقد استشرف فان أصاب فقد استهدف وان أخطأ فقد استقذف وكان يقال لا يزال الرجل فى فسحة من عقله مالم يقل شعرا أو يضع كتابا وكان يقال اختيار الرجل واقد عقله ويقال دل على عاقل اختياره وقيل لبعض العلماء اختيار الرجل قطعة من عقله قال بل مبلغ عقله وقال الخليل بن أحمد لا يحسن الاختيار الا من يعلم مايحتاج اليه من الكلام وقال الشعبى العلم كثير والعمر قليل فخذوا من العلم أرواحه يعنى عيونه ودعوا ظروفه وقال ابن عباس رضى الله عنه العلم أكثر من ان يحصر فخذوا من كل شئ أحسنه ونحن نستعين الله على كل حاسد ولله در القائل

لمن أبوح بشعرى حين أنظمه * أم من أخص بمن فيه من الزبد
اما جهول فلا يدرى مواقعه * أو فاضل فهو لا يخلو من الحسد

على ان الانصاف من شيم الاشراف وهذا أوان الشروع فى ايراد ماقصدناه والامر الذى نحوناه وبالله المستعان

(الباب الاول فى تخير المكان المتخذ للبنيان)

قال ارسطا ليس أول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة وذلك لو ان رجلا سقط فى فلاة لا أنيس بها ولا زرع لم يكن همه الا حفظ قوام نفسه بالغذاء فليس يفكر الا فيما يصيده فاذا اصاد واغتذا فليس يفكر بعد ذلك الا فيما يسكن فيه وهو البناء فاذا تم له ذلك فكر حينئذ فيما يزرعه ويغرسه وقال ابراهيم بن اسحق المصعبي يحياء الملوك العمارة ولا يحسن بهم التجارة وقال ابن كلدة جميع خصال الدار المستحسنة ان تكون على طريق نافذ وماؤها يخرج منها وليس عليها مشترف وحدودها لها وتكون بين الماء والسوق ويصلح فناؤها لحط الرحال وبل الطين ووقوف الدواب وان كان لها بابان فذاك أمثل وينبغي ان يكون أيضا فى طرف البلد لان الاطراف منازل الاشراف وقال البحترى توفى سنة أربع وثمانين ومائتين

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ ـراف تلفى منازل الاشراف
وقعودى عن التلفت والار * ض لمثلى رحيبة الاكناف
ليس عن ثروة بلغت مداها * غير انى امرء كفانى كفافى

(قيل) وانما كانت الاطراف منازل الاشراف لانهم يتناولون ما يريدونه بالقدرة ويصل اليهم من يريدهم بالحاجة اليهم وقيل لرجل فى أى موضع من القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فهنا أشرفهم وكان ينزل أقصى المدينة وقيل ليس فى الارض بخيل ولا جواد اذا ابتاع دارا الا بنى فيها شيأ وهدم شيأ وان قل لان حاجته ومنافعه ومرافق المالك الاول لا يستويان قال الجاحظ رأيت بخلاء فى نهاية البخل يسرفون فى الانفاق على البنيان وقال الحكماء لذة الطعام والشراب ساعة ولذة النوم يوم ولذة المرأة شهر ولذة البنيان دهر كلما نظرت اليه تجددت لذته فى قلبك وحسنه فى عينك وقال ناصر بنى أمية فى مبانيه العظيمة بمدينة الزهراء بالاندلس

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشأن

ولما

ولما دخل الرشيد الى منبج قال لعبد الملك بن صالح الهاشمى وكان لسان بنى العباس هذا البلد مقرلك فقال يا امير المؤمنين هو لك ولبنك قال كيف متنازلك به قال دون منازل أهلى وفوق منازل غيرهم قال كيف صفة مدينتك قال عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وهى تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء وفياف فيح بين قيصوم وشيح فقال الرشيد والله هذا الكلام أحسن منها ولما بنى عيسى بن جعفر قصره بالرصافة دخل اليه عبد الصمد فقال بنيت أجل بناء بأطيب فناء وأوسع فضاء على أحسن بهاء بين صحار وحيتان وضباء فقال كلامك أحسن من بنائها وكان ابن جعفر بن سليمان الهاشمى يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد وقال بعض أهل التجربة اذا ابتنى أحدكم دارا فليترك فى واجهتها ثلمة تقيها شر عين الكمال (قلت) ولا بأس بايراد نبذة مما يتعلق بكرى الدار فمن ذلك ما حكى ان رجلا دخل حجرة يكتريها فقال أين المطبخ فقيل له فى الجيران من يطبخ لك ويكفيك المؤنة قال فأين المخبز فقيل اذا اختمر العجين خبز والك أيضا قال فبيت الخلاء فقيل بالقرب خربة تقضى فيها الحاجة قال فالسطح فقيل على الباب ساحة يطيب فيها النوم فى الصيف قال فأنا فى دار وما أعلم بروحى فأستمر على ما أنا فيه وأربح الاجرة وقال الحكيم بن سعد قال لى ملك بسرنديب صف لى معايش أهل البصرة فقلت قوم منهم لهم فضول منازل يكرونها وقوم لهم ارقاء يستعملونها وقوم لهم رؤوس أموال يغدون الى أسواقهم فيأكلون فضولها وقوم لهم نخيل يأكلون ثمارها فقال من كان معاشه من كرى فلئام الناس ومن استعمل الارقاء فكلاب الناس والذين يغدون الى أسواقهم فذئاب الناس ولكن أصحاب النخل وقال بعضهم

قد رضينا من الزمان بقوت ... وثبوت ومسكن لازياده
ورضينا من الاله بما يرضى ومن غيره تركنا الاراده
غير نا نروم خاتمة الخير فان يسرت فتلك السعاده

(لطيفة) ذكرها الحريرى فى كتابه الموسوم بتوشيح البيان ان أحمد بن المعدل كان يحد بأخيه عبد الصمد وجدا شديدا على تباين طريقتهما لان أحمد كان

صوّاما قواما وكان عبد الصمد سكيرا خميرا وكانا يسكنان دارا واحدة ينزل أحمد في غرفة أعلاها وعبد الصمد أسفلها فدعا عبد الصمد ذات ليلة جماعة من ندمائه وأخذ في القصف واللذات والعزف حتى منعوا أحمد الورد ونغصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيآت ان يخسف الله بهم الارض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (قلت) وعلى ذكر الغرفة فما ألطف ماذكره علاء الدين الوداعي في تذكرته قال رأيت مكتوبا على غرفة يصعد منها الى سطح قبة الصخرة المقدسة قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما فعجبت من اتفاقها وكأني لم أسمعها ورأيت أيضا في طاقة زجاج بقبر طالوت عليه السلام بسفح قاسيون قوله تعالى الله نور السموات والارض وهذا من عجيب ما يكتب على طاقة زجاج (نادرة) كان بعضهم في دار بكرى فقال لصاحبها اعمر لي السقف فانه يقرقع اذا مشينا عليه فقال لا بأس عليك فانه يسبح الله فقال أخشى ان تدركه الرقة فيسجد وطلب بعضهم دارا للكرى فدلوه على دار فدخل غيرها فوجد واحدا بنيك أمرد فاستحى وقال هل عندكم دار للكرى فقال له ما أحمقك نحن من الضيق بعضنا على بعض (كان) بعض النحويين له مال كثير وليس له سكن يأوى اليه فقيل له ابن بيتا فقال والله لا بنيت ما اتفق النحويون على اعرابه ومما قاله (المرحوم القاضي) فتح الدين بن الشهيد الذي كان مولده بالرملة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وقد توفي مقتولا بالقاهرة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وكتبه على عمارة له

بنيت على وقف المكارم والعلى * فللفتح أبوابي وصدري للضم
سنا الملك يبدو في موشح زينتي * ومن أجل ذا دار الطراز على كمي

ومما كتبه على الزفرف قوله

رفعت كما شا الترفه رفرفا * أزين سمائي بل أزين سماحي
فلا بدع ان الناس يهوون بهجتي * ويمشون في ظلي وتحت جناحي

(الباب الثاني في أحكام وضعه وسعة بنائه وبقاء الشرف والذكر ببقائه)

وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بلغه ان سعدا وأصحابه بنوا بالمدر كتب أكره لكم البنيان بالمدر فاما اذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب ولما بنى معاوية داره بدمشق باللبن دخلها وفد الروم فقالوا ما أحسن ما بناها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر ورأى بعضهم رجلا قد بنى حائطا بالحجر وهو يبيضه فقال هذا يستر الذهب بالفضة (وحكى) ان يحيى بن خالد كان جالسا للقصص فرفعت اليه قصة متظلم من بعض عماله فقربه وسأله عن ظلامته فقال له ان عاملك فلانا ظلمنى وأخذ مالى واغتصب ضيعتى وهدم شرفى فقال له فهمت جميع ما ذكرته الا قولك هدم شرفى فما معناه فقال له أنا من ابناء فارس كانت لى ضيعة وبالقرب منها قصر على الطريق فيه سقاية ينزلها الناس ويسقون منها ويذكرون بانيها ويترحمون عليه فغصبنى الضيعة وهدم القصر فأمر يحيى بالكتب الى العامل ان ترد عليه ضيعته وجميع ما أخذته منه وتبنى القصر حتى ترده على هيئته كما كان وقال لبنيه ابنوا فان الذكر والشرف باقيان ببقاء البنيان وقيل لابى الدهمان أين دارك فقال اذا دخلت سكة بنى العنبر فالدار التى تدل على شرف أهلها دارى وعلى ذكر السؤال ها أحسن ما ذكره ابن رشيق فى الانموذج ان عبد الرحمن بن محمد الفراسى جلس مع بعض شيوخ يونس وكان الشيخ نهاية فى الجنون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدون فأقبل الشيخ عليه فقال هى فى تلك الرابعة حيث يقوم ابرك فقال الفراسى لا تظن منه فما رأيت مثل هذا المعنى وأنشد من وقته

ان شئت ان تعرف عن صحة * دارى التى تعزى لعبدونه
فامش فان أبرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكس الشيخ صلاح الدين الصفدى (ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة ووفاته سنة أربع وستين وسبعمائة) هذا المعنى فقال

أقول لمن يسائل عن محلى * تقدم وامش من خلف السوارى
ومر فحيثما تلقى حمارا * بسرمك لا تعد فثم دارى

(رجع) خرج الخطيب الحافظ أبو بكر فى تاريخه قال لما بنى المهدى قصره بالرصافة دخل يطوف فيه ومعه أبو البحترى وهب بن وهب فقال له

هل تروى فى هذا شيأ قال نعم حدثنى جعفر بن محمد عن ابنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير صحونكم ماسافرت فيه أبصاركم وقال المأمون يوما لجلسائه أتدرون من أهنى الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لا قالوا فأمير المؤمنين أعلم فقال أهنى الناس عيشا رجل له دار قوراء وامرأة حسناء وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه قال سلمة الاحمر دخلت على الرشيد فى قصره الذى بناه فقلت

أما بيوتك فى الدنيا فواسعة * فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل يبكى وقيل ان خالد بن الوليد رضى الله عنه شكى الى النبى صلى الله عليه وسلم ضيق مسكنه فقال ارفع البناء وسل الله السعة وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر وقد هم ببناء دار استوسع فان الهمة فى السعة سئل بعضهم ما الغنى فقال سعة البيوت ودوام القوت وقال بعضهم طيب المساكن بثلاثة سعة الصحن وخرير الماء وشئ من الخضرة (يحيى بن خالد) الدنيا ثمانية الطعام الطيب والماء البارد والثوب اللين والفراش الوطى والدار الواسعة والمرأة الموافقة والخادم الفاره والقدرة على الاخوان بالاحسان وكان يقال جنة الرجل داره وذكر الاحنف الدور فقال ليكن أول ما يشترى وآخر ما يباع وقال يحيى ابن خالد لابنه جعفر دارك قميصك فوسعه كيف شئت وقيل لبعضهم ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء وينشد

ومن المروة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره

(وكان يقال) دار الرجل عيشه قال السلامى فى كتابه تتف الطرف الدور للناس كالاعشة للطير والاوجرة للوحش والجحرة للحشرات فدار الرجل جمال نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحرز ملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه ولا شئ أصعب على الناس من الخروج من ديارهم وقد قرن الله سبحانه وتعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم وقال بعض الاشراف لابنه يا بنى احسن أثرك فى هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر

ليس

ليس الفتى بالذى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار

ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

ومن أحسن ما قيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبنى على قدر اخطارها

فلما رأيت بناء الاما * م رأيت الخلافة فى دارها

حكى ان أبا العيناء دخل على المتوكل فى قصره فقال له كيف ترى دارنا هذه فقال الناس بنوا دورهم فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك أخذه اليزيدى فقال

لما بنا الناس فى دنياك دورهم * بنيت فى دارك الغراء دنياها

فلو رضيت مكان البسط أعيننا * لم يبق عين لنا الا فرشناها

(الباب الثالث فى اختيار الجار والصبر على أذاه وحسن الجوار)

وقيل الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق وقيل لبعضهم أين معك فى القرآن الجار قبل الدار فقال قوله تعالى رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة سوء الجار نعوذ بالله من ثلاث هن القواقر امام السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار السوء ان رأى حسنا ستره وان رأى قبيحا أذاعه ومن سوء امرأة ان غبت عنها خانتك وان دخلت عليها لسنتك (حكى) أبو السعادات بن الشجرى (مولده سنة خمسين وأربعمائة ووفاته سنة اثنين وأربعين وخمسمائة) فى شرح الحماسة ان العباس بن الفرج الرياشى قال وفد زياد الاعجم على حبيب بن المهلب وهو بخراسان فبينما هما يشربان ذات عشية اذ سمع زياد صوت حمامة تغنى على شجرة فى دار حبيب فقال

تغنى أنت فى ذمى وعهدى * بأن لا يذعروك ولا تضارى

اذا غنيتنى وشربت كأسا * ذكرت أجبتى وذكرت دارى

فما يقتلوك طلبت ثارا * لانك فى حماى وفى جوارى

فاخذ حبيب سهما فرماها فأنفذها فقال زياد قتلت جاري بيني و بينك المهلب فاختصما اليه فقال المهلب أبو امامة لا يروع جاره وقد ألزمتك العقل ألف دينار فدفعها اليه من يومه ولما بنى كسرى ايوانه كانت بجواره دويرة لعجوز لا يكمل تربيع الايوان الا بها فدفع لها جملة من المال فقالت لا أبيع جوار الملك بملئها ذهبا ولا اخرج عن جواره طائعة فان غصبني اياها فهو قادر على ذلك فأعلم كسرى بذلك فقال تترك و يبنى الايوان فقيل لا يجيء مستحكم التربيع فقال يبنى على ما اتفق وكان فيه عوج فكان بعد ذلك يقال له ما أحسن بناء هذا الايوان لولا هذا العوج فيقول بهذا العوج تم حسنه (قلت) وعلى ذكر الايوان ها أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه أجازه الشيخ عز الدين على ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلي رحمه الله تعالى أجيبه كتب بها الى القاضي صلاح الدين الصفدي تغمده الله بالرحمة

يا من له الطول في المعالي * وبالمعاني لنا يبصر
اني كما قلت في سؤالي * ما مثل قولي نعم مقصر

(رجع) وكان لابن المقفع بجنب داره دار وكان يستامها من صاحبها وهو يمتنع من بيعها فاتفق انه ركبه دين فاحتاج الى بيعها فعرضت عليه فسأل عن سبب بيعه اياها بعد غبطة بها فأخبره بقصته فقال ما قلت اذا بحرمة الجار ان اشتريتها وقد باعها معدما فحمل اليه ثمن الدار وقال بق دارك عليك بارك الله لك فيها وردّ هذا في دينك وقال الاصمعي رأى بعضهم عدي بن حاتم الطائي يفت للنمل خبزا بفناء داره فقال له يا أباطريف ما تصنع فقال جارات ولهن حرمة قلت وعلى ذكر حاتم الطائي ذكرت ما أنشدنيه سيدي الجناب المجدي فضل الله بن المرحوم الصاحب الفاضل فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس سلمه الله تعالى قال أنشدني والدي من لفظه قال أنشدني صاحبنا الشيخ شمس الدين الواسطي (توفي المذكور قريبا من سنة ثمانين وسبعمائة) لنفسه موالیا

مامت حتى جفاني كل من في الحيّ * وملني وقلاني كل من لو شيّ
وأنت ما في العجم والعرب مثلك حيّ * يا من طوى بالمكارم ذكر حاتم طيّ

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس من قصيدة (وتوفي تغمده الله بالرحمة سنة أربع وتسعين وسبعمائة) وذلك

بمنزلة

بمنزله بقنطرة قداد ربتاريخ عاشر صفر من شهور عام ثلاث وتسعين وسبعمائة

وكم طربت لما أبدته من ملح * يصبوله كل ذى عقل وآراء
وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى * فكنت فى كل حال منهما الطائى

(رجع) الى ما كنا بصدده وقال محمد بن عبد الرحمن الزهرى كانت بينى وبين أبى العباس ثعلب مودة أكيدة وكنت أستشيره فى أمورى فجئت يوما أشاوره فى الانتقال من دار الى أخرى لتأذى بها بالجوار فقال يا أبا محمد العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث مالا تعرفه (من غريب الاتفاق) ان بشار بن برد كان قد حلف انه لا يجاور حماد عجرد ولا يظله واياه سقف بيت ولا مسجد وانه يهجوه بألف قصيدة فاتفق ان مات حماد فى قرية من سواد البصرة وعرضت لبشار هناك حاجة فبات فيها ودفن الى جانب حماد عجرد (وقريب) من هذه الحكاية ما حكى ان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب كان واليا على السند وأخوه يزيد واليا على أفريقية فتوفى بها فى سنة سبعين ومائة بالقيروان فقال أهل المدينة أعنى أفريقية ما أبعد ما يكون بين قبرى هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل الى أفريقية فلم يزل واليا بها الى ان مات ودفن مع أخيه فى قبر واحد فعجب الناس من غريب هذا الاتفاق (عود) وكان لأبى حنيفة جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جن الليل رجع الى منزله بلحم أو سمك فيطبخ اللحم أو يشوى السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد البيت الى ان يغلبه السكر وينام وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ويسمع جلبته وانشاده ففقد صوته ليال فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى صلاة الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط ففعل ذلك به فوسع له الامير فى مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لى جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره قال له أبو حنيفة أترانا أضعنا الليل قال لا بل حفظت

ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعاية الحق ولله على ان لا أشرب خمرا أبدا فتاب ولم يعد الى ما كان عليه (قلت) وقد ضمن هذا البيت الشيخ برهان الدين القيراطى تضمينا حسنا (ومولده سنة ست وعشرين وسبعمائة ووفاته سنة احدى وثمانين وسبعمائة)

فقال دعانى منيتى لكريه راح * ورشف الثغر منه عقيب سكر
فقلت له دعوت فتى يرجى * ليوم كريهة وسداد ثغر

(ونقلت) من المستجاد فى فعلات الاجواد عرض محمد بن الجهم دار بخمسين ألف درهم فلما حضروا ليشتروا قال بكم تشترون منى جوار سعيد بن العاص وكان بجواره فقالوا وان الجوار ليباع فقال وكيف لا يباع ويفرد بثمن وهو جوار من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان أسأت أحسن فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال امسك عليك دارك وعلى ذكر الجار فما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة (ومولده سنة ست وثمانين وستمائة ووفاته سنة ثمان وستين وسبعمائة)

بروحى جيرة أبقوا دموعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى
كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب (ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ووفاته سنة ثمان وثمانين وسبعمائة) وقد انتقل النيل السعيد عن بر مصر الى البر الغربى شط الجيزة

يا أيها السلطان ان النيل عن * مصر تنقل بعد طول جوار
فاحفظ لنا جار يانه وجواره * فالله قد أوصى بحفظ الجار

وأنشدنى سيدى وأخى الجناب المجدى فضل الله بن مكانس أبقاه الله تعالى من موشحة لنفسه

أجريت ما بين دموعى الغزار * مثل البحار * ولم يدع لى طول دهرى قرار
هجر حبيبى وهو منى قريب * مع الرقيب * قد صيرانى بين قومى غريب
دأبى النحيب * فآه من جورك ياذا الحبيب * على الكئيب
وما احتيالى فى قريب الديار * ونائى المزار * هو على الحالين يا قلب جار

(رجع) الى ما كان فيه كان ابو سفين اذا نزل به جار قال له ياهذا انك قد اخترتنى

جارا

جارا واخترت دارى دار الجناية يدك على دونك وان جنيت عليك يد فاحتكم حكم الصبى على أهله (وذكر ابن الجوزى) فى كتاب الاذكياء قال رجل يارسول الله ان لى جارا يؤذينى قال انطلق وأخرج متاعك الى الطريق فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس اليه فقالوا ما شأنك قال لى جار يؤذينى فجعلوا يقولون اللهم العنه اللهم اخزه اللهم اخرجه فبلغه ذلك فأتاه فقال ارجع الى بيتك فوالله لا أوذيك بعدها وهذه من الحيل التى أباحها الشرع الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده (وورد) ان أبا مسلم الخراسانى صاحب الدعوة عرض عليه فرس سابق فقال لاصحابه لما يصلح هذا الفرس فقالوا اليوم الحرب فقال كلا ولكن ليهرب عليه من جار السوء وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث كن فى الجاهلية الاسلام أولى بها كان الرجل منهم اذا نزل به ضيف سعى له أهل البيت كبيرهم وصغيرهم حتى ينقلب وهو راض وكان الرجل منهم اذا طال ثواء امرأته معه كره طلاقها الثلاثة تذل بعده وكان الرجل اذا جنى جاره جريمة باع فيها ولوولده حتى ينقذ جاره

(الباب الرابع فى الباب)

الباب يجمع على أبواب وقد قالوا فيه أبوبه للازدواج وقيل أبواب مبوّبة كما قيل أصناف مصنفة ولبعضهم فيما يكتب عليه

لذ بذا الباب كلما * خفت ضيق المناهج
فهو باب مجرب * لقضاء الحوايج

وأنشد الاصمعى فى أبيات المعانى قول بعض العرب

وذى رجلين لا يمشى عليها * ولكن فى القيام له صلاح
فندفعه اذا احتجنا اليه * ونجذبه اذا حان الرواح

(وقال الحاتمى) فى باب بصمراعين (توفى المذكور سنة ثمان وثمانين وثلثمائة)

عجبت لمحرومين من كل لذة * يبيتان طول الليل يعتنقان
اذا أمسيا كانا على الناس مرصدا * وعند طلوع الفجر يفترقان

وقال الشيخ شمس الدين بن دانيال (توفى سنة عشر وسبعمائة)

قال للوزير محمد بن محمد * يامن هو المسك الذكى المن درج
أنت الذى دار السعادة داره * طول الزمان وبابه باب الفرج

وقال الشيخ (جمال الدين) بن نباتة

بشر أمير المعالى باتصال هنا * يحفه السعد من أقصى جوانبه
واكتب على بابه الغربى معتمدا * عز يدوم واقبال لصاحبه

وقال

أيا دار دار اليمن من كل وجهة * عليك ولازال المنا لك يجلب
ولاعدم القصاد بابك انه * لنجح الرجا باب صحيح مجرب

(قلت) قوله صحيح على غير طائل وصاحب الذوق السليم يشهد والمعنى يقدم

(وقال)

يازائرى قاضى القضاة ليهنكم * ماصح التجريب من أبوابه
أقسمت ما الحجر المكرم للغنى * الا الذى تغشون من أعتابه

وقال يا مالكا تقصر عن وصفه * بدائع الشاعر والكاتب
فى بابك العلم وفيض الندى * فلا خلا بابك من طالب

وقال (ناصر الدين) ابن النقيب فى المجون (توفى سنة سبع وثمانين وستمائة)

قال لى الخارج صف لى * مثل ما أعرف وصفك
أين باب الخرق قل لى * قلت باب الخرق خلفك

وعلى ذكر باب الخرق فلا بأس بايراد نبذة مما قيل فى باب زويلة فمن ذلك قول ابراهيم المعمار (توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة)

زويلة بابك هذا سفيه * يشرب ماء الخرج هرا بفيه
ولم يزل يألف سفك الدما * وكل ما يقطعه الشرع فيه

وله فيه

حاذر زويلة ان مررت ببابها * وطعامها كن آيسا من خيره
فوسط القتلا يقول به انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره

وقال شهاب الدين بن أبى حجلة (مولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفاته سنة ست وسبعين وسبعمائة)

برت زويلة اذ أمسى يقول لنا * باب لها قول صدق غير مكذوب

اذا

اذا وعدت حراميا بسفك دما * فى الحال علق من وعدى بعرقوب

وقال الشيخ شمس الدين الضفدع فيما يكتب على الباب (مولده سنة ثلاث وتسعين وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة)

من ذا الذى ينكر فضلى وقد * فزت من الحسن بمعنى غريب
عندى لمن يخذله دهره * نصر من الله وفتح قريب

وقال ابراهيم المعمار

يامن بباب علاه * العيش للناس طابا
أرسلت مدحى غلاما * اليك يخدم بابا

وما أظرف قول من قال وان كان غير ما نحن فيه لا تحسبه لك وحدك ان كنت راقدا تنبه كما فتحت الطاقة غيرك يسد الباب وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فيه (مولده سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنين وتسعين وستمائة)

أى شئ تراه فى الدور والكتـ ـب مجازا هذا وذاك محقق
يحفظ المال والحريم ولولاه حفيظا لكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق
وطليق فى نشأتيه ولكن * بجديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه فى الخط لكن * هو اثنان كله ان يفرق
وتراه للحشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لا يرى يتزندق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تصحيفه لمن يسترق
فأجبنى عنه بقيت مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

(وكتب) الشيخ شرف الدين عبد العزيز الحموى المعروف بشيخ الشيوخ الى والده ملغزا (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة)

ماواقف فى المخرج * يذهب طورا ويجى
لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده الجواب ذهاب ومجىء وخوف وهذا باب خصومة والسلام

(وكتب) الاديب نصر الدين الجمامى الى السراج الوراق وكان السراج يسكن

بالروضة (مولده سنة خمس وعشرة وستمائة وتوفى سنة خمس وتسعين وستمائة)

كم قد أردد للباب الكريم لكى * أبل شوقى وأحيي ميت أشعارى
وأنثنى خائبا فيما أؤمله * وأنت فى روضة والقلب فى نار

فكتب الجواب اليه

الآن نزهتنى فى روضة عبقت * أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتنى بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
ولا تغالط فمن فينا المراح ومن * أولى بأن قال ان القلب فى نار

(وقال) الصاحب جمال الدين بن مطروح من قصيدة يمدح بها الملك الاشرف مظفر الدين موسى (ولد ابن مطروح سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وتوفى سنة تسع وأربعين وستمائة)

ما كان أشوقنى للثم بنانه * ولقد ظفرت بلثمها فليهنئنى
ودخلت من أبوابه فى جنة * يا ليت قومى يعلمون بأننى

(وقال) علاء الدين الوداعى (مولده سنة أربعين وستمائة وتوفى سنة ست عشرة وسبعمائة)

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

(قلت) أما قرة فهو قرة بن خالد السدوسى وهو ثقة روى عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعى وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوى كان من عباد التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهى تروى عن عائشة رضى الله عنها وأما جابر فهو جابر بن عبد الله كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو جابر الجعفى لان جابرا الجعفى ضعيف وهو تابعى وانما ضعفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما حسن فهو حسن البصرى كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نحو ثلثمائة رجل ولقد أجاد علاء الدين فى استعمال هؤلاء الرجال فى أوصاف الممدوح ودل على جودة اطلاعه على أسماء رجال الحديث رحمه الله تعالى وأنشدنى سيدى وأخى تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى سلمه الله تعالى لنفسه الكريمة اجازة من قصيدة

قصدت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة اللقا حنقه

قالوا

قالوا لما تبتغى فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغى صدقه

والشئ يذكر بلوازمه ما ألطف وأبلغ ماذكره ذوالوزارتين لسان الدين بن الخطيب الاندلسى فى ترجمة شهاب الدين بن رضوان الغرناطى أبوجعفر فى تاريخه بالاحاطة (وذكر ان وفاته سنة ثلاث وستين وسبعمائة)

يامن اختار فؤادى مسكنا * بابه العين التى ترمقه

فتح الباب سهادى بعدكم * فابعثوا طيفكم يغلقه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة نثرا أى والله تخلى الشباب وخمد آب الذهن اللهاب وخلا الفكر الحائم من صوب والفهم الخادم من صواب واقصر عن نظمه ونثره من كانت له فى الانشاء نشأة وكانت له فى الشعر أسباب وغض بصر القريحه وتقاص ذيلها فما يرفع لها ولا تجر اهداب واختبى لسان المنشئ المنشد عجزا واغلق عليه من شفتيه مصراعى الباب وقال القاضى الفاضل نثرا (مولده سنة أربع وعشرين وخمسمائة ووفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة) لازالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلق له فى دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق تعلمه الناس انه اذا جرد لتقاضيه سيوفا سيوفى ومن نثره كل لفظة موصولة بأنه وفى كل قلب من حزنه نار وفى كل دار من فضله جنة فروح الله تلك الروح وفتح لها أبواب الجنة فهى آخر ما ترجوه من الفتوح من رسالة كتبها المرحوم العلامة فتح الدين بن الشهيد الى بعض أصحابه وقد طرق عليه الباب فوجده مقفلا فما هو الا ان قبلت العتبة فأعتبت وتأدت فريضة الخدمة لما وقفت وتأدبت وأطلت قرع حلقة الباب فقال الصدى ضربت فى حديد بارد وجئت وقد استقل ركاب المسود والسائد فاذكر حاجتك أبلغ عنك ما تقول وأسبق برجع الجواب اليك الرسول قلت محب يراهم بالقلب ان عاقب الحوايج والجوانح ورحت وقلت ان جئت بجواب فسل عن سايح بن رايح وعدت أمشى بخفى حنين

وأصغى الى صوت الصدى عند ذكركم * فأطرب للغنى وأهتف بالدار

وأسعى بها دار اعلى مروة الصفا * أطوف بها سبعا ولم أقض أوطارى

وما نافعى التطواف فى دارة الحمى * اذا لم يكن فى دارة الحى أقمارى

وترددت حتى كل دمعى للطريق بالعقيق ورمت أنفاسى النار فى الدار

وصاحت الحريق (وللقاضي الفاضل) يصف الستائر من قصيدة أولها

ياطالب الجود يمم كعبة الكرم * وقل سلام لها عن كعبة الحرم
كأن استاره روض سمحت له * بماء يشرك هذا المخرق الشبم
غيم يزر على شمس وفي يده * غمامة لقبته كاشف الغمم
سحب تعود منه فيض انمله * والسحب ان سيرت دلت على الديم
لو لم تكن سحبا ما كان ذيلها * برقا يشام اذا ما البرق لم يشم
بيض كعرضك في طول كطولك في * لمع كنشرك في سلك حكى كلم
فكنت كالشمس في ثوب النهار بها * لا كالبدور بأثواب من الظلم
أظهرت عدلك فيها فهي معجزة * فالاسد ما وثبت والريم لم يرم
فرب سانحة فيه وسارحة * فاعجب لضدين في بحر من الكرم
تهيم بالصيد آمالي اذا نظرت * فيها فأذكر منع الصيد في الحرم
كأن أحداقنا ترعى الحدائق من * جنات عدن وعدل دائم قدم
أقاح روض كأن الورد فروزه * فيا لجرية ماء كف بالضرم
والطير في شجرات الرقم عاكفة * ونبت عنهن في التغريد بالنغم
ان لم يكن ثمر فيها ففي يده * ثمار جود زهت في روضة الشيم
يود ما مثلوه فيه من صور * لو انها استخدمت في جملة الخدم
تلك الستور عجاج والنجوم لها * عرى وايدي الظبا فروزنها بدم
أظن بابك خدا غرت من قبل * عليه حتى منعت اللثم باللثم
اذا رأيت بها الاعلام مشرقة * رأيت أشهر من نار على علم
مثل السراب ووقت القيظ بيضها * لكن وردت بعيني حين هم في

(وللمولى السيد) شمس الدين القاسم ابن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي ونقلته من خط الوداعي

ومشعل قام في خشوع * كراهب شق عنه جيبا
قد فني الجسم منه سقما * واشتعل الرأس منه شيبا

(وورد) على سيدنا ومولانا المرحوم القاضي أمين الدين محمد الانصاري (المتوفى أواخر سنة ثمان مائة وأخبرني ان مولده سنة احدى وخمسين وسبعمائة) صاحب ديوان الانشاء الشريفة بالشام المحروسة كتاب من سيدنا ومولانا أوحد العصر

القاضي

القاضي بدر الدين محمد المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني (الذي مولده في سنة ثلاث وستين وسبعمائة) أنفذ الله أحكامه وذلك من مكة المشرفة بتاريخ التاسع والعشرين من شهر الله المحرم سنة احدى وثمانمائة جاء منه وينهى انه سطرها بمنى وقد سالت باعناق البدن الاباطح ووقفت الجزر تؤمل سعد الاخبية فاطلع لها غير سعد الذابح وقد برد الصدر المحرور برمي الجمار وقرت العيون برؤية تلك الآثار وقرع المملوك باب الرحمة عند وصوله الى البيت الشريف وقال للازمن تنكر ماشئت فقد حصل التعريف (وذكر صاحب المباهج) ان ستر ايوان كسرى أحرق لما ملك المسلمون المدائن فأخرج منه ألف ألف مثقال ذهبا وقيل مائة ألف مثقال (وطرق) رجل على عمرو بن عبيد الباب فقال من هذا فقال انا قال لست أعرف أحدا من اخواننا اسمه أنا وأخرج البخاري من طريق جابر رضي الله عنه قال استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت أنا فقال أنا أنا كأنه كرهه (وأنشدني الشيخ) شمس الدين الجرائحي لنفسه فيما يكتب على ستر

أنا الستر المجمل بالبهاء والعز والنصر
فاذبي ان تجد ضيما * وقل يا مجمل الستر

(الباب الخامس في ذم الحجاب)

(خالد بن عبد الله القشيري) كان يقول لحاجبه اذا جلست فلا يحجبن على أحد فانما الوالي يحتجب لثلاث شريكه ان يطلع عليه غيره أو ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره معه ان يسأل شيأ ووقف رجل على باب أبي دلف فأقام به حينا لا يصل به فتلطف في رقعة أوصلها اليه وكتب فيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * ولا تستكثرن حجاب باب

(وقال علاء الدين) الوداعي يعتذر الى بعض أصحابه

ان كنت يا أكرم الصحاب * حجبت لما طرقت بابي

فأنت قلبي ولا عجيب * اذا غدا القلب في حجاب

(وقال) زين الدين بن الوردي (توفي سنة خمسين وسبعمائة) يلوم نفسه على زيارة أقوام

مذ زرتهم صحبة وودا * ألفيتهم مغلقين بابا
سعيي الى بابهم جنون * مني فاستأهل الحجابا

(وقال بعض الحكماء) لبعض الملوك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان اجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية وقال آخر كثرة الاذن مجلبة الابتذال وهيبة الملوك في الاحتجاب وكان يقال المبذول مملوك والممنوع متبوع ولله در ابن المعتز وما أحسن قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون اللوامح

(وقيل) لبعض الحجاب متى تفرغ ولا يتك فقال متى حضر طعام مخدومي وأين هذا من قول القائل

جزت على باب صديق لنا * وبابه من دونه مقفل
وحول تلك الدار غلمانه * قد أحدقوا بالباب واستكملوا
فقلت ما يصنع مولاكم * قالوا سمعنا انه يأكل
قلت فما يفتح مولاكم * قالوا بلى رأس الذي يدخل

(وقيل لبعضهم) هل تغديت عند فلان قال لا ولكني مررت ببابه وهو يتغدى قال فكيف علمت قال رأيت غلمانه بأيديهم قسي البندق يرمون الطير في الهوى وقال بعضهم

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لأخطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقال وقام من حنق اليه * بقدم يزد فيه القيام
أبي وأبو أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام
فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

وما أحسن قول القاضي الفاضل

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل فقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وله في بواب يلقب بالبحرى

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها أنا وقد وليته دونكم ظهرى
وهب انه البحر الذى يخرج الغنى * فكل حرافى الشط فى لجة البحرى

وقال كمال الدين بن النبيه (توفى سنة تسع عشرة وستمائة) لما سمع قول الفاضل

قلت لليل اذ حبانى حبيبا * بغناء يسبى النهى وعقارا
انت يا ليل حاجبى فامنع الصبح وكن أنت يا دجى بوابا

وقال ناصر الدين بن النقيب

ماذا على بواب داركم الذى * لا اذن يعطينا ولا يستأذن
لو ردنا ردا جميلا عنكم * او كان يدفع بالتى هى أحسن

(وللشيخ) شهاب الدين بن أبى حجلة فى غير المعنى

يارب ان الليل زاد زيادة * أدت الى هدم وفرط تشتت
ماضره لو جاء على عاداته * فى دفعة أو كان يدفع بالتى

(وأنشدنى) الشيخ العلامة عز الدين الموصلى لنفسه (المتوفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وأخبرنى ان مولده سنة أربع وعشرين وسبعمائة)

قد سلونا عن الحبيب بخود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

(رجع) الى ما كنا فيه قال الناشئ الاصغر (المتوفى سنة ست وستين وثلثمائة)

ليس الحجاب بآفة الاشراف * ان الحجاب مجانب الانصاف
ولقل ما يأتى فيحجب مرة * فتعود ثانية بقلب صاف

(وقال) أبو الحسين الجزار (ومولده سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنين وسبعين وستمائة)

أمولاى ما من طباعى الخروج * ولكن تعلمته من خجلى
وصرت لديك أروم الغنى * فيخرجنى الضرب عند الدخول

(وألم بهذا) الاديب شمس الدين الصفدى فقال

وافا الى خدمته العبد كى * يحظى بتقبيل يد أو قبول
واستأذن الخادم فى قربه * منكم لان البعد ستر يحول
فكاد ان يخرجه الضرب عن * غنائك بالايقاع قبل الدخول
أوحى اليه منه قولا فما * بلغ عنه مايقول الرسول

(ونقلت) من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس للجمال ابن عبد الغنى

أتيت الى بابك ياسيدى * أهنيك بالعيد مع من يهنى
فأخرجت من بعد ذاك الدخول * وقد جئت يعنى مدلا بأنى
مغن ويخرج بعد الدخول * وتأبى الطباع خروج المغنى

(حكى) عن أبى الحسين الجزار انه جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فأذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب فى ورقة

الناس قد دخلوا كالابر أجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناد ياخصى ادخل فلما سمع أبو الحسين قول الحاجب ياخصى ادخل فقال هذا دليل على السعة وهذا جميعه مأخوذ من قول الآخر

أيدخل من يشاء بغير اذن * وكلهم كسير أو عوير
وأبقى من وراء الباب حتى * كأنى خصيه وسواى ابر

(وقال بعض الشعراء) وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول

يامن سما فى المكرما * ت وفاق أرباب الممالك
أعجب لأمر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

(وقال لحظة)

ولى صاحب زرته للسلام * فقابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا تغيب عن داره * لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائبا * لأدخلنى أهله للنكاح

(وقال آخر)

وكل خفيف الشأن يسعى مشمرا * اذا فتح البواب بابك أصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى ان يفتح الباب أجمعا

وانشدنى

(وأنشدني) صاحب الامالي

كم من فتى تحمد أخلاقه * ويسكن العارفون في ذمته
قد اكثر الحاجب أعداؤه * وأحقد الناس على نعمته

(حكى) أبو السعادات بن الشجري في شرح الحماسة ان أنس بن زنيم الهذلي وفد على عمرو بن عبد الله بن التميمي في جماعة من الشعراء فصده الحاجب عن الدخول وأذن لغيره من الشعراء فلما طال حجابه كتب اليه أبياتا منها

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغي * رضاك وأعصي أسرتي والادانيا
حفاظا وامسا كالما كان بيننا * لتجزيني يوما فما كنت جازيا
أراني اذا ما شمت منك سحابة * لتمطرني عادت عجاجا وسافيا
أقصى ويدني من يقصر رأيه * ومن ليس يغني عنك مثل غنائنا

فلما قرأ الابيات عنف حاجبه ثم أذن له وقال له ويحك ما هذا قال فعل حاجبك وطول مقامي وأنت تعطي من أقبل وأدبر فقال يا هذا أشهدت معي موذاة هجر قال لا قال ألك من يد تضربني بها أو تستحق بها على ما طالبت قال نعم كنت أجلس بين يديك وأسمع حديثك فانشر محاسنه واطوى مساويه فقال وأبيك ان في هذا لما يشكر كم أقمت بالباب قال أربعين يوما فأمر له بأربعين ألف درهم

(ولشهاب الدين) ابن أبي حجلة

الاقل لشمس الدين صاحبنا العيسى * أتينا مرارا نحو بابك بالامس
فان حجبتك الجدر عنا فربما * رأينا جلابيب السحاب على الشمس

وقال شرف الدين بن عنين (ومولده سنة تسع وأربعين وخمسمائة ووفاته سنة ثلاثين وستمائة)

أين غلمانك المطيفون بالبغـ ـلة والرافعون للاثواب
ردك الدهر كالغداء على النيـ ـل بلا حاجب ولا بواب

وعلى ذكر الحاجب فما أحسن قول القائل في مليح قلندري

بدا لي في حلق الحواجب فتنة * فقلت لعقل ذاهل فيه ذاهب
حبيبي بحق الله قل لي ما الذي * دعاك الى هذا فقال مجاوبي
وعدت بوصل العاشقين تعطفا * فلم يثقوا فاسترهنوا قوس حاجبي

(وقال) السراج الوراق فيه

عشقت من ريقته قرقف * وماله اذذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنوز الحظ من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله * فاختار ان يبقى بلا حاجب

(وقف) بعض المطاريح على باب بعض الامراء والطعام قد حضر فخرج حاجب الامير الى الباب فقال أيها المطبوع ألك حاجة قال نعم قال ماهى فقال له اذا دخلت فاقرئ خبز الامير السلام وما أظرف فى ذم الحاجب قول السراج الوراق

لاذقت ذل حجاب * ولا وقوفا ببـاب
فقد حنقت وقد قا * م شارب الجواب
ورحت أجرى وصحفـ * ـت موضعين لمـابى

(وقال زين بن الوردى)

يقول لى بوابه اذ رأى * بالباب منى وقفة الحائر
له محاريم بها شغله * قلت محاريم بلا آخر

(وقال السراج الوراق) مضمنا

وقطب عنـد دخولى اليـه * فتم له القبح معـنى وصوره
ولولا الضرورة مازرته * على الرغم منى وعند الضروره

(وقال جمال الدين) ابن نباتة

حجبتنى فازددت عندى علا * برغم من أقبـل كالعاتب
وقلت لا أعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

(وقال) محمد بن العفيف (ومولده سنة اثنين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة)

ولقد وقفت ضحى ببابك أرتجى * باللثم للعتبات حق الواجب
وأتيت أطلب زورة أحظى بها * فرددت ياعينى هناك بحاجبى

(وقال الشهاب) فتيان الشاغورى (ومولده سنة ثلاث وخمسمائة ووفاته سنة خمس عشرة وستمائة)

وافيت تهنية الوزير فلم أجد * لى فى الدخول ببابه من مسعد
لم أحظ الا بالقيـام لمن أتى * فحصلت منك على المقيم المقعد

(قصد جماعة) من الطفيلية وليمة فقال رئيسهم اللهم لاتجعل البواب لـكازانى الصدور

الصدور دفاعا في الظهور طراحا للقلانس هب لنا رأفته ورحمته و بشره وسهل علينا اذنه فلما دخلوا تلقاهم المضيف فقال الرئيس عزة مباركة موصول بها الخصب معدوم بها الجدب فلما جلسوا على الخوان قال جعلك الله كعصى موسى وخوان ابراهيم ومائدة عيسى في البركة ثم قال لاصحابه افتحوا أفواهكم واقيموا أعناقكم وابسطوا الاكف وأجيدوا اللقم ولا تمضغوا مضغ المتعللين الشباع المتخمين واذكروا سوء المنقلب وخيبة المضطرب خذوا على اسم الله تعالى (وقال زين الدين) بن الوردى

ماذا تقولون في محب * عن غير أبوابكم تخلا
وجاءكم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز أم لا

(وقال جمال الدين) بن نباتة

ما يقول المقام أيده الله ولازال للسعود يحوز
في ولي تبيا بكم ترك الخلق ووافي يجوز أم لا يجوز

(كان) الشيخ عز الدين بن عبد السلام اذا قرأ عليه الطالب وانتهى يقول اقرأ من الباب الذي تليه ولو سطرا فاني لا أحب الوقوف على الابواب وللنصير (الحمامي) بيتان كتبهما الى السراج الوراق على يد غلام يدعى ابراهيم وهما

عبدك ابراهيم وافى بها * وفى بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم انه يدخل

(الباب السادس في الخدم والدهليز)

كان يقال ان الخصيان ملائكة بني آدم وقيل لابي العيناء لم اتخذت غلامين اسودين خصيين قال لئلا أتهم بهما ولا يتهمانى وعرض على بعض الملوك غلام صبي خصي فقال هذا يصلح للفراش وللهراش وكان بعضهم يتخذ الخدام الخصيان و يختارونهم البيض الحسان فقيل له في ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل عرائس (وفيهم يقول)

ونساء لستريح مقيم * ورجال ان كانت الاسفار

(وفيهم) يقول محمد الخلوع القاهري

مبرؤن من الشعر الكريه ومن * حمل الايور واخراج المناتين
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيجاء يحمونى

(وما أحسن) قول الصابى فى غلام اسود (مولده سنة عشرين وثلثمائة ووفاته سنة ثمانين وثلثمائة)

لك وجه كأن يمناى خطته بلفظ يمله آمالى
فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى

وقال (الزين بن جبريل) المصرى

وخادم قد حباه القلب حبته * حباله وكسته صبغها المقل
كأن ماهو فى خد الجمال لمن * يراه خال وفى أجفانه كحل

(وقال ابن الجوزى) فى كتاب الاذكياء قال أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثى اجتزت ببغداد وأنا أحدث مع جماعة من مجان اصحاب الحديث واذ بخادم خصى جالس على الطريق وبين أيديه أدوية ومكاحل ومباضع وعلى رأسه مظلة تخرق فسألت عنه فقيل طبيب حاذق وهو من عجائب بغداد فتقدم اليه شخص من الجماعة وتغاشى وتماوت وتمارض وقال يا أستاذ يا أستاذ فعات فقال أى شئ يبكى ايش أصابك قولى لاشفاك الله فقال أجد ظلمة فى احشائى ومغصا فى أطراف شعرى وما آكله اليوم يصبح غدا مثل الجيفه فصف لى دواء فقال وكأنه أعد الجواب أما ما تجد من المغص فى أطراف شعرك فأحلق لحيتك ورأسك جميعا وأما ظلمة احشائك فعلقى على باب حجرك قنديلا وأما الثالث فكلى خراكى

(ولابراهيم) المعمار فى خادم هندى

تملك قلبى خادم قد هويته * من الهند معسول اللما أهيف القد
أقول لصحبى حين برنوا بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

(وقال)

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع فى الهوى أسالها

(ولقد) أجاد من قال

ان لمعت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالا لها * فى الارض فالسود نجوم النهار

(نادرة)

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان من أوحش ما يكون فاتفق ان أجرى عنده ذكر مغن جميل فقال بلغنى ان فلسه أسود فقال له بعض الحاضرين والله يا مولانا فلسه خير من دينارك فاخجله

(ومن ظريف) ألقاب الخدام ما لقبه سيدى المقر المجدى فضل الله بن مكانس أحسن الله له العاقبة لخدمه وهم اشراق الدين هلال ونظام الدين لؤلؤ وسيف الدين فولاذ (وأنشدنى) من لفظه لنفسه اجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى بكر بن عمر المخزومى المالكى أدام الله أيامه ونقلتها من خطه

علقته خادما لطيفا * لم اصغ فيه الى الملامه
اليه قلبى انثنى وطرفى * مذ لاح بين الانام شامه

(وللشيخ) جمال الدين بن نباتة فى خادم اسمه كافور

يا لائمى فى خادم لى سيد * قسما لقد زدت السلو نفورا
ولقد أدرت على المسامع قهوة * فى الحب كان مزاجها كافورا

(ابراهيم) المعمار

وخادم قبلت مشروطه * فى خده لكن رأيت العجب
من ناعم حلو فناديته * ما انت يا مشروط الارطب

(وقال) ابن نباتة أيضا

بروحى مشروط على الخد أسمر * دنا وفا بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وقال)

أرى لصواب يا ابرى صفات * تحث على الخلاعة والتصابى
فبادره فأنت به خبير * ومثلك لا يدل على صواب

وقال (صلاح الدين) الصفدى فيه

اذا ما قام ابرك فى الدياجى * وعندك من تحب فلا تحابى
وقم نحو الطواشى واعتنقه * ومثلك لا يدل على صواب

وقال (الشيخ زين الدين) بن الوردى

أأخشى من الاعداء والله ناصرى * بخدام حظ ان دعوت أجابوا

فقلبي مسرور وسعدي مقبل * وحزبي نصر والمقال صواب

(قلت) واذا ذكرنا ماورد في مدحهم فلا بأس بايراد نبذة من غيره (قال) الجاحظ (توفي سنة خمس وخمسين ومائتين وقد نيف على التسعين سنة) ضيق الصدور وشدة النفور وطول الاعمار وقلة الاصطبار وكبر الاقدام واضطراب الاجسام وانكار الحرمة وقلة الرحمة وسرعة الدمعة وابتغاء الصنعة وطحن المعدة ولطف القيادة واسترخاء السرج وقلة الجرح وسوء الخلق وكثرة الحرق وشدة الحسد وانقطاع الولد والمشي بالنمائم والنظر الى المحارم وتربية البغول والبغض للفحول خلاف النساء والرجال لايحوز به الاستحلال مهلوس عبوس غايته طرسوس مؤاجر في صغره قواد في كبره ان ركب ركض وان مشى مرض مختلف الرأي والعقل متخلق باخلاق البغل ان لاينته جمح وان خاشنته رمح وان أجعته طمح وان أشبعته سلح يبول في فراشه اذا عمل النبيذ في مشاشه ان حرد كفر وان قدر قهر مختون على غير ملة حاذق بالهريسة والاخلة ان غضب بكى وان رضى شكى وان هزل انطوى وان سمن التوى معدن للطائر ألوف للجرائر ان ائتمنته خانك وان أكرمته هانك وان أهنته أكرمك وان أغضبته شتمك صاحب صوارات وجلاهق وحمام وبنادق حاص دجاج وفراريج وطير ماورداريج ان أمسكته خسرت وان بعته ربحت وان طردته وقفت وان قتلته أجرت صالحهم مأبون وطالحهم ملعون شره عتيد وخيره بعيد معروف موصوف بالجلف مسترخي البدن طويل الحزن بين الموق بادي العروق يأتي العرقوب كثير العيوب طويل الذراع كثير النخاع مسلوب زينة اللحى محروم لذة النساء يتزوج بالابكار ويهتك الأستار يابس المصانع عارى الاشاجع شديد النفاق قليل الانصاف بين النفاق كثير البقباق شره عند الطعام سفيه على الاقوام فقير ذو مال وحيد ذو عيال شرس حسود حرون جحود بعيد من الحياء بارد اللقاء يتلقاك بالبكاء ان قلت نعم قال لا أو قلت لا قال بلى ان منع فمن حمق وان أعطى فمن حرق جوعه جبان طويل الاحزان مظلوم القلفة خالي المعرفة أقلف مختون خائن مأبون ترضيه اللقمة ويخدع بالطعمة أكثر الناس غلمة وأقوده في الظلمة واحذقه

بالاجازة

بالاجازه واعرفه بجاره واعمله لمزماره وانحته لمصايد الفار وأبيعه للتكاك وأصيده للسمك اذا أمن ملعقته غرزها فى منطقته مأواه الدهليز وخبزه على الافريز لهج بالقمار عليه سوء الدمار من قلة مروأته يدخل الفحل على امرأته ويجمع لها بكده وينفقه على ضده لابد له فيها من شريك فهو مغرم وغيره ينيك بستر عورته عن الانام ويبدى سوأته للطعام يقطع الصلاة ويمنع الزكاة بيعه الزمارات ونعته فى الصورات يأكل بشدقين وينفق بيدين فضله محبوس ودعاؤه منكوس (وقال) الجاحظ أيضا كان من ظريف مايقص القاضى عبد الاعلى قوله فى الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت مقعدته ولانت جلدته وانجردت شعرته وكثرت غلمته واتسعت فقحته وغرزت دمعته (وقال) غيره من جب زبه ذهب لبه وفى ذلك قول أبى الطيب المتنبى (ومولده سنة ثلاث وثلثمائة ووفاته سنة أربع وخمسين وثلثمائة)

وقد كنت أحسب قطع الخصى * بأن الرؤس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله * وجدت النهى كلها فى الخصى

ونقلت من خط الوزير العلامة المفنن فخر الدين بن مكانس سامحه الله تعالى أنه قال سافرت مرة سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين بن قرونية رحمه الله تعالى الى دمشق المحروسة عند ما تولى نظر مملكها ووالدى رحمه الله استيفاء بها وكان له دوادار يسمى صبيح ويلقب جودر من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنائم وكان كثير النوادر لطيف الدعابات فاتفق ان جمال الدين ابن الرهاوى موقع الوزارة ركب يوما فتقنطر به الفرس وداسه على رأس أحليله فحمل الى داره وأقام أياما الى ان عوفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال له الصاحب فخر الدين ماسبب تأخيرك قال له تقنطرنى الفرس وداس رأس احليلى فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح جودر الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوى وانصرف (عود) الى ما كنا فيه وصف الجاز رجلا بالرعونة فقال هو كالخصى يفتخر بزبه مولاه (قال) كشاجم فى خادم اسود جائر

يامشبها فى فعله لونه * لم تعدما أوجبت للقسمه

فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(وقال) آخر وأجاد

خزوا مدا كره بحق واجب * اذ عندهم علم بخسة أصله
لو أنهم تركوه يبقى سالما * ملأ البلاد أراذلا من نسله

(وقال) بعضهم وأصاب

ان عاينت عيناك ظبيا سانحا * مع خادم يرعاه وهو شرود
فأقنصه لطفا بالزمام ولا تخف * منه نفورا فالزمام يقود

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان أوحش ما يكون فاتفق ان أجرى عنده ذكر مغن جميل فقال بلغني ان فلسه أسود فقال بعض الحاضرين والله يا مولانا ان فلسه خير من دينارك فأخجله (نادرة) قيل ان بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما وجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النجس فعل بالخويدم الصغير فقال له مولانا السيد الكبير فجعل منه وأخرجها في مجانه (وما أظرف) من قال موالیا

ستي الكبيره لما الخدام والحشمه * تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشي أخشت لو نال من كله * راحت يمين القواقيه على قرمه

(وقال) ابراهيم المعمار

وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد منهم غنائم
فلا تك ممن يتهمهم لحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

(أهدى) بعض عمال مروان بن محمد الجعدى الاموى لمروان عبدا أسود فقال لكاتبه عبد الحميد اكتب الى هذا العامل كتابا مختصرا وذمه على ما فعل فكتب اليه لو وجدت لونا أشر من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته والسلام (ومن أحسن) ما ورد في ذم السواد لا يحرم فيه محرم ولا يكفن فيه ولا تجلى فيه عروس (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

كان لي عبد يسمى فرجا * نصب الغير عليه الشبكا
فأنا الآن كما تبصرني * ليس عندي فرج الا البكا

(القول) في الدهليز بكسر الدال فارسي معرب والجمع الدهاليز وهو بين الباب والدار

والدار وأحسن مافيه

ودهليز دار فيه للعين بهجة * وللنفس فيه للذاذة أوطار
اذا داخل لم يعتبر ماوراءه * توهمه من حسنه انه الدار

(وقال) يحيى بن خالد ينبغي للانسان ان يتأنق في دهليزه لانه وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق حتى يؤذن له وموضع المعلم ومقيل الخدم ومنتهى حد المستأذن (وقال) بعضهم اذا كمل للانسان في داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال بما فاته منها وذكر من جملتها الدهليز (وللشيخ) برهان الدين القيراطي فيه

أكرم بدهليز سما * فاذا الكواكب من رفاقه
دهليز مولى سعده * مازال يخدم في وطاقه

(قلت) من كان له عبد واسمه سعد ففي غاية الحسن (وقال) الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة بيتين وفيهما مافيهما

دار بها بدر الدين أشرق نورها * فبياضها من نوره مجبول
دهليزها حلو البنا يبدو لنا * طعمية في بابه ودخول

---

*(الباب السابع في البركة والقوارة والدواليب
ومافيهن من كلام وجيز)*

البركة هي الموضع المبني لاجتماع الماء ويسمى أيضا الصهريج بكسر الصاد وهو اسم مشتق لها من الصهروج الذي تبنى به والصهروج الكلس نفسه يقال بركة مصهرجة اذا كانت مبنية بالصهروج وقال الجوهري البركة كالحوض والجمع البرك ويقال سميت بذلك لاقامة الماء فيها (حكى) الاديب أبو الربيع سليمان بن اسمعيل بن أبي الليث المسيحي قال جمعنا مجلس أنس مع الاديب أبي اسحاق ابراهيم بن أبي الثناء المسيحي بالفيوم وكان في بستان فيه بركة عليها قوارة من الماء فتجاذبنا اهداب وصفها (فقال أبو اسحاق)

بركة يصعد الانابيب منها * يقعد الماء فوقها ويقوم
فلدا أطلعت فواقع تبدو * كالقوارير من زجاج تعوم
وكأن السماء صفحتها الزر * قاء والياسمين فيها نجوم

(قال وقلت أنا)

وبركة تذهل العقول لها * تحار فى حسن وصفها الفكر
كأنها مقلة محدقة * عبرا من الوجد نالها السهر
تبكى وما فارقت لها وطنا * يوما ولا فات أهلها وطر
تخال أنبوبها لصحته * والماء يعلو به وينحدر
كصولجان فضة سبكت * فواقع الماء تحتها أكر

(قال) الشيخ صفى الدين الحلى (وتوفى سنة خمسين وسبعمائة)

والريح تجرى رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق فى زى مأسور
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

(ولقد) أجاد ابن طباطبا فى قوله (ومولده سنة ست وثمانين ومائتين ووفاته سنة ثمان وأربعين وثلثمائه)

كم ليلة ساهرت أنجمها التى * عرصات أرض ماؤها كسمائها
قد سيرت فيها النجوم كأنما * فلك السماء يدور فى ارجائها
أحسن بها بحرا اذا التبس الدجى * كانت نجوم الليل من حصبائها
ترنو الى الجوزاء وهى عريقة * تبغى النجاة ولات حين نجاتها
تطفو وترسب فى اصطفاق مياهها * لا مستعان لها سوى أنمائها
والبدر يخفق وسطها فكأنه * قلب لها قد ريع فى احشائها

(ولا مزيد) فى الحسن على قول عبد الجبار بن حديس الصقلى يصف دوحة واسودا تترى بالماء (توفى المذكور سنة تسع وعشرين وخمسمائة)

وضواغم سكنت عرين رياسة * تركت نرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها * وأذاب فى أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك * فى النفس لو جدت هناك مثيرا
وتذكرت قناتها فكأنما * أقعت على أذنابها للشورى
وتخالها والشمس تجلو لونها * نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول * ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه * ردعا فقدر سرده تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها * عيناك بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية شرعت الى * شجر يؤثر فى النهى تأثيرا

قد صوحت أغصانها فكأنما * قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما يأتى لوقع طيرها * ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقفة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس يقلن من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما فى كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك فى الصهريج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا

(وقال القاضى) شهاب الدين بن فضل الله (مولده سنة سبعمائة ووفاته سنة تسع وأربعين وسبعمائة) فى ترجمة مجير الدين بن تميم (ووفاته سنة احدى وثمانين وستمائة) وحكى انه جلس على بحيرة أشرقت سماؤها وطاف بكعبة المجلس ماؤها والشمس قد توسطت الظهيره وأرخت ذوائب أشعتها الظفيره واللجة قد نصبت فى كل ناحية حباله وتناومت عينها فما رأت من الشئ الا خياله والماء قد لبس من شعاع الشمس الغلاله وغابت سباع البركة فلعبت الغزاله (فقال)

ولما احتمت منا الغزالة بالسما * وعز على قناصها أن ينالها
نصبنا شباك الماء فى الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

(وذكر) هذه الترجمة فى كتابه مسالك الابصار من كلام على بن طافر العسقلانى قال جلسنا على بركة ألقى عليها ورد أحمر ملأ بكثرة نجومه فسحة سمائها وصبغ بحمرة شعاعه صفحة مائها واهدى زمرده الى مقلتها الزرقاء فصح سرورنا ببدائها

(وقال) المذكور فى كتابه بدائع البداية أخبرنى القاضى الاعز بن المؤيد رحمهما الله تعالى قال اجتمعت مع جماعة من ادباء الاسكندرية فى بستان لبعض اهلها فللنار وضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قيان أطياره وبين أيدينا بركة ماء كجو سماء فنثر عليه بعض الحاضرين ياسمينا زان سمائها بزواهر منيره واهدى الى لجتها جواهر نثيره فتعاطينا القول فى تشبيهه وأطرق كل منا لتحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ما حررنا ونشرنا ما حبرنا (فانشد) عباس بن ظريف

نثر الياسمين لما جنوه * عبثا فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى * زهر الارض فى أديم السماء

(قال والذى صنعته أنا)

نثروا الياسمين فى صفحة الماء * فخلنا النجوم وسط الماء

فكأن السماء في باطن الار * ض أو الدرطف فوق الماء

(وقال مجير الدين) بن تميم في مليح يشرب من بركة

أغدى الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة رقت وطابت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

(نادرة) اكترى نحوي جملا ليحمل له زيرا فلما وصل الى البيت وفيه بركة قال له النحوي اقفزن فقفز فوقع فانكسر الزير فقال ما هذا قال جانب البركة ساكن والنون في اقفزن ساكنة فتحرك الزير بينهما بالكسر فقال أحسنت ما أنت الا عالم بيض الله وجهك (وقال الشريف العقيلي)

و بركة قد أفادنا عجبا * ما ماج من مائها وما انسكبا
من حول فوارة مركبة * قد انحنى ظهر مائها تعبا

(وقال شمس الدين الطيبي) أحمد بن أبي المحاسن (مولده ببخارى سنة تسع وأربعين وستمائة ووفاته سنة سبع عشرة وسبعمائة بطرابلس)

النهر وافى شاهرا سيفه * ولمعه يختلس الاعينا
فماجت البركة من خوفه * وارتعدت وادّرعت جوشنا

(وقال مجير الدين ابن تميم مضمنا)

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس في أمواجها لألاء
رأيت أعجب ما يرى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

(وله مضمنا)

لقد نزهت عيني انابيب بركة * تقابلني أمواجها بالعجائب
انابيب زادت في علو كانما * تحاول ثارا عند بعض الكواكب

(وله)

يا حسن نوفرة بدت في بركة * أبدا يفيض الماء فيها ديدنا
ما ان بدت الا وظلت مفكرا * في قد نوفر راح ينبت سوسنا

(وقال الوجيه المناوي)

فوارة تشبه في شكلها * سبيكة من فضة خالصه
تلهيك يا لحسن فقد أصبحت * جارية ملهية راقصه

(وقد) عكس بعضهم هذا فقال

وقينة

وقينة ملهية قد غدت * تستوقف السامع والرائى
جارية راقصة أشبهت * فى وصفها فوارة الماء

(وقال) ابن حجاج (توفى سنة احدى وتسعين وثلثمائة)

صنعت فى دارك فوارة * أغرقت فى الارض بها الانجما
فاض على نجم السهى ماؤها * فاصبحت أرضك تسقى السما

(وقال ابن تميم) فى بركة بشاذروان

الارب يوم قد تقضى ببركة * أقمت بها فيما جرى متحيرا
بعينى رأيت الماء فيها وقد جرى * على راسه من شاهق فتكسرا

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطى)

مذهب شاذر وانا الـ ـعالى المقام والرتب
نال الغنى الماء به * حين مشى على الذهب

(وقال فيه)

لحسن شاذروانا * كل القلوب تعشق
من أجل ذا الماء له * قلب به معلق

(ومن كلام) سيدى تقى الدين ابى بكر بن حجة فى الفوارة كأنها سنان تطعن فى صدر الظما أو شجرة كدنا انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السما أو معترف بندا الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضا أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء يودع حتى قلنا ان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حباب النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية تحاول ثارا عند بعض الكواكب (وقال شهاب الدين بن أبى حجلة)

وشاذروان ماء بات يجرى * كعين الصب دمع يوم بين
اذا ما قيل جدا لماء سريعا * يقول نعم على رأسى وعينى

(وقال) شيخنا الشيخ زين الدين بن العجمى (توفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة)

تسلسل مائى وهو لا شك مطلق * وصح حقيقة حين قالوا تكسرا
وفى قلب مائى للقلوب مسرة * وقالوا سيجرى بالهنا وكذا جرا

(قلت) وقد تصرفت الفضلاء متأخرو العصر فى هذه اللفظة أعنى وكذا جرى

تصرفات حسنه فنهم القاضى صلاح الدين الصفدى (فقال)

أملت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا يرى
وعلمت يوم فراقكم لابد أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

ومنهم الشيخ عز الدين الموصلى (فقال)

رب نسيم قد سرى * يحدو سحابا ممطرا
أذيالة بليلة * تخبرنا بما جرى

وقال أيضا

حديث عذار الحب فى خده جرى * كمسك على الورد الجنى تسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطى)

لم يبك حين بكيت من * هجرانه متحسرا
لكن حكا لك خده الـ * ـمصقول صورة ما جرى

وقال

كابرت عدل صبوتى * فى الدمع حين تحدرا
قالوا بكيت صبابة * فأجبت هذا ما جرى

(وأنشدنى) سيدى وأخى تقى الدين أبى بكر بن حجة أبقاه الله تعالى لبعض المغاربه

وتحدث الماء الزلال مع الحصا * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء شيأ ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

(رجوع الى ما كا فيه) قال ابن ظافر العسقلانى فى كتابه بدائع البدائه مررنا فى بعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل فرأينا بئرا عليها دولابان متحاذيان قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الامانى بالمفاليس وهما يئنان أنين أهل الاشواق ويفيضان دمعا أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راق حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى اجياد الغصون والسواقى قد أدلت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد علاه من الظل الى

وحيات

وحيات المجارى حائرة تخاف ان يدركها من زمرد البنان الهمى والبحر قد صقل صيقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل السماء ردعه فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا وقلوبنا التذاذا وملنا الى الدولاب بين شاكين أرمزا حين شجت قيان الطير بألحانها أم شدت على عيدانها أم ذكرا أيام نعماوطابا وكانا اغصانا رطابا فنفيا الذيذ الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع (وقال مجير الدين بن تميم مضمنا)

ودولاب روض كان من قبل أغصنا * تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى

(وقال)

تأمل تر الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن النسيم الرطب قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (توفى سنة ثمانين وستمائة)

وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا
من حين ضاع زهرها * دار عليه وبكى

(واستعمل) هذا المعنى صلاح الدين الصفدى فى غير الدولاب فقال

أضحى يقول عذاره * هل فيكم لى عاذر
الورد ضاع نجده * وأنا عليه دائر

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة

أعجب لها ناعورة قلبها * للماء منشى العيش والعشب
تعبانة الجسم ولكنها * كما ترى طيبة القلب

(وقال) سعد الدين بن عربى (ومولده سنة ست وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة اثنين وستمائة)

شاهدت دولابا له أدمع * تكلفت للروض بالرى
فأعجب له من فلك دائر * ما فيه برج غير ماء

(ولآخر)

أبدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه
انى من العجب العجيب كما ترى * قلبى معى وأنا أدور عليه

(قال) أبو حنيفة الدينورى الدولاب بضم الدال وفتحها كذا سمعته من فصحاء العرب (ولآخر)

لله أزهار دوح بات يضحكها * صوت الغمام بدمع منه منسفك
حكت نجوم السما أزهارها فكذا * أضحى يدور بها الدولاب كالفلك

(وقال) ابن نباتة

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى فانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

(ولآخر)

وذات شجو أسالت * مدامعا لم تصنها
تبكى بفرط دموع * وتضحك الروض منها

(ولآخر)

أشبه ما بين القوادس صوتها * ومن كل وجه ماؤها يتحدر
بارملة ضمت اليها بناتها * تنوح بشجو والمدامع تقطر

(ولآخر)

وناعورة قد ضاعفت بنواحها * نواحى وأجرت مقلتاى دموعها
وقد ضعفت مما تأنّ فقد غدت * من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

(سأل) الشيخ نجم الدين القحفيرى جماعة من الطلبة المشتغلة عليه عن قول الشاعر (ومولده سنة ثمان وستين وستمائة ووفاته سنة أربع وأربعين وسبعمائة)

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
أبن لنا دايرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا فى الساقية لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوت الساقية حال دورانها فقال له الشيخ الا أنك درت فيها زمانا حتى ظهرت لك وهذا الكلام فى غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى (وقال ابن تميم)

وناعورة قد ألبستها حبالها * من الشمس ثوبا فوق أوراقها الخضر
كطاووس بستان يدور ويجتلى * وينفض عن ارياشه بلل القطر

(وله)

(وله)

أيدت لنا بالعذر ناعورة * أدمعها فى غاية السكب
تقول لما غاب قلبى وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صرت جسمى كله أعينا * تدور فى الماء على قلبى

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

ناعورة مذعورة * للبين ثكلى حائره
الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

(وله)

حالة الدولاب دلت * انه فى فرط حزن
كان يسقى ويغنى * صار يسقى ويغنى

(وقال) مؤلف الكتاب من مرثيته التى رثى بها دمشق وغيرها عند حلول الواقعه المشهورة من التتار

أعروسنا لك أسوة بحماتنا * فى ذا المصاب فأنتما اختان
غابت بدور الحسن عن هالاتها * فاستبدلت من عزها بهوان
ناحت نواعير الرياض لفقدهم * فكأنها الافلاك فى الدوران

(وقال ابن تميم)

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه فى الرياض طيور
ودولابها كادت تذوب ضلوعه * لكثرة مايبكى بها ويدور

(وقال جمال الدين بن نباتة)

وناعورة قسمت حسنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكى على الضائع

وقال مؤلفه ارتجالا جسيما اقترح عليه والحالة كذا

كأن البحر اذ يزهو صفاه * ونور البدر يشرق والسواقى
دموعى ثم وجهك يا حبيبى * وقلبى اذ شكا ألم الفراق

(قلت) ومن المداعبات اللطيفة ما كتب به المرحوم القاضى فخر الدين بن مكانس الى الشيخ بدر الدين البشتكى سلمه الله تعالى (مولده سنة ثمان وأربعين وسبعمائة) وقد دار فى ساقية الهمائل وهو

دورة البدر فى سواقى الهمائل * تركت أدمع العيون هوامل
آه من للرياض نور أديب * مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بنى عجل فى الجـ * ـود وأغنى عن الولى الهاطل
زاد علما على أبى نور اكن * قال بالدور ماؤه والسلاسل
قد أعاد الجناس حسن نوار * وأتته ثورية فهو كامل
يا سعيدا أثرى من النظم والنثـ * ـر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو * رفها غصنها من السكر مائل
لم تدع من نباتة لم تجدها * انها بالثنا عليك تواصل
وابن قادوس كان طالع فى خد * متك اليوم بالاوامر نازل
وغدا بالظلال كل أديب * فى هجير الرمضاء يغضلك قائل
وبروحى عيون نرجس روض * يغزل الحسن بالندا ويغازل
أنت شنفتها بشعرك زهرا * و بعثت المياه فيها خلاخل
كم غصون أينعتها فعليها * هاج للطير والمحب بلابل
أنت فى الحالتين تصريف الاحـ * ـرف أو كيمياء ذهنك واصل
أنت لو لم تكن بحار علوم * ماجرت فى الرياض منك جداول
كنت عندى أجل قدرا وقدر * ت من الثور للوجود الحامل
وغدا قس بين لفظك والرو * ض على الحالتين عندك باقل
أنت يا بدر فقت بدر الدياجى * فلهذا تبدو وذلك آفل
يا خليا أبثه الشجو ان لم * يك عنى كدمع عينى سائل
والأديب المحب يشكو هواه * للاديب المحب عند النوازل
أنا مغرى بحب أحور المى * نا فثى يزرى بغصن الخمائل
من بنى الترك قده اللدن واللحـ * ـظ كلا الفاتنين أصبح ذابل
أعين الزهر والغصون تراها * شاخصات اذا مشى ومواثل
لا تقل فى الاعراب تحكم حسنا * ماترى للاعراب هذى العوامل
ماس عجبا وقصده يقتل الخلـ * ـق دلالا وللدلال دلائل
لا تلم فى عذاره هتك شيبى * أنا قد بعت آجلى بالعاجل
ولعمرى أنت الذكى ولكن * أنت والله عن غرامى غافل

ولئن كنت عاقلا انني من * صبوتي في الهوى عن العقل عاقل
هاك حالي شرحته فاغثني * ان تكن يا أخي لهمي حامل
واطرح عتبها فعيش المحبين محبون والعيش كالظل زائل
دمت يا جامع المحاسن والشمـ * ـل ولازال غيث فضلك شامل
أنت بدر أم انت شمس فانا * قد رأيناك غرة في الاصائل
وكفيت الحرار يا أشرف القو * م ومن جوده ينمى ابن باخل

(الباب الثامن في الباذهنج وترتيبه)

(قال) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في باذهنج مطل على البحر

أنا نعمى من ابتهج * انعش الروح والمهج
وعن البحر بانسيم * حدث ولا حرج

وقال ابن سناء الملك (توفي سنة ثمان وستمائة)

وباذهنج علا علاه * لكنه قد هوى هواه
دام عليك النسيم فيه * كأنه يطلب الشفاه

(وقال) أبو الحسن عبد الكريم الانصاري

ونفحة باذهنج أسكرتنا * وجدت بروحها برد النعيم
أتينا من أنيق الشكل سمح * تراه مثل راووق النديم
صفا وجرى الهوى فيه رقيقا * فسميناه راووق النسيم

(ومما) يحسن ان ينشد على لسان الباذهنج قول بعض العرب

اذا الريح من نحو الحبيب تبسمت * وجدت لرياها على كبدي بردا
واني بتهباب النسيم موكل * طروب وبعض القوم يحسبني جلدا

(وللشيخ) برهان الدين القيراطي

ياطيب نفحة باذهنج لم يزل * بهوائه لنفوسنا تنفيس
مغرى بجذب الريح من افاقها * فكأنه للريح مغناطيس

(وللشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة

وباذهنج لاخات * ديارنا من أنسه
كأنه متيم * يلقى الهوى بنفسه

(وله)

وباذهنج غدا فى الجوّ منظره * من فوق منظره تبدو على سنن
فانظر فديتك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاء ياسكنى

(وله) ياباذهنجى كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حقا زائدا * رفعت رأسك للسما

(وله مضمنا)

ودار حكت قصر السموءل فاغتدت * تباهى ببنيان لها وتقول
أرى باذهنجى فى الهواء ارتفاعه * يعز على من رامه ويطول

(وله مضمنا)

ياباذهنجى أما ترثى لذى حرق * يبدى لهيب الجوى منها يخفيها
عودتنا صدقات من لطيف هوى * فامنن على بريح منك يجريها

(وله مضمنا)

ياباذهنجى لا برحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بجسمك دائما مشغوفة * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

(وله)

وباذهنج تراه * كغصن بان ترنح * يهتز عند العطايا * لانه يتريح

(وله ملغزا فيه)

وذى جناح طوله * أضعاف ما فى العرض
ما جار فى شرع الهوى * وحكمه اذ يقضى
ولم يطر مع كونه * بين السما والأرض

(وقال أبو الفتح) بن قادوس يهجوه

لك باذهنج قلب صب له * نفس يصاعد لوعة الحرق
مات النسيم به فأجمعنا * نبكى عليه بأدمع العرق

(ولصدر الدين) بن عبد الحق (توفى تقريبا سنة ثمانين وسبعمائة)

فى الباذهنج لاتنم * فما لمرضاه دوى
لا يأمن الشخص الذى * يسرق فى الليل الهوى

(ولشهاب الدين بن أبى حجلة)

وباذهنج ريحـه * تضرم نيران الجوى
مدحتـه جهلا به * فراح مدحى فى الهوى

(وله مضمنا فيه)

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه أبدا عليـل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

(وقال) شهاب الدين السنبلى المالكى (توفى سنة أربع وستين وستمائة)

و باذهنج اذا حر المصيف أتى * أهدى النسيم وقد رقت حواشيه
مصغ الى الجو مانا جاه نافحة * الا ونم عليه فهو واشيه

(وأكثر الناس) ولوعا بالباذهنج القاضى الفاضل فانه قال من رسالة انى من مدة سنتين وما قاربهما وهى المدة من تاريخها فرح بهجرة وكرى وعلوسعر شعرى قد نظمت مائتين وخمسين ألف بيت من الشعر بشهادة عيانها وحضور ديوانها مثل قولى فى باذهنج شديد الحرور كأنما يتنفس نفس مصدور ما يناهز ألف بيت كل مقطوع منها يخرع العقول اختراعه و يعيى المحاسن بديع ابتداعه ومثل قولى فى رجل طويل الآذان كأنهما فى رأسه خفقان أو قد عجل له منهما نعلان ما يقارب ألف بيت تجاوزت بهما وأوريت وما ادخلت منها الشاعر الى بيت ومثل قولى فى رثاء الوطن الذى درجت من وكره وخرجت فلم أخرج عن ذكره ما يناهز عشرة آلاف بيت ومثل قولى قوله فانه قال من رسالة الخ هذا مارأيناه بالاصل فليحرر اه

فى مدايح منصوصه * واهاجى مخصوصه

(وللشيخ) برهان الدين القيراطى ملغزا فيه

أهواءنا المختلفه * قد أصبحت مؤتلفه
فى شامخ بأنفه * على العوالى أنفه
وذى جناح لم يطر * وكل طير ألفه
جناحه طول المدا * يبدى عليه رفرفه
كم من كئيب عاشق * أهدى له مشرفه
ولا يزال مرسلا * لنحوه ملطفه
فى الريح ضاع قول من * على هواه عنفه
عليله الصحيح كم * شفى قلوبا دنفه

ورد وجه لطيفة * وذاته منحرفه
عن قبلة الدين أرى * حب الهوى قد صرفه
ولم يكن مع الهوى * أعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه * كيف يشاء صرفه
كم عممت غمامة * هامته المنكشفه
مازال غير ساكن * ساكنه مذ ألفه
وكلما لاح له * من الهواء التفه
فني الوليد ذاته * بذاته مؤتلفه
سكانها سميها * في الغرب بيدى حيفه
فيه تشتى عصبة * قد أصبحت مصيفه
ببدر ذو الرشد ولا * ينسبه الى السفه
جدت مع تبذيره * وبذله تصرفه
وكل ما أسرف في * بلد شكرنا أسرفه
ونصفه مع جبل * ملك سطاه متلفه
تصحيف ثالثيه جلت * فض حديثه الشفه
وثلثه حرفان بل * حرف قدع من حرفه
أنفاسه كم أودعت * محاسنا مستطرفه
كم رنحت من غصن * ذى قامه مهفهفه
معتدلة هو الصحيح * عند من قد عرفه
وعرفه يعرفه * بالطيب حل عرفه
وثوبه الابيض لا * يزال بيدى صلفه
آخره مصنف * لعالم قد صنفه
وبيت سلطان غدا * يصون فيه تحفه
يكنى بسدسى لفظه * عصابة مستكفه
وسدسه أرى العمى * والارض والماء يألفه
فاكشف معمى قلبه * فثلثكم من كشفه
نهار ذهنكم محى * من الظلام سدفه

يجرى

يجرى لحل المشكلا * ت لم يخف توقفه
وبحركم دروما * صادفت فيه صدفه
وللرقاب قادت * هباتك المؤلفه
كل البرايا نكرة * وأنت فيهم معرفه
وخذعروسا شنفت * مدجليف مشنفه
زهير لوبان له * زهر جلاها قطفه
أغشى سناء طرفها * اذلاح طرف طرفه
حديقة حاسدها * يرعد مثل السعفه

(الباب التاسع فى النسيم ولطافة هبوبه)

وانما ذكرت النسيم لانه من لوازم البادهنج والنسيم الريح الطيبة ونسيم الريح أولها حين تقبل باين قبل ان تشتد (ومنه) الحديث بعثت فى نسيم الساعة أى حين ابتدأت واقبلت وما أحسن قول بعضهم * نسيم الريح نسيب الروح (قال) أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى الرياح المعروفة أربع (الصبا) وهى تسلى عن الكروب (والجنوب) وهى تجمع السحاب (والشمال) وهى تعصره وتفرقه (والدبور) وهى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى المذكورة فى القرآن الريح العقيم وريح عاصف وريح صرصر وكل موضع جرى فيه ذكر الريح فالمراد بها الدبور والمراد بها العقوبة وكل موضع جرى فيه ذكر الرياح فى القرآن فانه يرجع الى الثلاثة التى تقدم ذكرها فيراد به الرحمة (وقيل) الرياح ثمان أربع من الجهات الاربع وأربع تسمى النكب لميلها وتنكبها عن الجهات الاربع فالشمال من ناحية الشام وذلك عن يمينك اذا استقبلت قبلة العراق فهبوبها من تحت بنات نعش ويقابلها الجنوب وهى باردة يابسة صافية من الكدر تشد الاعضاء وتسد المسام وتحصر الحرارة فى الباطن فينهضم الغذاء وتصفو بها كدورة الروح الحيوانى الذى فى القلب من الابخرة الدخانية وتديم الصحة وتقوى حواس الدماغ وذلك ان وصلت الى الجسم باعتدال وهى قليلة الهبوب ليلا ولذلك تقول العرب فى أحاديثها ان الجنوب قالت للشمال ان لى عليك فضلا لانى أسرى وأنت لا تسرى فقالت الشمال

ان الحرة لا تسرى وكان للمتوكل بيت مال يسميه بيت مال الشمال فكلما هبت شمالا تصدق بألف درهم وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قول) سحيم عبد بنى الحسحاس

وهبت شمالا آخر الليل سحرة * ولا ثوب الا درعها ورداثيا
فما زال بردى طيبا من نباتها * الى الحول حتى انهج البرد باليا

فقال عمر أنك مقتول فاتهم بعد ذلك بامرأة فقتل (قال) أبو نواس (توفى سنة ثمان وتسعين ومائة) وفيه ثلاث روايات

هبت لنا ريح شامية * مذ ت الى القلب بأسباب
أدت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين أصحابى

(يحكى) ان الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى (مولده سنة ست وعشرين وثلثمائة ووفاته سنة خمس وثمانين وثلثمائة) كان اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما (قال) الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف القيسى حدثنى من دخل سجستان وكرمان ان جميع ارجائهم ودواليهم تدور بريح الشمال قد جعلت منصوبة تلقائها وان هذه الريح تجرى عندهم على الدوام صيفا وشتاء وهى فى الصيف أكثر وأدوم وربما سكنت فى اليوم والليلة مرة أو مرات فيسكن كل رحى ودولاب بذلك الاقليم ثم يتحرك وذكر ان هذه الدواليب المنصوبة بها اثنا عشر ألفا وتنقطع بانقطاعها قال والخصب والقحط فى بلادهم معتبر بكثرة جريان ريح الشمال وقلته قال ولهم فى الارحاء منافس تغلق وتفتح ليقل ويكثر وذلك انها اذا كانت قوية أحرق الدقيق فيخرج به اسود وربما جى الرحاء فانغلق فهم يحتاطون لذلك بما ذكرناه والصبا تأتى من مطلع الشمس وهى القبول والدبور يقابلها وهى معتدلة ولاسيما ان هبت قبل طلوع الشمس فى زمان الربيع وهى لطيفة صافية تذكى الاذهان وتبسط الأخلاق لاسيما ان مرت بمروج أزهار نافعة فانها تحمل قواها الى القلب والدماغ والى نفعها أشار الشاعر

وصبا أتت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيربين عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

(وقال سيف الدين) المشد (ومولده سنة اثنين وستمائة وتوفى سنة خمس وخمسين وستمائة)

وستمائة)

مكية الأنفاس تملى الصبا * عنها حديثا قط لم يمل
جننت لما ان سرى عرفها * وما نرى من حن بالمندل

(وقال) مجير الدين الخياط (ومولده سنة خمسين وأربعمائة ووفاته سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

يا نسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد را بنى شذاك فبالله * متى عهده باطلال نجد

(قال المهيار) الديلمى وتلطف (توفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)

حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزاما
وأبعثوا لى فى الدجى طيفكم * ان أذنتم لجفونى ان تناما

(وروى) المرزبان باسناده ان المجنون خرج مع أصحاب له ليمتار من وادى القرى فمر بجبلى نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فأى ريح تجرى من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام فى ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا لهم وله ثم أتوهم حتى اذا هبت الصبا رحل معهم وفى ذلك يقول

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح متى ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

(وضمن البيت الاول) الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح اسمه نعمان فقال

أقول وقد عانقت نعمان ليلة * بنور محياه أنار اديمها
وقد أرسلت الياه نحوى فسوة * يروح كرب المستهام شميمها
أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

(أقول) وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فما ألطف ماذكره الشيخ بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلى فى كتابه روضة المجالس ونزهة الانيس وهو ان بعض الرؤساء قال أخبرنى بعض الاصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لى بالموصل اذ جاءه كتاب من بغداد من صديقة له فيه تشوق وفيه هذا البيت عتاب وهو

تناسيتم العهد القديم كأننا * على جبلى نعمان لم نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت له بالله عليك يا فلان أسألك شيأ ولا تخفه عنى قال سل قلت هذى معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال أى والله ومن أين علمت ذلك قلت من هذا البيت لأنها ذكرتك فيه بجبلى نعمان وجبلى نعمان كناية عند الظرفاء من الناس عن جانبى كفل المليحة والمليح فقال والله ما أدركت من هذا البيت الذى أدركت (وكان) لبيد بن ربيعة العامرى آلى فى الجاهلية ان لا تهب صبا الا نحر وأطعم الناس حتى تسكن والزم نفسه ذلك فى الاسلام فلما كانت أيام عثمان جعل ديوان لبيد بالكوفة وخطب الوليد بن عقبة الناس بها فى يوم صبا فقال معاشر الناس ان أخاكم لبيدا آلى فى الجاهلية الا تهب صبا الا أطعم الناس حتى تسكن وقد ألزم نفسه ذلك فى الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه وأنا أول من يعينه ونزل فبعث اليه مائة بكرة وكتب اليه يقول

أرى الجزار يشحذ شفرتيه * اذا هبت رياح أبى عقيل
أشم الانف أصيد عامرى * طويل الباع كالسيف الصقيل
ووفى الجعفرى بما عليه * على الغلات والمال الثقيل

(فلما) أتاه الشعر قال لابنته يا بنية أجيبيه فقالت

اذا هبت رياح ابى عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الانف أصيد عبشميا * أعان على مروته لبيدا
بأمثال الهضان كأن ركبا * عليها من بنى حام قعودا
أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعدنا الكريم له معاد * وظنى يا ابن أروى ان تعودا

(فقال) أبوها أحسنت لولا انك استطعمتيه (ولبيد هذا صحابى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع قومه بنى جعفر بن كلاب وهو صاحب احدى القصائد المعلقات التى أولها)

عفت الديار محلها فمقامها * واما أمر ابنته ان تجيب الوليد لانه لم يقل شعرا منذ أسلم وقال بعضهم لم يقل فى الاسلام الا قوله

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وقيل

وقيل هـذا البيت لغيره وهو أصح وقيل هذا البيت الذى قاله فى الاسلام بيت عجزه * والمرء يصلحه القرين الصالح * وقال له عمر رضى الله عنه يوما يا أبا عقيل أنشدنى شيأ من شعرك فقال ما كنت لأقول شعرا بعد ان علمنى الله البقرة وآل عمران فزاده فى عطائه خمس مائة وكان ألفين وقالت عائشة رضى الله عنها روينا من شعر لبيد اثنى عشر ألف بيت وقالت أيضا رحم الله لبيدا (حيث قال)

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

(قلت) كيف لو أدرك زماننا (وكان) لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق انه طلقها فحصل له بعد ذلك ندم وهيام أشرف به على العدم فحضرت فى بعض الايام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق انه جاء امرأتان وجلستا امامه فحجبتاها عنه فانشد فى الحال * أيا جبلى نعمان بالله خليا

وهذا من جملة لطائفه وظرائفه ومنها انه أنشد فى بعض مجالس وعظه

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمنى

من كل معنى لطيف أجتنى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام اليه انسان وقال فان كان الناطق حمارا فقال أقول له يا حمارا اسكت

(وقال) صلاح الدين الصفدى

صدق خلى نسمات الصبا * فيما روت عنكم وماشك

قال لا أخبر منها بما * جاءت به قلنا ولا أذكى

(وقال جمال الدين بن نباتة)

يداوى أسا العشاق من نحو أرضكم * نسيم صبا أضحى عليه قبول

بروحى من ذاك النسيم اذا سرى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

(وقال) شهاب الحاجبى (توفى قريبا من سنة سبعين وسبعمائة)

لاتبعثوا غير الصبا بتحية * ماطاب فى سمعى حديث سواها

حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها

(وقال بدر الدين) بن الصاحب

أسكرتم ريح الصبا بالشذا * حتى أذاعت سرنا بالبطاح

لا تعتبوها ان اذاعت هوى * فما على السكرى بهذا جناح

(وقال) بدر الدين حسن العربى (ومولده سنة ست وسبعمائة ووفاته سنة

خمس وخمسين وسبعمائة)

مررت من بعيد الدار لى نسمة الصبا * فقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندا * ومن تعب أنفاسها متتابعه

(ولما أنشدتهما) السيد القاضى صدر الدين بن الأدمى فسح الله فى أجله (مولده سنة ثمان وستين وسبعمائة) قال لو قال الشيخ بدر الدين فقد أصبحت معتلة وهى ظالعة لكان أحسن من قوله حسرى (ولعمرى صدق فيما قاله) وما ألطف القاضى أمين الدين عثمان بن عطايا فى قوله

أنا اهوى غصن النقا وهو لاه * وفؤادى بحبه فى التيه
يا نسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا * كامين فى حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيم * نحو غصن النقا فمن يثنيه

(وللشيخ) شمس الدين الواسطى من متأخرى شعراء الديار المصرية من موشحه

نسائم الاسحار * بنشرها الفواح * تحرك الاغصان * لانها أرواح
فقم بنا نسعى * لمربع يانع * للماء والمرعى * فيه غدا جامع
قد أطرب السمعا * قمريه الساجع
كانما تكرار * غناه فى الادواح * ضرب من العيدان * لمن غدا أوراح

(ولمؤلف الكتاب) لطف الله به

ان هبت الارواح من نحوهم * فانتشت الاشباح من راحها
لا تعتبونا فى الهوى واسكنوا * أشباحنا حنت لارواحها

ولم أر أحدا وصف الريح غير الأديب أبى القاسم أسعد بن على الكاتب المترسل (فى قوله) كان شكل الهلال قرط * أو عطفة النون أو قلامه
كان لون الهواء ماء * أو سندس رق أو غمامه

(حكى ان نور الدين) على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين ومنهم أبو الحسين الجزار فمروا فى طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد هب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار تفوا لينظم كل واحد منا فى هذا شيأ قال فما لبث ان قال نور الدين

الريح أقود ما يكون لانها * تبدى خبايا الرد والأعكان

وتميل

وتميل بالاغصان عند هبوبها * حتى تقبل أوجه الغدران
وكذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاوطان

(فقال) أبو الحسين ما بقى أحد منا يأتى بمثل هذا سير وابنا * وقال النور الاسعردى (ووفاته سنة ست وخمسين وستمائة)

تميل الريح بالأغصان لطفا * كما مالت بشار بها العقار
وتجمع بينها من بعد بعد * واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقى * فهل أبصرت قواد يغار

(وما احسن قوله) وان كان فى غير ما نحن فيه

اعدى سقام جفونه * جسمى وأعدمنى الكرا
حتى اعتللت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ العلامة عز الدين أبى الخير على ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلى تغمده الله بالرحمة

رب نسيم قد سرى * تحدو سحابا ممطرا
أذ يا له بليلة * تخبرنا بما جرى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه سيدى الشيخ وأخى تقى الدين أبى بكر بن حجة الحموى فسح الله فى أجله من قصيدة نبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم
وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم
ولما روى أخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاء الهوى يتبسم

(وقال) القاضى مجير الدين بن عبد الظاهر

شكر النسمة أرضهم * كم بلغت عنى تحيه
كم قد أطالت بل أطا * بت فى رسائلها الزكيه
لاغروان حفظت أحا * ديث الهوى فهى الذكيه

(ومن) هنا أخذ صلاح الدين الصفدى قوله وهو حسن عندى

ياطيب نشر هب لى من أرضكم * فآثاركم من لوعتى وتهتكى
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا نشر ذكى

(وقال) شهاب الدين بن أبى حجلة مخاطبا الصلاح الدين

ان ابن ابيك لم تزل سرقاته * تأتى بكل قبيحة وقبيح

نسب المعانى فى النسيم لنفسه * جهلا وراح كلامه فى الريح

(وكان) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى يحب مغنيا اسمه النسيم وله فيه عدة مقاطيع وقد ذكر بعضها الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة من رقعة كتبها الى القاضى علاء الدين بن فضل الله فى منزلة الاهرام قال وقد كان تقدم من انعامه ثوب صوف أحمر * ونصفه فى يوم ماطر ونسأل الله تعالى ان لا يخلى ذوى العارض الممطر من جاه مولانا العريض وحمل انعامه التى هى كالدنانير الحمر والدراهم البيض ونصف مبيته فى هذه المنزلة التى أصبحت كليلة القدر عندى ذات أنديه وخيامها التى ودلو كان طالعة بها سعد الاخبية وبردها اليابس الذى لم يترك منه رطبا سوى لسانه بصالح الادعيه هذا والهرم يضرب حتى اللحيه بالشيب وأبو الهول الى جانبه يرجم حين يرجع بالغيب فان شبت من هوله فالهرم امامى وان قررت من نسيمه فهوى ناقتى خلفى وقدامى

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فلو حكم به على القاضى محيى الدين بن عبد الله الظاهر رحمه الله تعالى وقد حمى بهبوبه الوطيس لاشتغل بنفسه ولترك محبوبه النسيم فى الريح المريس وذلك بعد ان قال فيه

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا

فأنا الذى أتلوهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) كأنى حاضر اخاطبه

ان كنت فى عشق النسيم متيما * وزعمت ان هواه ليس بمتلف

فأنا أقول لمن تحرش بالهوى * عرضت نفسك للبلا فاستهدف

(وقال القاضى محيى الدين) بن عبد الظاهر فيمن اسمه نسيم

يا من غدا لى من عوا * صف هجره الريح العقيم

أترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

فقلت له مجاوبا

بالله ان رق النسيم وأخذت * نار تؤججها يد التبريح

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله فى الريح

(قلت) وعلى ذكر الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى رسالته المذكورة فى ليلة من جمادى ذات أندية (ذكرت) ماقاله الشيخ المحدث الرحلة فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس رحمه الله تعالى قال كان القاضى فخر الدين بن نعمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير (توفى تاج الدين سنة سبعين وستمائة) صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق انه دعى للملوكه المذكور بالطنبا فقال له نعم ولم يأته وتكرر طلبه له وهو يقول نعم ولم يأته وكانت ليلة مظلمة مطيرة فاخرج فخر الدين رأسه من الخيمة وقال تقول نعم ولم أرك (فقال تاج الدين)

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب فى ارجائها الطنبا

وقال بعض العشاق)

ألا يا نسيم الريح مالك كلما * تدانيت منا زاد نشرك طيبا
أظن سليمى خبرت بسقامنا * فاعطتك رياها فطيبت طيبا

(وكان) أبو الفرج الوأواء محمد بن أحمد الدمشقى من حسنات الشام وصناعة الكلام وكان مبدأه منادیا بدار البطيخ بدمشق قال قال ابن حمدون كان الفتح بن خاقان يأنس بى ويطلعنى على الخاص من أموره فقال مرة يا أبا عبد الله لما دخلت البارحة الى منزلى استقبلتنى جارية من جوارى فلم أتمالك دون أن قبلتها فوجدت بين شفتيها هوى لورق المخمور فيه لصحا فكان ذلك مما يستملح ويستظرف من الفتح بن خاقان فسمع الوأواء ذلك (فقال)

سقى الله ليلا طاب اذ زار طرفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلو رقد المخمور فيه أفاقا

(وقال علاء الدين الجوينى) صاحب الديوان دوبيت

لله مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر
قد فرق بيننا نسيم سحرا * ما أبرد ماجاء نسيم السحر

(وما ألطف) ماقال سيدى تقى الدين بن حجة أبقاه الله تعالى من موشحة امتدح بها سيدنا ومولانا الامام العلامة المفنن قاضى القضاة أبى الحسن علاء الدين الشهير بالقصاد الحاكم بمدينة حماه المحروسة أسبغ الله عليه ظلاله مضمنا

بالله يابرق ان أومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالثنيات واذكرنى اذا عذبت * مسهلات عذيب الثغر فى السحر
وارسل عليل النسيم خلفى * معرفا بالشذا ومشفى
ولا تقل انه المعتل فى شغل * فربما صحت الاجساد بالعلل

(وللقاضى الفاضل)

يالمعة البرق بل ياهبة الريح * روحى بجسمى الى من عنده روحى
خذى لهم من دموعى عنبرا عبقا * وأوقديه بنار من تباريحى
ناشدتك الله الا كنت مخبرة * عنى بأنهم ذكرى وتسبيحى

(وذكر الوهرانى) فى أول منامه هذه الابيات ولم أدر هى له أم لغيره (توفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة)

أيا نفحة أهدت الى تحية * يتم عليها العرف من أم سالم
مشت فى اراك الواديين فنبهت * به كل نشوان المعاطف ناعم
ألا انما أحكى بدمعى ولوعتى * بكاء الغوانى وانتحاب الحمائم

(حكى عن الاصمعى) أنه قال كانت امرأة من العرب تأتى بصبية لها قبل الصبح فتقف على تل عال هناك وتقول أى بنى خذوا صفو هذا النسيم قبل ان تكدره الخلائق بأنفاسها (ولمؤلف الكتاب) لطف الله به من قصيدة

ألا يانسمة الريح * وفى أيديك تبريحى
فمنى أسألك عن قلبى * وان شئت أقل روحى

(الباب العاشر فى الفرش والمساند والأرائك)

ذكر القاضى الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والطرف والهدايا والتحف انه لما عزم المتوكل على اعذار المعتز أمر الفتح ابن خاقان بالتأهب لذلك وان يلتمس فى خزائن الفراش بساطا للايوان فى طوله وعرضه وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا فلم يوجد الا فى ما مضى من بنى أمية فانه وجد فى أمتعة هشام بن عبد الملك على طول الايوان وعرضه وكان بساطا لم ير لاحد مثله ابريسمى مذهب مقزز مبطن فلما رآه المتوكل استحسنه وبسطه فى الايوان بعد أن قوم فى أوسط التقويم بعشرة آلاف دينار ونصب

للخليفة

للخليفة فى صدر الايوان سرير ومذبن بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العنبر والمسك والكافور المعمول على مثل الصور منها ما هو مرصع بالجوهر مفردا ومنه ما عليه ذهب وجوهر وجعلت بساط ممدودا وقعد المتوكل والناس جلوس وهو على سريره وحضرت القواد والامراء والندماء وأصحاب المراتب وجلسوا على مراتبهم ووضعت بين أيديهم من الجانبين والبساط فرجة وجاء الفراشون بزمل غشيت بأدم مملوء دنانير ودراهم نصفين وصب فى تلك الفرجة حتى ارتفعت وقام الغلمان دونها وأمر الناس بالشرب وأن ينتقل كل من يشرب من تلك الدنانير والدراهم ثلاث حفنات بمقدار ما حملت يداه وكلما فرغ صب فيه من الزمل حتى يرد الى حالته ووقف غلمان فى آخر المجلس فصاحوا ان أمير المؤمنين أمر أن يأخذ من شاء ما شاء فمدوا أيديهم الى المال وأخذوه وكان اذا أثقل الواحد ما فى كمه ناوله الى غلمانه ثم يعود الى مجلسه وخلع على من حضر ثلاث خلع حسان على مراتبهم وأقاموا الى أن صليت العصر والمغرب وحملوا عند انصرافهم على الخيل والمهارى وأعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة أثواب وكان فى حصن الدار بين يدى الايوان أربعمائة مكبه عليها أنواع الثياب وبين أيديهم مكبه فيها أنواع الفاكهة وتقدم الى صاحب الباب ان ينثر واعلى خدام الدار والحاشية ما كان أعدلهم وهو ألف ألف درهم فلم يقدر أحد على التقاط شئ فأخذ الفتح درهما فاكب الجماعة على المال فنهبوه وكانت قبيحة أم المعتز بالله قد تقدمت بضرب دراهم عليها مكتوب بركة من الله واعذار أبى عبد الله فضرب ألف ألف درهم نثرت على وجوه الغلمان والشاكرية وقهرمانات الدار والخدام والخاصة من الصبيان والسودان (وسأل) أبو العباس الصولى حملة المزنى كم وصل اليك من اعذار المعتز فقال صار الى أن وضع الطعام نيفا وثمانين ألف دينار سوى المصاغات والخواتيم والجواهر وحضر المجلس محمد المنتصر وأبو أحمد وأبو سليمان ابنا الرشيد وأحمد وأبو العباس ابنا المعتصم وموسى بن المأمون وابنا حمدون النديم وأحمد بن أبى رويم والحسين بن الضحاك وعلى بن الجهم وعلى بن يحيى المنجم وأخوه أحمد ومن المغنين عمرو بن بانة وأحمد بن أبى العلاء والحفصى بن المكى وسلم الرازى وثمرة وسلمان

الطبال والمسدود وأبو حشيشة بن الفضل وصالح الدفاف وزنام الزامر وتفاح الزامر ومن المغنيات غريب وبدعه جاريتها وشراب وجواريها وندمان ونغم ونحلة وتركيبة وقديرة ورائك وعرفان قال وأقام المتوكل بالقصر ثلاثة أيام ثم صعد الى قصره الجعفري وتقدم الى ابراهيم بن العباس بعمل حساب ما انفق فاشتمل على ستة وثمانين ألف ألف دينار وفضل بعد القسم عن الناس واخراج الخمس مما فى المدائن بساط كسرى أنفذه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقسمه بين الناس فأصاب على قطعة منها بعشرين ألف دينار وما كانت بأجود القطع وكانت الفرس تسميه القطف وكان طوله ستين ذراعا فى عرض ستين حرير فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار وخلال ذلك فى الافريز وفى حافاته كالارض المذروعة المقبلة بالنبات فى أوان الربيع فى قضبان الذهب والفضة ونواره كالجواهر واشباه ذلك وشبه فصوص ورسمه بالجواهر وزخرفته بحرير وذهب وكانوا يدخرونه للشتاء اذا ذهبت الرياحين وأرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم فى رياض وكان أفضل مال أصيب بالقادسية وكانت قيمته ستة وثلاثين ألف ألف دينار (ووجد) لام المعتز بالله ثلاث دواويج كانت تستعملهن فقوم الدواج بأكثر من ألف دينار ووجد لها جلود السمور فتحلق ما عليها من الوبر وترمى الجلود فاذا اجتمع من ذلك ما يكفى الدواج تنثر فيه مع فتت من المسك والعنبر وتجعله بين البطانة والظهارة عوضا عن القطن (وقال) القاضى الفاضل

بساط يرى التيجان تهوى لثمه * فما هو الا قبلة أو مقبل
اذا نشرت من نقشه لك روضة * بدا فوقها من كفه لك جدول
وأفضل أجزاء الجسوم رؤسها * وأرجلها فى وطئ بسطك أفضل

(دخل) محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة فجعل يأمره وينهاه ثم دعا له بمتكاء فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ما كنت لاتكئ فى مجلسك فقال له ان على قلبك من بدنك ثقلا ومؤونة فأردنا ان يستريح ببدنك ليفرغ لنا قلبك (وقال محيى الدين بن عبد الظاهر) ملغزا فى شبرية

وهندية موطوءة غيرانها * اذا افترشت أغرتك بالبيض والسمر
تعانق من أعطافها خيزرانة * وتلمح من أزرارها طالع البدر

وأعجب

وأعجب من ذا انها اذ تقيسها * تفوتك طولا وهى تعزى الى شبر

(وأنشدنى من لفظه) لنفسه الشيخ الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الجرائحى سلمه الله تعالى (مولده سنة خمس وثلاثين وسبعمائة)

يقول محدثى لما اضطجعنا * ووسدنى حبيب القلب زنده

قصدتم عند طيب الوصل هجرى * خذونى تحت رأسكم ومخده

(وأنشدنى لنفسه أيضا)

بشحانه تطرزت * قالت بلفظ موجز

على الحرير قد سما * قدرى والمطرز

(وقال) الشاعر الظريف محمد بن العفيف

بساط يملأ الابصار نورا * ويهدى للقلوب به سرورا

ويشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط ما أرضى الصدورا

(وقال ظافر الحداد) فيما يكتب على كرسى

نزه لحاظك فى غريب بدائعى * وعجيب تشبيهى وحكمة صانع

فكأننى كفا محب شبكت * يوم الوداع أصابعا بأصابع

(وذكر القاضى الرشيد) بن الزبير فى كتابه الهجائب والطرف قال الفضل بن الربيع لما ولى محمد الامين الخلافة فى سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرنى أن أحصى ما فى الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة فاجتمعت كتاب الخزائن وأقاموا أربعة أشهر يحصون فأشرفت على ما لم أتوهم أن خزائن الخلافة تحويه ثم أمرهم أن يعملوا لكل صنف جملة فكان فى خزائن الكسوة أربعة آلاف جبة منسوجة بالذهب وعشرة آلاف قميص وغلالة وعشرة آلاف خف وألف سروال وكثير من أصناف الثياب وأربعة آلاف عمامة وألف طيلسان وخمسة آلاف منديل من أصناف المناديل وخمسمائة قطيفة خز ومائة ألف وسادة ومخدة خز وألف بساط ملون وألف مخده ميسانى وألف وسادة ميسانى وألف بساط طبرستانى وألف وسادة ديباج وألف وسادة خز مرقوم وألف ستر حرير ساذج وثلثمائة ستر مرقوم وخمسمائة بساط طبرى وألف وسادة طبرى وألف مرقعة وألف مخدة طبرى ومن الآنية ألف طست ذهب وألف ابريق ذهب وثلثمائة كانون فضة وذهب وألف

نور شمع ذهب والف قطعة نحاس من سائر الاصناف والف منطقة ذهب ثم ذكر السلاح وأصنافه وقد ذكرته فى بابه

(الباب الحادى عشر فى الارايح الطيبة والمروحة وماشاكل ذلك)

(قال انس بن مالك) رضى الله عنه دخل علينا النبى صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق وجاءت امى بقارورة فجعلت تسلت فيها العرق فاستيقظ فقال يا أم سليم ماهذا الذى تفعلين قالت عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وما أحق هذا الطيب بقول القائل وهو الشيخ (عز الدين الموصلى)

تنشق مسك اصداغى حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

(وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير المسك ان فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه (أهدى) عبد الله بن جعفر لمعوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا كثيرا فقال هذه غالية فسميت بذلك (وما أحسن) قول أبى بكر الخوارزمى (توفى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة)

وطيب لايحل بكل طيب * يحيينا بأنفاس الحبيب
متى تشممه أنف حن قلب * كأن الانف جاسوس القلوب

(وكان) يوزن بين يدى عمر بن عبد العزيز رضى الله مسك للمسلمين فيأخذ بانفه لئلا يصيب الرائحة ويقول وهل ينتفع الا بريحه وقال جعفر بن سليمان الهاشمى فى الطيب أربع خصال لذة ومروءة ومنفعة وسنة ولما دخل عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان ابنة عمه أوقد فى مسارجها تلك الليلة الغالية فقوم ثمن ذلك فبلغ عشرين ألف دينار (نادرة) تبخر بعض الامراء وعنده مزيد فوقعت منه روحة خفيفة وأراد ان يدرى هل فطن لها مزيد فقال ما أطيب هذه المثلثة فقال نعم الا أنك ربعتها (سئل) جالينوس عن منافع الطيب فقال المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يصلح الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحلل الزكام والمثلث ينشف العرق (وقال ضياء الدين المناوى) فى المسك

المسك انفس طيب * مثل الشباب وزينه
ان كان للطيب عين * فالمسك انسان عينه

وله

(وله فى العود)

المندلى كريم * سقياله ولغرسه
لما أراد يرينا * للهند نسبة جنسه
غدا على النار ملقى * يجود فيها بنفسه

(وقال الشيخ زين الدين ابن الوردى)

تجادلنا أماء الزهر أذكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ولبعضهم فى مبخرة

عطرت مجلسى بذية طيب * اعربوا شكلها بحسن البخارى
واذا اعتل للنسيم بخار * اسندوا نحوها صحيح البخارى

وللشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة فيها

ومبخرة تحكى المتيم فى الهوى * تبوح بما تلقاه من شدة الكرب
تقول وقد مت بعرف بخورها * أكتم ما ألقاه والنار فى قلبى

(ولمؤلفه) لطف الله به وان كان غير مقصودنا

مذ باعنى بالآمس لا * بالبان من اعطافه
حكموا بصحة بيعه * مع علمهم بخلافه

(وله)

سرحت مشطى سائلا * تصحيف قولى غاليه
ان لم تجد برخيصها * فالنار منها غاليه

(وقال الشيخ) جلال الدين بن خطيب داريا

حكيت فى اللطف نسج العنكبوت على * انى ظهرت لكم من جوهر قامى
يكاد أن لا يرانى غير ذى نظر * من اللطافة الاطيب أنفاسى

(صفة غالية طيبة لذيذة) يؤخذ مسك جيد جزء وعنبر ربع جزء ومسك جزآن وسنبل الطيب جزء يسحق الجميع ناعما ويجن بدهن بان ويرفع ويستعمل

(صفة ند) له فى تفريح القلب أمر عجيب وفعل بالغ غريب يؤخذ عنبر جيد فيوضع فى اناء مسطح من نحاس على نار ويصب عليه شئ يسير من ماء ورد ويترك الى ان يلين ويدعك ويعلق به وزنه مسك جيد ومثل نصف وزنه عود امسحوقا

ويدعك دعكا جيدا ويبسط على رخامة ويقطع قطعا ويجربه فانه عجيب في تقوية القلب والقوة واحداث التفريح (صفة ذريرة) منسوبة الى جعفر البرمكي وكان كثير التبخير بها في أكثر ساعات نهاره وليله يؤخذ سليخة وقرنفل وفاغرة من كل واحد جزء وسنبل الطيب وقسط مر وصندل مقاصيري وعود وكبابة وقاقلة من كل واحد نصف جزء وزعفران ربع جزء يدق الجميع ناعما ويوضع في اناء من صيني ويسقى بماء الورد وماء القرنفل والنمام وماء الآس كل يوم مدة ثلاثة ايام ثم يترك الى أن يجف ويسحق ناعما ويضاف اليه كافور ومسك ويتبخر به نقلت هذه الصفحة من كتاب مفرح النفس تأليف الحكيم الفاضل بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك الذي ألفه للامير الفاضل سيف الدين عمر ابن قزل المشد تغمده الله بالرحمة

(القول في المروحة) وهي ثلاثة انواع مروحة الخيش ومروحة الاديم ومروحة الخوص ومن احسن ما سمع فيها قول عرقلة

ومحبوبة في القيض لم تخل من يد * وفي القر يسلوها اكف الجبائب
اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا * اتت بالهوى الممدود من كل جانب

(وقال ابن معقل)

ومروحة اهدت الى النفس روحها * لدى القيض مثبوتا باهداء ريحها
روينا عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(وقال نور الدين) علي بن صاحب تكريت ولله دره

يا سائلي عن نسيم طي مروحة * أهدت سرورا بترجيع وترويح
أما ترى الخوص أهدى من مراوحه * ما أودعته قديم نسيمة الريح

(قلت) وعلى ذكر الخوص فما احسن ما قاله الشيخ برهان الدين القيراطي في وصف النوق

صاح هذي قباب طيبة لاحت * وفؤادي على اللقاء حريص
وتبدت نخيلها للطايا * فعيون المطي للنخل خوص

(قال) أبو الفوارس سوار بن اسرائيل الدمشقي (مولد ابن اسرائيل سنة ثلاث وستمائة ووفاته سنة سبع وسبعين وستمائة) كنت عند صلاح الدين يوسف بن أيوب فحضر اليه رسول صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومعه

قرد

قودوهدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران من نساجة السعف الاحمر وقال الشريف يخدم السلطان وقال خذ هذه المروحة فما رأيت أنت ولا أبوك ولا جدك مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول لا تعجل بالغضب قبل تأملها وكان صلاح الدين ملكا حليما فاذا فيها مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا * سادمن فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى * صرت في راحة ابن أيوب أقرا

واذا هي من خوص النخل الذي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها صلاح الدين ووضعها على وجهه وقال بعضهم فيها

انني أجلب الريا * ح وبي يذهب الخجل
وحجاب اذا الحبيـ * ـب ثنى الرأس للقبل

(وأما مروحة الاديم) فانها على نوعين أحدهما مستديرة الا موضع النصاب لاغير والاخرى مستديرة ثم يقطع ربع دائرتها التي تلي الوجه وفيها يقول ابن خروف

ومروحة اذا ما تأملتها * ترى فلكا دائرا باليد
وتطوى وتنشر من حسنها * فتشبه قنزعة الهدهد

(وأما) مروحة الخيش فقد ذكرها الحريري في المقامات حيث قال اسمعوا وقيتم الطيش ومليتم العيش (وانشد) ملغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة * ولكن على أثر القفول تقولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيض تنطق بالندا * ويبدو اذا ولى المصيف تحولها

(قال الشريشي) في شرح المقامات هذه المروحة تكون شبيه الشراع للسفينة وتعلق في سقف ويشد بها حبل تدير به مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا أراد الرجل في القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجئ فيهب على الرجل منها نسيم بارد طيب الريح فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب وهي فوقه ذاهبة وجائية ولذلك سماها جارية ومشمعلة سريعة الذهاب وقفولها رجوعها والسائق الشريط الذي يسوقها اذا جذبت به يستحثها يستعجلها

٢ القود الخيل أو التي تقاد بعقاودها كما في القاموس اه

قوله أقرى هكذا وجد في الاصل اه

قوله ومروحة الخ لا يخفى ما في هذين البيتين من الكسر اه م ح

ومن جنسها أى هو من كان مثلها رسيلها أى يرسل معها الزاوية البيت وترجع معها أوان القيض وقت الصيف وتنطف تقطر وقحولها يبسها انتهى كلام الشريشى قال الشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة وهذه المروحة محدثة فى زمن بنى العباس وكان سبب حدوثها أن هرون الرشيد دخل يوما على أخته علية بنت المهدى فى قيض شديد فألفاها قد صبغت ثيابا من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فجعلت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابة فأمر ان يصنع له فى مجلسه مثله على الوجه المشروح فى كلام الشريشى فاشتهرت واستعملها الناس ومن ملح ألغاز الصاحب بن عباد فيها قوله لابى العباس الحرث فى يوم قيض ما يقول الشيخ فى قلبه فلم يفهم عنه اراد فى قلب الشيخ وهو خيش (وقال السرى الرفاء)

وخيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة تختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشمائل وانثنت * مقبلة فى جانبيها الجبائب

(الباب الثانى عشر فى الطيور المسمعة)

(القول على الببغا) وهو طائر هندى وحبشى دمث الخلق ثاقب ألفهم له قوة على حكاية الاصوات وتلقى التلقين تتخذه الملوك فى منازلهم لينم بما يقع فيها من الاخبار وفى لونه الاغبر والاخضر والاسود والاحمر والاصفر والابيض وقد أهديت لمعز الدولة هدية من اليمن فيها ببغا بيضاء سوداء المنقار والرجلين وعلى رأسها ذؤابة فستقيه وكل هذه الالوان معدومة خلا الاخضر وفى طبع هذا الطائر ان يتناول طعمه برجليه كما يتناول الانسان الشئ بيده وله منقار معقف يكسر به الصلب وينقب به ما يعسر نقبه يتزاوج ويتعاشق ويسكن الذكر الى انثاه وله عفة فى مأكله ومشربه ومنكحه ليس بشره ولا أشر وهو بمثابة الانسان الظريف والناس يحتالون على تعليمه بان ينصب له تجاهه مرآة بحيث يرى خياله فيها ويتكلم الانسان من ورائها فيتوهم أن خياله فى المرآة وهو المتكلم فيأخذ نفسه بحكاية ما يسمعه من صوت الانسان (الوصف) كتب أبو اسحق الصابى الى أبى الفرج الببغاء أبياتا فى الببغاء منها (توفى الببغاء

سنة ثمان وتسعين وثلثمائة)

زارتك من بلادها البعيده * واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوز والارز * والضيف فى أبياتنا يعز
تراه فى منقاره الخلوقى * كاللؤلؤ نقط بالعقيق
ينظر من عينين كالفصين * فى النور والظلمة بصاصين
يميس فى حلته الخضراء * مثل الفتاة الغادة العذراء
غريدة حذورها الاقفاص * ليس لها من حبسها خلاص

فأجابه بابيات منها

وحسن منقار أشم قان * كأنما صيغ من المرجان
صيرها افرادها فى الجنس * بنطقها من فصحاء الانس
يحكى الذى تسمعه بلا كذب * من غير تغيير لجد أو لعب
ذات غشا تحسبه ياقوتا * لا يرتضى غير الارز قوتا
كأنما الحبة فى منقارها * حبابة تطفو على عقارها
أقدامها ببأسها الشديد * أوقعها فى قفص حديد

وهذه المذكورة تسمى فى هذه البلاد الدرة ومن ظريف ما سمعته فيها قول الشيخ الامام العالم النحوى المفنن زين الدين عمر بن المظفر أبى الفوارس الشهير بابن الوردى رحمه الله تعالى فبينما الطاوس مصغ الى الياسمين وهو على ما ساقه الذنب على ساقه حزين واذا بدرة خضراء لابل درة عذراء تقول أف لطاوس الطير من طاوس القراء أيها الطاوس الطريد المعكوس الشريد شغلك ظاهر الثياب عن باطن العيوب ان الله لا ينظر الى الثياب ولكن ينظر الى القلوب هلا شغلت بمداواة أمراضك عن بساتينك وغياضك ولم لا أفنيت عن ملبوسك وعجبك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك شاركت آدم فى الخروج من الجنة والاسف عليها فشاركه فى التوبة والاستغفار والعودة اليها على أن آدم خرج من الجنة قهرا ليزرع فى الاولى ما يحصده فى الاخرى وأما أنا أيها الطاوس فانى رأيت نفوس البشر أشرف النفوس كرمهم الرب وفضلهم وخلق الموجودات لهم فشاركتهم نطقا ورزقا ونادمتهم ونديم السعداء لا يشقى فسبحان من بيده الخير المؤلف بين البشر والطير ومن أعجب أحوالى ان الصمت

محمود أفعالى لانى طائر ضعيف ولا اقاس على البشر فى التكليف

غائب فى القلب حاضر * كاسر للصعب جابر
أنا من خوف جفاه * واقع والقلب طائر
أنا بالمحبوب فخرى * فانتصب يا من يفاخر
أنا من جودة فكرى * عرفت باسمى الجواهر
ها أنا الدرة فاعرف * قيمتى ان كنت تاجر

(القول على القمرى) سمى بذلك لبياضه وحكاية صوته وهو يضحك كما يضحك الانسان ومن طبعه انه شديد المودة والرحمة أما مودته فانه يفرخ على فنن من أفنان شجرة كلها اعشاش لابناء جنسه يصاحبها كل يوم ولا يعتزل اعتزال الغراب وأما رحمته فانه يربى ولده و يعف عن انثاه مادام ولده صغيرا وهو يطاعم انثاه وتطاعمه و يظهر منه عليها وله وفيه من المروءة انه متى تزوج لا يبتغى بانثاه بدلا وله اعتناء بنفسه واعجاب بها ومن عادته انه يجعل عشه فى طرف فنن دائم الاهتزاز احترازا على فرخيه ليلا يسعى اليه من الحيوان الماشى ما يقتلها (الوصف) قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فيه

ما مما رأيته * فى عداد المطير * كم له من مترجم * كم له من مشجر
كم له من كآبة * ظهرت بالتدبر * كم خواف له بدت * لاتضاح المبصر
كله معجم وان * زال بعض له قرى

(ذكرت) بقوله كم خواف له ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خطه المعز الاشرف المرحوم أوحد الدهر ونخبة العصر القاضى أمين الدين محمد الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس من قصيدة امتدح بها المعز الصاحب المرحوم فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة الشريفة بالديار المصرية سامحه الله تعالى أولها

جفون من تأرقها دوامى * مدامعها تفيض على الدوام

و يقول فى آخرها

قوادمها ينزن ولسن عنه * خواف تحت أجنحة الظلام

(وقال الشيخ برهان الدين الفيراطى)

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه

واطربت

وأطربت فى العود قرية * وكيف لا تطرب عوديه

(وأنشدنى) سيدى القاضى شهاب الدين بن حجر فسح الله فى أجله من لفظه لنفسه بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول من شهور عام اثنين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة بمنزله عمره الله ببقائه بحارة بهاء الدين

تخيرت رسلا سرنا عندهم خفا * اليكم وتلك الرسل فهى الحمائم

اذا قدمت منى عليكم فيالها * خوافى سر حملتها قوادم

(وأما الفاخت) فهى عراقية وليست بحجازية وفيها فصاحة وحسن صوت وصوتها فى الحجازيات يشبه صوت المثلث وفى طبعها تأنس بالناس وتعشش بالدور وهذا الحيوان يعمر وقد ظهر منه ما عاش خمسا وعشرين سنة وما عاش أربعين سنة على ما حكاه أرسطو (الوصف) أنشدنى من لفظه لنفسه اجازة أوحد المتكلمين العالم المفنن فريد الدهر المرحوم القاضى أمين الدين الانصارى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس ملغزا فى فاختة

وما طائر يهوى الرياض تنزها * ويسرح فى أفنانها ويغرد

هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمسا حروف ان تأملت مفرد

وبعدهما تحيف باقيه ان ترد * بيانا له أفعى يبين ويشهد

وفيه أخ ان تهت عنه فأخته * تدل على ما قد عنيت وترشد

(قلت) أنشأت هذا اللغز الظريف التركيب للشيخ العلامة بقية السلف الصالح زين الدين أبى بكر بن عثمان الشهير بابن العجمى بمنزله بمدرسة الكاملية بشارع بين القصرين عند ارتحالى فى أوائل سنة خمس وتسعين وسبعمائة فأجاب بهذه الابيات

أيا من له مجد أثيل وسؤدد * غدا دون مرماه سماك وفرقد

تفيد يسار المقترين يمينه * ويسراه من يمنى الغمامة أجود

سؤالك عن أنثى طروب ولم تزل * على عودها فى الروض تشدو وتنشد

وتجذبنى بالطوق حين نشيدها * لنحو التصابى لا أطيق أفند

يطير بها نحو النجاح جناحها * فتبلغ ما تختار ثم وتقصد

وفى بطن انثى لم تصور وانما * تصورها من جنسها من يرفد

تذكرنى تدركاها أم هانئ * فتشرف فى نفسى اذا وتمجد

ومذبان منها الطرف أمست بعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد
وان حذفت ثانى الاخير فانه * على الحذف خاف بل يلوح ويشهد
وأولها مع مايليه وطرفها * لنافاه بالمعنى الذى منه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن للعكس من ذاك يجحد
وتفتح فاها حين يفقد ثالثا * وثالثه يخشاه من يتصيد
فخذه مبينا مغمضا عن اسائتى * فانك للاحسان أهل ومقصد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفى مفرق الجوزالواءك يعقد
ولازلت فى الدنيا سعيدا مملكا * وحظك فى الاخرى النعيم المخلد

٣ لم أرذلك فى كتب اللغة فلعله تحريف فى الاصل اه

(وأما الشعين) وهوالذى تسميه العامة اليمام وصوته فى الترنم كصوت الرباب فى الاوتار صوتا محزونا جدا وهى متى اختلطت مع أصواتها غيرها حسنت وأما مفرده فلا لان الزأر مستحسن مع الغناء وغير مستحسن وحده وفى طبعه انه متى فقد انثاه لم يزل عزبا يأوى الى بعض فراخه حتى يموت وكذلك الانثى اذا فقدت الذكر وفى تركيبه انه اذا سمن سقط ريشه وامتنع من السفاد فهو لذلك لا يشبع نفسه وهو طائر ساكن جدا وقد ألهم انه يحترس من أعدائه بالسوس يتخذه فى وكره (الوصف) ولنذكر الآن ماوقع للشعراء فى أصواتهن جملة لا تفصيلا فمن ذلك قول الحسام الحاجرى (توفى مقتولا سنة اثنين وثلاثين وستمائة)

انى لا أعذار فى الاراك حمامة الشادى كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الجائرى بأسرها * فغدت وفى أعناقها أطواق

(قال القاضى الفاضل)

لوكنت جاوبت الحمائم نائحا * قال الوشاة اذاع سرك بائحا
سل طائرا صدع الفؤاد بسحره * أتراه غرد صادعا أم صادحا
ياضعف من أمسى الغريسة فى الهوى * وغدا الحمام له هنالك جارحا

(وقال المنازى)

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحا
شجى قلب الخلى فقيل غنى * وبرح بالشجى فقيل ناحا

(قلت) وبعد هذين أبيات فلا بأس بذكرها وان لم يكن مما نحن فيه

وكم للشوق فى أحشاء صب * اذا اندملت أجد لها جراحا

ضعيف الصبر عنك وان تقاوى * وسكران الفؤاد وان تصاحا
كذاك بنو الهوى سكرى صحاة * كأحداق المها مرضى صحاحا

(قلت) ولهذه الابيات حكاية غريبة نقلتها من خط الحافظ اليعمورى (ولد سنة ستمائة وتوفى سنة اثنين وسبعين وستمائة) روى أن أبا نصر المنارى المذكور واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبى العلاء المعرى وهو فى الشام فى جماعة من الادباء فأنشده كل واحد من شعره ما تيسر حتى أنشده المنارى أبياتا له فى وصف واد وهى

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحة فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * أرق من المدامة للنديم
يصد الشمس أنا واجهتنا * ويحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

(فقال أبو العلاء) أنت أشعر من بالشام ثم رحل الى بغداد فدخل المنارى عليه فى جماعة من أهلها من الادباء وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا فأنشده كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنارى فأنشده لنفسه الابيات المتقدمة (فقال) أبو العلاء ومن بالعراق اشارة الى قوله من بالشام (توفى المنارى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة) وقال الشيخ صفى الدين الحلى

وبشرت بوفاة الليل ساجعة * كأنها فى غدير الصبح قد سبحت
مخضوبة الكف لا تنفك نائحة * كأن افراخها فى كفها ذبحت

(وقال) محيى الدين بن عبد الظاهر

نسب الناس للحمامة حزنا * واراها فى الحزن ليست كذلك
خضبت كفها وطوقت الجيـ * ـد وغنت وما الحزين كذلك

(وقال) جمال الدين محمد بن نباتة

مالى نديم سوى ورقاء ساجعة * من بعد مغتبقى فيكم ومصطبحى
اذا أدار اذكار الوصل لى قدحا * من أحمر الدمع غنانى على قدحى

(وله)

ناجتك من مغنى دمشق حمائم * فى دف أشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها القديم بلطفه * غنت عليه بجفنها و بدفها

(وقال) علاء الدين الوداعي

وفي أسانيد الاراك حافظ * للعهد يروي صبره عن عاقمه
وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنبهت أشواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والاحسان عن اسحاق
قامت تطارحني الغرام جهالة * من دون صحبي بالحمى ورفاقي
انا تباريني جوى وصبابة * وكآبة وأسى وفيض مآقي
وأنا الذي أملى الهوى عن خاطري * وهي التي تملى من الاوراق

(وقال) ناصح الدين الارجاني (ولد سنة ستين وأربعمائة وتوفي سنة أربعين وخمسمائة)

من كل أخطب مسكي الاهاب له * في منبر الايك تسجاع وتهدار
خطيب خطب وقد أفنى السواد به * فحن بقيته في الجيد ازوار

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى

مذ غنت الورق على عيدانها * كم خلع الجو عليها من ملح
تدرعت سحبا وخاضت شفقا * وطوقت أعناقها قوس قزح

(وقال) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

ذات طوق وذات ريق تغنى * فتثنى بالوجد من ليس يدري
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق وزيق بالقفر
ما نراها قد حدثت خاطر النهـ * ـر بما قد جرى ومامنه يجرى

(وأنشدني) من لفظه لنفسه سيدي وأخي تقي الدين أبي بكر بن حجة

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * دمعي تلون بعد فرقة حبه
لكن بتلوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

ناحت حمام البان أم ناحت أسى * لم أدر ما غناؤها من شوقها
بحمراء لا تظهر حرفا من شجى * لانها مخنوقة بطوقها

(وقال

(وقال أيضا)

وذات طوق على الاغصان تذكرنى * قوام حسنك فى ضمى لمعتنقك
قد سودت مهجتى نوحا فقلت له * سواد قلبى يا ورقاء فى عنقك

(وقال) الامير مجير الدين بن تميم

لم أنس قول الورق وهى حبيسة * والعيش منها قد أقام منغصا
قد كنت ألبس أخضرا من أغصن * فلبست منها بعد ذاك مقفصا

(وقال الامير) سيف الدين المشد فى قفص

أنا للطائر سجن * اقتنى كل مليح
قضب البان ضلوعى * وحمام الايك روحى

(وله على لسان الطائر)

يا غصون البان ماذا * بلغ الاحباب عنى
ما شجاهم طول نوحى * ما كفاهم فرط حزنى
حبسونى عن مطارى * لا لمعنى ولفن
غير انى كنت مهما * يشرب الراح أغنى

(ولمؤلفه) لطف الله به من قصيدة

حمام الايك أسعدنى * فانى حلف تبريح
وحزنى حزن يعقوب * فأبكى الصب أو نوحى

(وأما الديك) فما ورد فيه ان النبى صلى الله وسلم قال الديك الابيض صديقى وعدو عدوّ الله يحرس دار صاحبه وسبع دور حوله وكان ببيته معه وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (قيل) والفرخ يخلق من البياض والصفرة غذاؤه وقيل ليس فى الدنيا أبخل من أهل مرو حتى ان الديك ينزع الحبة من أفواه الدجاج مع ان العادة خلاف ذلك وكأن ماء مرو يقضى ذلك فيسرى فى جميع حيوانها (كان مروان) ابن أبى حفصة من أبخل الناس مع يساره وما أصابه من الخلفاء لاسيما من بنى العباس فانه كان رسمه ان يعطوه لكل بيت يمدحهم به ألف درهم (قال دعبل) كنت عنده فى بعض الايام أنا وجماعة فأخذنا فى الحديث وطال المجلس حتى أضربه الجوع فدعا بغداء فأتى بصحيفة فيها مرق فيها لحم ديك قد هرم لا تجز فيه السكين

ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ قطعة من خبز فسابها جميع المرق وفقد رأس الديك فبقي مطرقا ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام فقال له أين الرأس فقال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك والله اني لامقت من يرمي برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه عيناه التي يضرب بها المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجب لوجع الركبة فان كان بلغ من جهلك ان لا تأكله فعندنا من يأكله فانظر أين هو قال والله لا أدري أين رميت به فقال لكن أنا أدري أين رميت به في بطنك وكان أيضا لا يأكل اللحم حتى يجوع فاذا جاع أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له لا تراك تأكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الرأس أعرف سعره فلا يستطيع الغلام ان يخونني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه ان مس عينا أو أخذ أذنا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا شتى آكل عينيه لونا وأذنيه لونا ودماغه لونا ولسانه لونا فقد اجتمعت لي فيه مرافق (نادرة) قال أبو حاتم الاصمعي قدمت بغداد فدخلت مسجدا يحضره جماعة فسألني بعضهم عن قوله تعالى قوا أنفسكم ما يقول للواحد قلت ق قال فالاثنين قلت قيا قال فللجماعة قلت قوا قال فاجمع الثلاثة قلت ق قيا قوا وفي ناحية المسجد جماعة فمضوا الى صاحب الشرطة فقالوا له ان هنا قوما زنادقة يفسرون القرآن على صياح الديك فاشعرنا الا باعوان فأحضرونا بين يديه فأعلمته ما سئلت فعنفني وأمر بضرب أصحابي عشرة عشرة (وما أحسن) قول بعضهم فيه

قد قلت شعرا مليحا * فسره لي يا مليكي
أكلت ديكا وديكا * وليس لي غير ديك

(وقال) ابن المعتز فيه (مولده سنة سبع وأربعين ومائتين ووفاته سنة ست وتسعين ومائتين)

بشر بالصبح طائر هيفا * مسترقيا للجدار مشرفا
مذكرا بالصبوح صاح نبا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحة لسنا الصبـــح وأما على الدجى أسفا

(ولله أبو علي) ابن رشيق (توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة) حيث مزق عنه جلباب

الممادح

الممادح وتركه من شمل الذم فى الزى الفاضح فانه قال

قام بلا عقل ولادين * يخلط تصفيقا بتأذين
فنبه الاحباب من نومهم * ليخرجوا فى غير ماحين
بصرخة تبعث موتى الكرى * قد أذكرت نفخ سرافين
كأنها فى خلقه عضة * أعضه الله بسكين

(وقال الشيخ) زين الدين بن الوردى من رسالة منطق الطير فصاح الديك ها أنا أناديك أنا قد أذنت فأقم الصلاة أنت هذا أوان صف الاقدام ووضع الحياه ومن أحسن قولا ممن دعى الى الله كم أوقظك وبانقضاء الاوقات أعظك فأشفق عليك بصياحى وأرفرف عليك بجناحى أقسم لك الوظائف بلاحساب وأعرف المواقيت بغير الاصطرلاب أنهاكم عن معصية الله بخروج الوقت فلا تعصوه والله بقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فمن ادعى حسن الصحبة فليؤثر كاثثارى ولايختص من رفاقه بجبه كم منحت أهل الدار اخائى وليتهم ولائى وهم يذبحون أبنائى ويستحيون نسائى

(الباب الثالث عشر فى الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعة)

(قال) الشيخ شمس الدين بن خلكان فى تاريخه رأيت خلقا كثيرا يعتقدون ان الصولى هو واضع الشطرنج وهو غلط وانما واضعه صصه بصادين مهملتين أحدهما مكسورة والثانية مشددة مفتوحة وفى لآخرها ساكنة وأردشير بن بابك أول ملوك الفرس الاخيرة هو الذى وضع النرد ولذلك قيل النردشير نسبوه اليه وازدشير لفظ عجمى تفسيره بالعربى دقيق وحليب فأزد دقيق وشير حليب وقيل دقيق وحلاوة وقيل هو بالزاى لا بالراى وضعه مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقابها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله اليك والبنج ويقابله الجو والجهار ويقابله الما وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر والجهار تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى

وكيف يتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به النصوص ولما تم وضعه واشتهرت افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيث فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله على النرد ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله ان يثنى عليه عدد تضعيف بيوته قمحا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله من النزر القليل فى ذلك (فقال) له ما أريد غير ذلك فأمر له بذلك فلما حسب أرباب الديوان ذلك قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فاوضحوه له بالبرهان فاعجبه الامر الثانى أكثر من الاول قال القاضى شمس الدين بن خلكان ولقد كان فى نفسى حزازة من هذه المبالغة حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا بينا لى ما ذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فاثبت اثنين وثلاثين ألف وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال نجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عبرتها فكان الامر كما ذكروه والعهدة عليه فى هذا النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه وبية ثم انتقل من الوبيات الى الاردب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة الف اردب وأربعة وسبعين الف اردب وسبعمائة اثنين وستين أردبا وثلثى أردب وقال فى هذا المقدار شونة ثم ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة الفا وأربعة وعشرين شونة ثم قال هذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال يعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى (قال) أبو عبد الله محمد بن الاكفانى اذا جمع هذا هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصرى مساحته ذراع مكعب وزنه مائتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح (قال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد ذكر عنده الشطرنج انى لاعجب من ذراع فى ذراع يديرها الحكماء مذ وضعت لم يقفوا لها على غاية قيل سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا

يروا

يروا القتال فاذا تنازعوا فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال (ذمها) ذكر الصولى فى كتابه كتاب شعراء مصر أن خرسان الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين الجمل مكائدة له فقال صاحبها أبدا مشغول بهموم يحلف بالله كاذبا و يعتذر مبطلا و يشتم نفسه و يسخط ربه وكل صناعة يجوز المكاثرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب فى ساعة فيقضى دعواه وهو لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمخمور حتى يفيق وانما يهزم خشب خشبا ثم ان الرجل يسأل عن غلامه فيقال له هو يلعب فيضربه ولا يستحى ان يقول قم حتى نلعب وهو يلاعبه وان تقول فى الكاس ما أحذقه وفى الطنبور ما أضربه واذا اعترف عن الشطرنج قلت ما ألعبه فما يقول فى صناعة العبارة عن الكاس أحسن من العبارة عن صاحبها قال الجاحظ سمعت النظام يقول فى الشطرنج غنيان عجزا عن الادب فتلاعبا بالخشب دخل أبو العبيس على أبى تمام وهو يلعب بالشطرنج وكان وسخا فقال ما أوسخ هذا الشطرنج فقال أبو تمام واللعب أوسخ (نادرة) حكى ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج ضارب خصمه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألتزم اللعب معه وما يحصل بيننا ضراب فلما أتى به ولعبا قال له فى أثناء اللعب شاه استر فقال ملبج والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخى ما الذى قلت لك قال قلت استر وهى اشتر وما يشتر الا الجمل والجمل تصحيفه حمل والحمل اسم نجم فى السماء يقارب الجدى والجدى كبش والكبش القرنان والقرنان هو الذى يقود فقال يا أخى ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير الا أنت (نادرة) سأل بعض الاكابر انسانا فقال تعرف اللعب بالشطرنج فقال لا والله يا مولانا ولكن لى أخ اسمه عز الدولة وهو أخى لامى أكبرنى بسنتين وأكبر بشئ يسير كان قد حصل بينى وبينه خصومة غاظته فسافر من مدة عشرة أعوام وسكن مدينة قوص و بلغنى انه فتح له دكان عطر والى الآن ما ورد على المملوك منه كتاب وهو أيضا ما يعرف يلعب الشطرنج (ومشى) البيدق البريدى مع شاب موسوم بالجمال فقال شمس الدين المنجم الشاعر أراك يا بيدق تقرزن حول هذا النفس فقال له واذا كان ذلك فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس و يقطع عليك الرقعة ولو كان فى كفيك الفيل يشير بقوله ذلك الرخ الى أحد الاعيان كان

يحب الشاب المذكور (نادرة) بعض الاجناد كان كثيرا يلعب الشطرنج مع مخدومه وكان الجندى خليعا فأعطاه الامير فرسا وقال له لا تفرط فيها قال نعم وبعد ذلك القاه راجلا وهو لابس جوخه قال ويلك أين الفرس فقال ياسيدى ضربنى الشتاشاه مات سترت بالفرس وما أحسن قول القاضى الفاضل يصف حصار قلعة وجثا المنجنيق يحاكمها واسان حبله يخاصمها والخادم تحت المنجنيق الاسلامى يعرض وجهه للمنجنيق الفرنجى ونقل قطع الستائر نقل قطع الشطرنجى جنب التراس بيادق والجنابى رخاخ وجنب القلاع صيد والمنجنيقات فخاخ (وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباتة وظرف

قوله وما أحسن الخ هذا ما وجدناه بالاصل فنقلناه بحروفه اه

أشكو السقام وتشكو مثله امرأتى * فنحن فى الفرش والاعضاء نرتج
نفسان والعظم فى نطع يجمعنا * كأننا نحن فى التمثيل شطرنج

وله ملغزا فيه

وما صامت يمضى ويرجع حائرا * ويقضى على أوصاله الوصل والصد
كأن الاسى آلى عليه اليمة * فما فيه الا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمس على ان شطره * ثلاثة أخماس الحروف التى تبدو

(وله فيمن يلعب غائبا)

ولاعب يعرب شطرنجه * عن ذهنه المتقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * ياحبذا من حاكم غائب

(وله)

لله فى الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أو حضرا جتنيت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى * هاتيك صامتة وهذى ناطقه

(وقال الشيخ) بدر الدين بن الصاحب

تأمل تر الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق ويفنى جميعها * وبعد الفنا تحيى وتبعث أعظما

(قلت) وهذا يشبه قول القاضى الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر من يعانى خيال الظل ليفرجه فقام الفاضل فقال له صلاح الدين ان كان حراما فانخضره وكان حديث عهد بخدمته قبل ان يلى السلطنة فما أثر انه يتكدر عليه فقعد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له السلطان

كيف رايت ذلك فقال موعظة عظيمة رأيت دولا تمضى ما كأنها كانت ودولا تأتى ولما طوى الازار طى السجل للكتاب اذا بالمحرك واحد فأخرج هذا الجد فى هذا الهزل (وللشيخ) بدر الدين أيضا مضمنا

أميل لشطرنج أهل النهى * وأسلوه من ناقل الباطل
وكم هذبت طبع لعابها * وتأبى الطباع على الناقل

(وقال)

لعبت بالشطرنج فى غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح فى الاقران لى بيدق * تموت منه الشاة فى جلدها

(وقال) أيضا وكان يلعبها غائبا وله يد طولى فيها

لى فى الشطرنج نقل * أتقن الادمان حفظه
ألعب الغائب منها * فأراه طيف يقظه

(وكتب) الى شيخنا العلامة عز الدين الموصلى من حماه المحروسة كتابا وفيه من المتجددات قوله مضمنا

جاهل شطرنج ينادى وقد * أمات نفس اللعب من عكسه
ما تفعل الاعداء فى أحمق * ما يفعل الجاهل فى نفسه

(وقال) جمال الدين ابن نباتة

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله من معانى الحسن أشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

(وقال) صلاح الدين الصفدى

ألاعب بالشطرنج بدر ملاحة * محاسنه تزهى على طلعة الشمس
سترت ضناجسمى فلما رأيته * يروم قطاعى خفت منه على نفسى

(وقال) زين الدين بن الوردى

لاعبت بالشطرنج من * أضحى كشمس طالعه
نفسى به ماتت وما * تعجبنى المقاطعه

(ومن) الاستشهادات اللطيفة ما أنشده الشيخ نور الدين على بن سعد المعرى صاحب المرقص والمطرب وغيره وقد رأى شخصا يلعب الشطرنج و يضرب بالرقعة القطع ضربا عنيفا (فقال)

رفقابهن فما خلقن حديدا * أوماتراها أعظما وجلودا

(قلت) وهذا البيت أول قصيدة للشريف البياضي في وصف النوق ولقد أجاد نور الدين رحمه الله تعالى وعلى ذكر نور الدين فما أحسن ما كتب به الى القاهرة المحروسة سيدنا ومولانا الفاضل المؤرخ المحدث المفنن شهاب الدين أحمد بن القاضي نور الدين على الشهير بابن حجر (مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة) نفع الله في أجله وذلك من بعض متجددا ته

مولاى نور الدين صبحك الهنا * بسعادة تبقى لديك سرورها

لاتحتجب عن مقلتى فأنا امرء * ان لم تكن عينى فانك نورها

(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين ابى المحاسن محمد بن ابراهيم البشتكى أحد فضلاء الديار المصرية وبقية متأخريها سلمه الله تعالى في القاء العاشر من الشطرنج على قاعدة الحكاية المشهورة ولم أعلم الضابط في هذه الاعداد جميعها له أم لغيره وأنسيت ان أسأله

موت عدوى يزين حزمى * وألحق سيف به قتالى (القاء التاسع)

ولما فتنت بلحظ له * عذرت فاخفت من شامت (القاء الثامن)

أبثك يا عزشوقى لعل * تمنى بعطف به راحتى (القاء السابع)

ياملبح بت شاكى بثه * ومجرق ظلوم لشكى (القاء السادس)

ان كان فى صدك قتلى فقد * أنالنى فقد أحبابى (القاء الخامس)

تنكر فى حبه جائرا * فبات وفوه يبث الحرق (القاء الرابع)

وفاتن منظره فتنة * ليس يرى حرف الجفا عاشقة

اللام ألف بحرف واحد قال المنقول من خطه أنشدنى من لفظه لنفسه صاحبنا جلال الدين بن خطيب داريا سلمه الله تعالى فى القاء الثالث

بك ياخير منجد يحجب الغنى اذ اقيل أى حر تصيد

(وقال) القاضى السعيد بن سنا الملك

ويوم مطير قد ترنم رعده * وصفق لما أحس القطر فى الرقص

ورقعة ماء تحت برد فواقع * وأفق عليه البرق يلعب بالقص

(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ (ولد سنة عشر وسبعمائة وتوفى سنة ست وسبعين وسبعمائة)

لما

لما غدا بدر الدجى لاعبا * بالنرد يلقى الفص مثل الشرك
وفاق فى الحسن وفى لعبه * ناديت يالله ما أحسنك

(وقال) زين الدين بن الوردى

مهفهفان لعبا * بالنرد أنثى وذكر
قالت أنا قمرية * قلت اسكتى فهو قمر

(ولبعضهم) يورى باعداد النرد

ساعدنى جارى على شادن * أعطيته خمسا بمقدار
فما تأتى اليك من بكه * الا بهذا البيض والجار

فى القاء الخامس من قطع النرد من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدى

لا تبك ان هب ريح نجد * انك يا بئس ما بليت (اللام الف حرفان)

(وله) فى القاء السابع

قد ردشانى بكل شين * عدمت فى ذا صلاح خبرى

(الباب الرابع عشر فى الشمعة والفانوس والسراج)

من رسالة للامام ضياء الدين محمد بن نصر الله الجزرى المعروف بابن الاثير (مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وثلاثين وستمائة) وكان بين يدى شمعة تم مجلسى بالاتيناس وتغنى بوجودها عن كثرة الجلاس وينطق لسان حالها انها أحد عاقبة من مجالسة الناس ولا الاسرار عندها بملفوظه ولا السقطات لديها بمحفوظه وكانت الريح تلعب بلهبها وتخلف على شعبة بشعبها فطورا تقيمه فتصير أمله وطورا تميله فتصير سلسله وتارة تحوفه فتصير مذهنه وتارة تجعله ذا ورقات فيتمثل سوسنه وآونة تنشره فتصير منديلا وآونة تلفه على رأسها فيستديرا كليلا ولقد تأملتها فوجدت نسبتها الى الفص العسلى وقدها قد العسال وبها يضرب المثل للحكيم غيران لسانها لسان الجهال ومذهبها مذهب الهنود فى احراق نفسها بالنار وهى شبيهة بالعاشق فى انهمال الدمع واستمرار السهر وشدة الاصفرار وكل ذا تجدد لها بعد فراق أخيها ودارها والموت فى فراق الاخ والدار وقد نزع هذا المنزع فى رسالة أخرى (فقال) وذلك ان لها قدا ألفى القوام مشبها فى نحوله واصفراره بحال

المستهام وهى والقلم شيآن فى انها اذا قطع رأسهما صحا بعد السقام ومن عجيب شأنها ان روحها تحيى بفناء جسمها وبالارواح تكون حياة الاجسام وقد وصفها قوم بان لها خلقا كريما فى رعاية حقوق الاخوان وان بكاها ليس الا لمفارقة اخيها الذى خرجت معه من بطن ونشأت معه فى مكان وهذا الوصف من الطف أوصافها وهو مما يزيد الاحباب وجدا بأحبابها ويهيج الآلاف شوقا الى آلافها وكانت الريح تلعب بلهبها الذى الخادم فتسلطه هلالا فتارة تبرزه نجما وتارة تبرزه هلالا ولربما سطع طورا كالجلنارة فى تضاعف أوراقها وطورا كالاصابع فى انضمامها وافتراقها وآونة تأخذه فتلقيه على رأسها كالقناع ثم ترفعه عنها حتى تكاد تزايله بذلك الارتفاع ثم قال بعد ذلك كلاما ليس فيه تشبيه فكما كانت الريح تلاعب بالشمعة فتنقلها من مثال الى مثال كذلك الشوق يلعب بالقلب فينقله من حال الى حال وهذا الوصف وان مدباعه لمعانقة الابداع وأودع اسرار المعانى فى صدور الالفاظ فصانها بالايداع مأخوذ من موضعين احدهما من قصيدة الارجانى والآخر من كلام ابى محمد عبد الله ابن أبى الخصال فانه مذكور فى آخر هذا الباب عند ذكر السراج أما قصيدة الارجانى فهى

نمت باسرار صبح كان يخفيها * وأطلعت قلبها للناس من فيها
قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن * الا برقيه نار من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها * فى الحى يجنى عليها ضربها ديها
غريقة فى دموع وهى تحرقها * انفاسها بدوام من تلظيها
تنفست نفس المهجور فادكرت * عهد الخليط فبات الوجد يبكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها
بدت كنجم هوى فى أثر عقربة * فى الارض فاشتعلت منها نواصيها
نجم رأى الارض أولى ان يبوئها * من السماء فأمسى طوع أهليها
كأنها غرة قد سال سادخها * فى وجه دهماء يزهيها مجليها
أوضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما جبهت قامت تحاكيها
وحيدة وهى مثل الرمح هازمة * عساكر الليل ان حلت بواديها
ماطنبت قط فى أرض مخيمة * الا وأقفر للابصار داجيها

قوله سادخها لم نر معناه فى القاموس وفيه فى باب الجيم انسدج انكب على وجهه فلعله من هذه المادة اه

لها

لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها
فالوجنة الورد الافى تناولها * والقامة الغصن الافى تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة * تجنى على الكف ان أهويت تجنيها
ورد تشاك به الايدى اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض ليا ليها
كصعدة فى حشا الظلماء طاعنة * تسقى أسافلها ريا أعاليها
وصيفة لست منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية فى اللون ان نعتت * والقد فى اللين ان أتممت تشبيها
ما ان تراك تبيت الليل لاهيه * وما بها علة فى الصدر تصميها
تحيى الليالى نورا وهى تقتلها * بئس الجزاء لعمر الله يجزيها
ورهاء لم يبد للابصار لابسها * يوما ولم يحتجب عنهن عاريها
قدت على قد ثوب قد تبطنها * ولم يقدر عليها الثوب كاسيها
غراء فرعاء ما تنفك قالية * تقص لمتها طورا وتقليها
شيباء شعثاء لا تكسى غدائرها * لون الشبيبة الا حين تبليها
فتاة ظلماء ما ينفك ثاكلها * سنانها طول طعن أو بشظيها
مفتوحة العين تفنى ليلها سهرا * نعم وافناؤها اياه يفنيها
وربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها

(وقال القاضى الفاضل)

ولما أراد الليل ينظر وجهه * تقدم ان يذكى له الشمع أعينا
وما هى الا أعين وجفونها * دجا هاوانسان السعود نهارنا
رياض دجى فتحن عند وقودها * أزاهر نارتر كب الشمع أغصنا
عجبت لروض منه بالنار يزدهى * والازهر منه بالعين يجتنى
فتكن الدجى والنور فيض دمائها * اذا النار نصل والشموع لها قنا

(وقال فيها)

بكت مثل ما أبكى وفاضت دموعها * ولم تفش أسرارا كفيض دموعى
اشارة مظلوم وعبرة عاشق * ووقفة مأمور ولون مروع
أقامت الى نحر الظلام أسنة * فلم تلقها الا بخلع دروع

وقال أيضا

والشمع فوق البحر تحسب انه * من لجة قد اطلع المرجان
والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا خفق النسيم طعان

وقال محمد بن على الوزير حاجب النعمان

وطفلة كالرمح شاهدتها * سنانها من ذهب قد طبع
دموعها تنهل فى نحرها * ورأسها يحيى اذا ما قطع

وقال آخر وأجاد

اذا مرضت طال منها اللسا * ن ومد المداوى اليها يدا
ويقطع من رأسها الجلنا * رفيرجع أهليلجا اسودا

(وقال) ابن خفاجة (ومولده سنة خمسين واربعمائة ووفاته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

وصعدة لبست سربال مشتهر * بالحب منغمس فى الدمع والحرق
مازال يطعن صدر الليل يهدمها * حتى بدا سائلا منه دم الشفق

وقال آخر وأغرب

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها أحشاؤها حين تنهمل
دموعا اذا اردت اليها بكت بها * ولم أر دمعا غيره رد فى المقل

(وقال) سيف الدين المشد

ولم أر مثل شمعتنا عروسا * تجلت فى الدجى ما بين جمع
كأن عقود أدمعها عليها * سلاسل فضة أو قضب طلع

(وقال) محاسن الشوا (مولده سنة اثنين وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة خمس وثلاثين وستمائة)

حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صبادونها متوجعا
ضنا وسهادا واصفرارا وزفرة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

وقال نور الدين ابن سعيد

ومجلس انس زينته عرائس * تزيد لنا وصلا اذا ما قطعناها
اذا طعنت صدر الظلام برمحها * تردبسيف الصبح منها فأفناها

الشيخ زين الدين ابن الوردى

ممشوقة مثل صدر الرمح عارية * قد توجت بنظير الكوكب السارى
تبكى اذا ضحكت جلاسها فرحا * فالقوم فى جنة والشمع فى نار

(وقال) ابن الجلال وأجاد الى الغاية توفى سنة ست وخمسين وخمسمائة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

(مجير الدين ابن تميم) وقد طفئت شمعة بمجلس فزارهم مليح عقيب طفيها

ومخطفة أوقدتها جنح ليلة * وقد زارمن أهوى وتم بها انسى
فأطفأتها اذا أشرقت شمس وجهه * ومن سفه ان يوقد الشمع فى الشمس

(وقال ابراهيم المعمار)

لاتنور فى مقامى * شمعة من غير حاجه
قد كفانا طلعة البد * ر ومصباح الزجاجه

ولما أنشدتهما للامير شهاب الدين الحاجى قال لى لم لا قلت

أطفئوا اذا الشمع عنا * مالنا بالشمع حاجه

(فقال ابراهيم) أردت مقامى وهذا فى غاية الظرافه (علاء الدين الوداعى)
وقد أهدى شمعه

يامن ببعادهم أساء الدهر الى * والآن فقد أنعم بالقرب على
قد أظلمت الاشواق طرفى فلذا * قدمت اليكم شمعة بين يدى

البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى فى مليح يقط الشمع

وذى قوام أهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبى قط

سيف الدين المشد ملغزا فى طوافه

قوله فى طوافه هكذا فى الاصل فلتفهم

لينة الاعطاف لا * ينكر فضل قدرها
حياتها فى طيها * وموتها فى نشرها

(وقال ناصر الدين بن شافع) فى وصفها (مولده سنة تسع وأربعين وستمائة وتوفى سنة ثلاثين وسبعمائة) وشمعة قد استتم نبتها فى روض الانس حتى نور * ولا نمى بدوحة المفاكهة حتى أزهر * أوما بنان تبلجها الى طرق الهداية وأشار ودل

على نهج التبصر وكيف لا وهي علم في راسه نار * كانما هي قلم امتد بماء اليق من ذهب أو صعدة الا أن سنانها ذهب وحسبها كرما ان جادت بنفسها وأعلنت بامتناعها على هموده حسها سايلها في الجود بامثالها مسول ودمعها بالعفو للصفو من سماحتها مطلول تحيتها عمواصبا حاية تألق فجرها وتمام بدرها في أوائل شهرها قد جمعت من ماء دمعها ونار توقدها بين نقيضين ومن حسن تأثرها وعين تبصرها بين الاثر والعين (وقال محيي الدين) ابن عبد الظاهر في حين ماشق ريحي الدجى عن ترائبه جيبا ونشر الظلام ظفائره وقد اشتعل رأسه من النجوم شيبا في ضوء شمعة نشرت على الورق رداء الاصيل وأخفت من الدجى سواد جفنه الكحيل وسترت ذوائبه في معصفر أبهج من وجنتي بثينة لولا أنها في صفرة وجه جميل (وكتب) الاديب الفاضل الكامل شرف الدين عيسى ابن حجاج العالية أحد شعراء العصر بالديار المصرية أبقاه الله تعالى الى الوزير العلامة فخر الدين ابن مكانس تغمده الله بالرحمة (يقبل) الارض التي شاقه ترابها المواطئ الفخريه فزاد اعجابا وقال المسك يا ليتني كنت ترابا وينهي انه أقبل على المطالعة والباقي من العشر ليال خمس واستهدى بنجوم فوائدها حين قامت الشمعة بوظيفة الشمس واستدعى اعوانا من السهر فتخازلت عنه اعوانه وخشي من غلبة النوم فتغلب عليه سلطانه ولما أغفى على وجه الكتاب لعبت الشمعة بلسانها وتناولت طرف شاشه بيد نيرانها فهب المملوك وأخمد منها ما تصاعد من الانفاس وقابلها على حرق الشاش بقطع الراس

انى جلست بشمعة موقودة * لاطالع الاسفار للتسبيح
فتناولت شاشي أوائل نارها * وتمكنت منه بمر الريح
من قبل حرق الشاش كنت مطالعا * في الكتب صرت مطالعا في الروح

وقد توسلت بهذه الرسالة المدونة في باب المنظوم والمنثور ومددت يد سؤلي الى طلبي ساشا مقصورا وأرجو ان يجمع لي بين الممدود والمقصور أبقاك الله للاولياء الذين يحبون وجودك ويستطرون كرمك وجودك (وقال) مجير الدين ابن تميم وقد مر بدار بعض أصحابه ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره

لما أزرتك شمعتي لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
وافتك حاسرة فقبل رأسها * فاعادها نحوى بتاج من ذهب

(حكى) ان مجير الدين الخياط الدمشقي كان يتعشق غلاما من أولاد الجند فشرب في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق فمر الغلام عليه وهو راكب فرآه في الليل مطروحا فوقف عليه بالشمعة ونزل فأقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على خده ففتح عينيه فرأى الغلام على رأسه فاستيقظ من سكرته وأنشد مرتجلا

يا محرقا بالنار وجه محبه * مهلا فان مدامعي تطفيه
احرق بها جسدي وكل جوارحي * واحذر على قلبي فانك فيه

(وأما الفانوس) فمن أحسن ما سمع فيه قول مجير الدين بن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وقال)

أبدا اعتذارا لنا الفانوس حين بدا * في حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه * نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

(وقال الوجيه المناوى)

كأنما الليل وفانوسنا * يجلو دجى الظلمة للحس
لجة بحر قد طما موجه * تسبح فيه كرة الشمس

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة مضمنا

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار قد حوته ضلوعه

(وله مضمنا أيضا)

أنا في الدجى ألقى الهوى وبمهجتي * حرق يذوب بها الفؤاد جميعه
فكأنني في الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

(وله فيه مضمنا)

يحكي سنا الفانوس من بعدلنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

(وله)

أنا فى مقام الناصر السلطان لا * أشكو الى محبوب قلبى مابى
فاصبر كصبرى فى الهوى ولانثنى * متجلد والنار تحت ثيابى

(مجير الدين) ابن تميم تضمين

يقول لها الفانوس لما بدت له * وفى قلبه نار من الغيظ تسعر
خذى بيدى ثم اكشفى الثوب تنظرى * ضناجسدى لكننى أتستر

وأما السراج وماقيل فيه فمنه قول ابن أبى الخصال

عذرا اليك أعزك الله فانى حططت والنوم معازل والعزم منازل والريح يلعب بالسراج ويصول عليه صولة الحجاج وطورا يسدده سنانا وطورا يحركه لسانا وآونة يطوى جنابه وأخرى ينشره ذؤابه ويقيمه ابرة لهب ويعطفه برة ذهب أوجمة عقرب وتقوسه حاجب فتاة ذات غمرات ويتسلط على سليطه ويزيله عن خليطه ويخلفه نجما ويعيده رجما وتسل روحه من ذباله ويعيده الى حاله وربما نصبته اذن جواد ومسخته حدق جراد ومشقته خاطف برق بكف ودق ولثمه سناه قنديله ولفت على أعطافه منديله فلاحظ منه للعين ولاهداية فى الطرس لليدين (قال) شرف الدين التيفاشى رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لى تحفظ فى السراج والمسرجة فانشدته قول ابن الرومى

وحية فى رأسها درة * تسبح فى بحر قصير المدا
اذا تولت فالعمى حاضر * وان تجلت بان طرق الهدى

(فقال) لى هذا فى الذباله وأنا سألتك فى السراج والمسرجة فانشدته قول الصنوبرى

ان سراجا نوره ظلمة * كأنما يوقد فى قلبى
الحب أضنانى فيا باله * يفنى ومايشكو جوى الحب

(فقال) هذا فى السراج وأنا سألتك فى السراج والمسرجة فصمت فقال أراك سكت فقلت له ماتحفظ فيهما أنت فانشد

مسرجة تسرج من فوقها * ذبالة فى جوف مصباح
كأنها مسرجة فوقها * تفاحة فى غصن تفاح

فاستيقظت

فاستيقظت وأنا أحفظهما قال شهاب الدين بن أبي حجلة وهذا التشبيه في المسرجة جيد في مسارج العرب فان مسرجتهم قضيب أملس أشبه شئ بغصن التفاح (قلت) لايخفى مافي هذين البيتين من الحسن وجودة التركيب في قوله في البيت الاول مسرجة ثم في الثاني كأنها مسرجة وقوله تفاحة في غصن تفاح وما أعرف لهما شبيها الا قول ابن وزير في الحمام حكي ان ابن قزمان الوزير أبي بكر صاحب الازجال المشهورة قام من مجلس أنس فمال على السراج فأطفأه فقال في الحال

يا أهل ذا المجلس السامي سرادقه * مامات لكنني مالت بي الراح
فان أكن مطفئا مصباح بيتكم * فكل من حل فيكم فيه مصباح

(قال) القاضي كمال الدين بن العديم (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة تسع وخمسين وستمائة) في تاريخ حلب ان القاضي شمس الدين بن خلكان الاربلي (مولده سنة ثمان وستمائة ووفاته سنة احدى وثمانين وستمائة) قدم حلب وتفقه على مذهب الشافعي وأنشدني لنفسه مانغزا في السراج

أيها العالم الذي * صار حبرا ممارسا
والذي موضحاته * يجتليها عرائسا
أي شئ ترى الورى * جعهم منه قابسا
ان في السرب نصفه * حيث ما كان كانسا
ثم صحف تمامه * تلق خلا مؤانسا
واحذفن منه ثالثا * تنظرن فيه فارسا
من يصحفه عاكسا * يلق في الليل حارسا

(وما أحسن) قول القاضي الفاضل يعتذر عن كتاب كتبه الى بعض أصحابه ليلا كتبها الملوك ليلا وقد عمشت عين السراج وشابت له الدواة وكل خاطر السكين وخرس لسان القلم وضاق صدر الورقة فاذا وقف سيدنا على هذا الكتاب فليقف على بيمارستان وليقل الباذنجان من هذا ولا يقل هذا من الباذنجان

(وقال) ابن تميم في سراج يوقد من سراج

أعلمتم ياقوم أن سراجنا * أمسى وفيه فضيلة لا تكتم

يأتى أخوه اليه حاسر رأسه * فيعيده فى الحال وهو معمم

(نادرة) اتفق ان أبا الحسين الجزار قام مرة الى بيت الخلاء فناوله السراج الوراق شمعة فقال الجزار ما عادتى أقضى الشغل الا على السراج (وما أظرف)

(قول زين الدين ابن الوردى)

لى صاحب واسمه سراج * ما قرّ لى عنده قرار
لسانه محرق لقلبى * ان لسان السراج نار

وممن أكثر من ذكر السراج الاديب الفاضل الكامل سراج الدين عمر الوراق حتى انه قيل له لولا لقبك راح نصف شعرك فمن ذلك قوله

اذا بحت بالشكوى عبت معاشرا * بلا راحة فى مدحهم أتعبوا ذهنى
يريدون منى رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

(وقوله) يتقاضى زنجبيلا

مولاى بدر الدين أنت من المكارم تاجها
ولديك بغية كل نفس آملك وحاجها
ولنور وجهك فى الفضا ئل قد أقر سراجها
أنسيت سورة هل أتى * ونسيت كان مزاجها

(وقوله)

أقول فى يوم شتاء به * من سحبه ما خلف النيلا
خرجت من بيتى سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

(وقوله)

سبق السراج الى امتدا * حك كل من يتقدمه
وسنانك مسرجة لبا * بك والمهابة تلجمه
لكن توقد ذهنه * ما كل شئ يفحمه

(وقوله)

كم قطع الجود من لسان * قلد فى نظمه النحورا
وها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى أزدك نورا

(وقوله)

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * فراح لبرى سعيا وراجا

فما

فما قال لى أف مذ كان لى * لكونى أبا لكونى سراجا

(وقوله)

أثنى على الانام انى * لم أهج خلقا ولو هجانى
فقلت لا خير فى سراج * ان لم يكن ذاك فى اللسان

(وقوله)

قلبى لديك وطرفى طال بعدهما * عنى فلى أبدا سهد وتذكار
ولست منهما قول السراج اذا * ما قال من حرق فى قلبى النار

(وقوله)

بكتبك راح لى أملى وقصدى * وفى يدك النجاح لكل راجى
ولولا أنت لم ترفع منارى * ولا عرف الورى قدر السراج

(وقوله) وقد اجتمع به بدر الدين بيلبك وشمس الدين سنقر

لما رأيت البدر والشمس معا * قد انجلت دونهما الدياجى
حقرت نفسى ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

(وقوله) يمدح ضياء الدين

أمولانا ضياء الدين دم لى * وعش فبقاء مولانا بقائى
فلولا أنت ما أغنيت شيأ * وهل يغنى السراج بلا ضياء

(وقوله)

شعيرتى مذ رمدت قد حجبت * شخصك عنى وكان مأنوسا
فالحمد لله زادنى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

(وقوله)

الهى قد جاوزت سبعين حجة * فشكر النعماك التى ليس تنكر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسى وسرنى * وما ساءنى ان السراج منور

(وقوله)

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالمجاره
وبقيت أهرب وهى تسـ * ـأل جارة من بعد جاره

وتقول ياستى استرحنا الاسراج ولا منارة

(وقال فيه) بعض شعراء عصره والسراج عمر على المنارة يتوقد كاولم تمسه نار

(حكى) انه جهز غلاما ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به لفتا فأحضره وقلبه على اللفت فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال لم تفعل مثل هذا بنا فقال والله ياسيدى مالى ذنب الا انه قال لى اعطنى زيتا للسراج

(وحكى) عنه أيضا انه دعى الى زفة فقالوا له صبيحتها أيش كان حالك ياسراج الدين البارحة فقال أيش حال سراج بين ألف مشعل (ومثلها) ماحكاه لى الوزير المرحوم فخر الدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصى انه كان حصل له طلوع فى جسده فتردد اليه المزين فقال أيش حال سراج فيه سبع فتائل (وأنشدنى) لنفسه يداعب المذكور وكان سكندرى الاصل

ياذا السراج اشترا يرى فانت به * أولى وذلك للامر الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ماقام وانتصبا

(وما أحسن قول بعضهم) * ومتى أظلم خطب عمر الله السراجا *

(فصل فى القنديل) قال شمس الدين محمد بن العفيف

صفا باطنى صرفا كمارق ظاهرى * وناجيت فتيانا من الشرب أكياسا
اذا نهضوا كنت الرفيق لهم اذا * وان جلسوا أمسيت فى الوسط جلاسا

(ولآخر)

وقنديل كان الضوء فيه * سناوجه الحبيب اذا تجلا
أشار الى الدجى بلسان افعى * فشمر ذيله هربا وولى

(ولآخر)

وشادن مرّ والقنديل فى يده * مابيننا وظلام الليل معتكر
كأنه فلك والماء فيه سما * والنار شمس به والحامل القمر

(وله)

عجبت لقنديل تضمن قلبه * زلالا ونارا فى دجى الليل تشعل
وأعجب من ذا انه طول عمره * يجن عليه الليل وهو مسلسل

*(الباب

(الباب الخامس عشر فى الخضراوات والرياحين)

(الورد) كان المتوكل يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين فكل منا أولى بصاحبه وكان قدحرم الورد على جميع الناس واستبد به وقال لا يصلح للعامة فكان لا يرى الورد الا فى مجلسه وكان أيام الورد لا يلبس الا الثياب الموردة ويفرش الفرش الموردة ويورد جميع الآلات (ورفع) الى المأمون ان حائكا يعمل سته كلها لا يتعطل فى عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا * مادام للورد أزهار وأنوار

فاذا شرب مع ندمائه غنى

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا

ولا يزال فى صبوح وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقنى ربى الى الورد أصطبح * وندمان صدق حاكة ونبيط

(فقال) المأمون لقد نظرالى الورد بعين جليلة فينبغى ان نعينه على هذه المروءة فأمر ان يدفع له كل سنة عشرة آلاف درهم (وقال) ابراهيم الخواص اذا جاءت أيام الورد أمرضنى علمى بكثرة من يعصى الله تعالى فيه جلس روح بن حاتم أميرا فريقية يوما فى منظرة له ومعه جارية من جواريه فدخل الخادم بقادوس فيه ورد أحمر وأبيض فى غير أوان الورد فاستظرفه وسأل الخادم عن أمره فأخبره ان رجلا أتى به هدية فأمر ان يملأ له القادوس دراهم فقالت له الجارية ما أنصفته قال ولم قالت أتى بلونين أحمر وأبيض فلوّنه له فأمر ان يخاط دنانير ودراهم فخاط ودفع اليه ويقال ان كسرى مر بوردة ساقطة فقال أضاع الله من أضاعك (خواصه) بارد يابس فى الدرجة الاولى يابس فى آخر الدرجة الثانية نافع لصاحب المرة الصفرا ومن به حرارة حريقة مسكن للصداع المتولد منها ضار لصاحب المزاج البارد مهيج لعطاسه مزعج لدماغه ومرباه بالسكر والعسل ينفع من البلغم وماؤه المصعد منه بارد رطب نافع من سائر أوجاع الدماغ الحادة ومن الاورام الحارة نقلتها من الغور المجتبى من رياض الندماء

تأليف الحكيم الفاضل الاديب المعروف بالعنبرى وبابن الحلى ذكره الفاضل المؤرخ موفق الدين بن أبى أصيبعة فى تاريخ الاطباء وأثنى عليه الثناء البالغ وعلى مصنفه المذكور قلت وهذا الكتاب رتبه على فصول السنة كل فصل يشتمل على أربعين بابا عديم النظير قليل الوجود *(القول فى استخراجه فى غير أوانه)* قال صاحب المباهج من أحرق السداب فى أصول شجر الورد حتى يرتفع وجه الاحراق الى الشجر فى أى وقت كان من السنة التى تورد شجرة الورد فيه وردت بعد أيام وردا غضا ومتى جمع الرماد التى أحرق وخلط بتراب ونبش أصل الشجرة التى أحرق ذلك فى أصولها وطمر الرماد ثم سقيت الماء فى الوقت وسقيت بعد ذلك على العادة كان ماذكرناه أيضا (الحيلة فى ان يبقى الورد السنة كلها فى الفلاحة الرومية) يؤخذ ذر ورد الذى لم يفتح بعد فتملأ به جرة فخار جديدة وتطين رأسها تطيينا محكما لا يتخلله الهواء ويدفن فى الارض فانك تخرج منها الورد متى شئت الى آخر السنة كهيئته حين أدخلته فيها فرش عليه ماء ويترك فى الهواء فانه يفتح ورد اطريا كالذى يقطف من شجره (وفى كتاب الخواص) ان الورد الاحمر اذا بخر بالكبريت أبيض واذا بخر نصف الوردة صار نصفها أبيض ونصفها أحمر والورد الاحمر اذا بخر بالنورة المطفية أبيض واذا صب فى الشتاء فى أصول شجر الورد ماء حار عند كل غداة انفطر قبل انفطار الورد (غرائب من هذا النبات) حكى صاحب نشوار المحاضرة انه رأى وردا أصفر واستغرب ذلك وقد رأيناه كثيرا الا انه امتاز بكونه عدو ورق وردة فكانت ألف ورقة ورأى وردا اسود حالك اللون له رائحة ذكية ورأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قانى الحمرة ونصفها الآخر ناصع البياض والورقة التى قد وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم قال صاحب المباهج وحكى لى بعض أصحابى انه رأى وردا بدمشق له وجهان أحد الوجهين أحمر والآخر أبيض لا يشوب أحدهما شئ من الآخر وأخبرت أن بحلب وردا أحد وجهى الورقة أحمر والآخر أصفر وأما الورد الازرق فقد حكى لى بعض أصحابى ان رجلا أخبره انه رأى انه كان يجرى الى شجرة الورد ماء مخلوطا بالنيل قال فسألته عن ذلك فقال ان الورد يكون أزرق بهذا العمل والظاهر من الاسود انه احتيل عليه كذلك (وذكر) ابن قتيبة ان بالهند شجرا يخرج ورد اعليه كتابة تقرأ لا اله الا الله (وحدث) ان منقذ لما عاد من المغرب

وكان

وكان قد توجه اليه رسولا من صلاح الدين ان فى مراكش وردا كل وردة من الثمانين ورقة الى المائة ورقة (الوصف) والتشبيه قال بعضهم وصدق

للورد عندى محل * ورتبة لا تمل
كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

(وقال) آخر وظرف

كتب الورد الينا * فى قراطيس الخدود
يا بنى اللهو صلونى * قد دنا وقت ورودى

(ولبعضهم) فى باكورة ورد

ودونك ياسيدى وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

(وقال) على بن الجهم فى صباته

لم يضحك الورد الا حين أعجبه * حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
لا عذب الله الا من يعذبه * بمسمع بارد أو صاحب نكد

(وفيه مجازفة)

يعز على بأن يشمك ساقط * أوان تراك نواظر البخلاء

(وقال) محمد بن عفيف التلمسانى

قامت حروب الدهر ما * بين الرياض السندسيه
وأتت بأجمعها لتغـ * ـزو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان الورد شوكته قويه

(وتلطف) الشيخ زين الدين ابن الوردى فى قوله موريا باسمه

مهفهف القد اذا ما انثنى * قال ولا يخشى من الرد
ما أنت حلى يا كثيب اللوى * ولست يا غصن النقا قدى
لو نلت من خديه تقبيلة * تزين الريحان بالورد

(ما أحقه) بقول القائل شاكر نفسه يقرئك السلام (قلت) أحسن من بيته الثانى ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس من أبيات

اسمر ان عاين غصن البان * قال استقم فأنت ذو ألوان

يثنيك فى الدوح النسيم الوانى * وليس لى فى قامتى من ثانى
* فلا تقايسنى فلست قدى *

(رجع) وقال أبو الوليد بن الحنان الشاطبى (مولده سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وسبعين وستمائة)

فوق خد الورد دمع * من عيون الحب تذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ما شال يخفف

(وقال) برهان الدين القيراطى

ان للروح فى دمشق لأوى * ذا قرار وذا معين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد * لى بأزرارها صبابة عروه

(وقال) بعضهم وأصاب

كم وردة تحمى بسيف الورد * طليعة تشرعت من جند
قد ضمها فى الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ومن أحسن ما استعمل أوصاف الورد فى اعتذاره عن الاصغاء الى كلام العذول مجد الدين النسائى الاربلى (مولده سنة اثنين وثمانين وخمسمائة وتوفى فى سنة ست وستمائة) شعر

أصغى الى قول العذول بجهلنى * مستفهما عنكم بغير ملالى
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذالى

السرى الرفا يصف وردا أبيض قال

بدا أبيض الورد الجنى كأنما * تبسم للناسى بمسك وكافورى
كأن اصفرارا منه تحت بياضه * برادة تبر فى مداهن بلورى

ولبعضهم فى الورد الاسود

لله اسود ورد ظل يلحظنا * من الرياض بأحداق اليعافير
كأنما وجنات الريح نقطها * كف الامام بانصاف الدنانير

ولآخر فيه

وورد اسود خلناه لما * تنشق نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غض وفيها * بقايا من سحيق الزعفران

وقال مجير الدين بن تميم مضمنا

لم أنس قول الورد حين جنيته * والنار لاستقطاره تتسعر
ناشدتكم نفسي خذوه وانما * لا تبخلوا في قبض روحي واصبروا

(من رسالة) كتبها الجناب المجدي فضل الله ابن المرحوم فخر الدين عبد الرحمن ابن مكانس الى سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد ابن أبي بكر عمر المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني أسبغ الله عليه ظلاله ملغزا في ورد وكان سيدنا بدر الدين قد كتب اليه قبلها الغزا في قدح فحله وكتب اليه هذا اللغز ونقلته من خطه وهو ما عاطل تتحلى به المجالس ويتفكه فيه المجالس تحمر وجناته من الشرب وتحمد آثاره في البعد والقرب ان قلبته رأيت تاجا وان تركته على حاله زادك ابتهاجا يعذب بالنار وغيره الجاني ويريك ان بدلت أوله برد الامانى يستخرج وهو داخل ويرى دمعه من نار قلبه هاطل لا يبرح به في غبطه ولا تجد فيه مع انهماله نقطه ان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب وان فعلت كذلك في ثانيه رأيت ما بقي يؤكد للمحبة بين الاصحاب وور ان حذفت أخيره كمن ورا وغص في بحر الفكر على عكس ثلثيه لتخرج درا وقد سطره ليحصل له من نظر المخدوم طرفا ويصير له في الالغاز شرفا والمملوك يسأل الصفح والامتنان ويبسط العذر في هذا الهذيان فانه لولا المحبة ما أجاب ولا طرق بعد فقد أبيه هذه الابواب ولا عارض بجدوله البحر العباب فان بضاعته في هذا الفن مزجاه وهم أبيه غطى على جاه والله المسؤل ان يلطف برحمته ويحسن عاقبته في دنياه وآخرته ويمتع مولانا بزناد ذهنه الوارى ويطلعه وبنيه في سماء الفضل حتى يهتدى بالنجوم والدرارى بمنه وكرمه (فكتب) الجواب سيدنا بدر الدين (وينهى) ورود الجواب الذى شفى الصدور وروده واللغز الذي نسي بورده بان الحماوز روده فوجده روض بلاغة عدم العابث والعائب وترعرع زهره حيث أمطرته من أنامل المخدوم خمس سحائب وتمسكت أذيال أنفاسه بالرواية عن أبي الطيب وجاد فكر مولانا على خده طرسه بالعارض الصيب فلو شاهده ابن الوردي لاحمر خجلا أو صاحب زهر الآداب لتلون وجلا ثم تأمل حل اللغز فرآه قد كشف المشكل وجلا واعترف بانه لم يمر بذوقه أطيب من ذلك الحل ولا احلا وتحقق ان مولانا أوسعه في مقام الادب بفضله ايناسا وتناول منه قدحا فأعاده

بألفاظه المسكرة كاسا وانتهى المملوك الى اللغز المخدومى فقال

مولاى مجد الدين يامن فضله * يروى وجود كفه يروى الصدا
ألغزت فى اسم عاطل حليته * منك بدر اللفظ أو قطر الندا
ان ورد التعريف فى أبياته * كان لشانيك هلاكا وردا

وقال أيضا

لله لغزك يامولى فضائله * قد عطر الاكوان منها طيب أنفاس
أتى بورد فحيانى على قدحى * به وأبهجنى ما بين جلاسى
وقد أسى حرح كسرى حين أقبل لى * روحى الفداء لذاك الورد والآسى

فاستجلى المملوك بالتحريف ورده وودلوا قتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذل القصور عاريا من ملابس عزه وأنشده قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراج عليه بهرج هذا الرأى الكاسد وأقتنع بالشم على رغم أنف الحاسد وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الخضره وان هذه الفاكهة لا يخرجها الا أغصان أقلام لها بندى الراحه المخدومية بهجة ونضره ومشى نظر المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقه ورأى منه كل وردة وأحب الوجنات الحمر فتحير أهى وردة أم شقيقة وتفكر مجبا بثمار غرسه منشدا لمن كرر النظر فى صفحة طرسه

ان كنت تزعم مافى خده عجب * قم فانظر الورد فى خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه بالعنبر الورد وعوذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد وتأملت بفتور قرمحتى نكتة برد الامانى وانعقد لسانى بسحر هذا البيان ونفثات تلك المعانى وتيقنت انه لا يقوى لفهم هذا البرد الاكل حديد النظر ووجدت تحريف هذه الكلمة ياشمس الفضائل للعقول قرعلمت ان الفكر لا يجارى من بديهيته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو من ضعفه رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قويه وقلت للدهن رد بعضه لتنهل شرابا سائغا وزد تحريفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا وتمتعت من ورده الوارد بالمشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر البين ماء الورد فى حدقى ولولا انا المنة فى الصفح عن مقابلة الدر بالسقط

وتمر هجر

وغير هجر بهذا الخشف الملتقط وله الفضل فى اجابة المملوك الى ماسأله أولا من الاتحاف بما تيسر من آداب المقر الفخرى الوالد نور الله ضريحه وتعاهد بعهاد الرحمة روحه بمنه وكرمه (ولبعضهم) فى الورد القحابى

ووردة جمعت لونين خلتهما * خدى حبيب وخدى هائم عشقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وظرف من قال كأنه وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار انظر الى هذا وجنة وحبيب ودينار واين هذا من قول ابن الرومى (مولده سنة احدى وعشرين ومائتين ووفاته سنة أربع وثمانين وسبعمائة)

كأنه سرم بغل حين سكرجه * بعد البراز وباقى الروث فى وسطه

(ونقلت) من خط شيخنا شمس الدين محمد ابن محمد بن محمد الشهير بابن سمندار الذهبى لنفسه

اذا الربيع جيشت أزهاره * فورده ذو الشوكة السلطان

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه ارتجالا الشيخ الاديب الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الرئيس فسح الله فى مدته

شاب ورد الرياض من * ورد خديك وانفرك
فله الناس اثبتوا * وانتفى الورد للكرك

(النرجس) قال أبقراط كل شئ يغدو الجسم والنرجس يغدو العقل وقال جالينوس من كان له رغيف فليجعل نصفه فى النرجس فانه راع الدماغ والدماغ راعى العقل ويروى عن على كرم الله وجهه أنه قال تشمموا النرجس ولو فى اليوم مرة فانه فى القلب داء لا يبرئه الا شم النرجس وقال الحسن بن سهل من أدمن شم النرجس فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف وكان كسرى أنوشروان مغرما بالنرجس ويقول هو ياقوت أصفر بين درأبيض على زمرد أخضر (وقال) انى لاستحيى أن أباضع فى مجلس فيه النرجس لانه أشبه شئ بالعيون الناظرة ومن هنا أخذ من قال

غضى جفونك ياعيون النرجس * لعسى أفوز بنظرة من مؤنسى
فلقد تصير اذا رأتك شواخصا * ترو بنه بلواحظ المتغرس
حتى كأنك ان ترى قرالدجا * بين الاحبة طالعا فى مجلس

(نادرة) تحدث رجل مع خاطبة فى ان تخطب له امرأة يتزوجها فقالت له عندى امراة كأنها طاقة نرجس فتاقت نفس الرجل اليها فتزوجها فلما زفت اليه وكشف القناع لقى عجوزا مكمشة الوجه بيضاء الشعر دقيقة الساقين صفراء الوجه مخضرة الساقين بالشعر فلم يقربها وعاد باللوم على الخاطبة وقال لها كذبتينى وغريتينى فقالت له ما كذبتك ولا غررتك وانما أنت رجل جاهل قلت لك عندى امرأة كأنها طاقة نرجس فرغبت فيها وما هى طاقة النرجس الا هكذا (خواصه) حار يابس ينفع من سائر أوجاع العصب من برد وكذلك النسرين ويصدع النرجس الرؤس الحارة وفعلهما أقل من فعل الياسمين وينفعان من وجع الارحام من برد ويفتح سدد الدماغ وينفع من الصداع البارد الرطب والسوداوى ودهنه ينفع من أوجاع المفاصل انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب المباهج خاصيته للنفع من الاوجاع الباردة الكائنة فى الرحم أصله يدمل القروح وينفع من أوجاع المفاصل واذا سحق أصله وخلط بدقيق واغتسل به نقى أوساخ البدن والقروح واذا تضمد به فجر الاورام والدملات وهذا الفعل موجود فى أصله وزهره ورائحته مقوية للدماغ مفتحة للسدد طاردة لما فى بطونه من الارياح واذا أديم شمه نفع من الصداع الكائن من بخار البلغم ومن الرطوبة المحتقنة فيما بين أعشية الدماغ وان اتخذ منه شمامة مستديرة فى شكل الرمانة ورش عليها شئ من ماء الورد الممسك وبخرت بالند الرفيع أو العود الرطب والزعفران الشعر الطرى أكسبها البخور بذلك نفعا عظيما وان شوى بصله فى النار أو فى الرماد وقشر وسحق فى الهاون وسكب عليه شئ من دهن الخبرى وأغلى بالدهن عليه وضمد به على الخنازير والجراحات الفجه الجاسته والدمامل الصلبة ألانها وفجرها (وفى كتب الخواص) قال هرمس اذا وضعت طاقات النرجس التى لم تفتح بعد فى ماء البقم حتى يتفتح فيه أبدل من بياض أوراقه حمرة شديدة وبقيت على حالها (الفلاحة) التنطية ان أوفق ما غرس بصل النرجس فى الارض التى أقام الماء فيها عشرة أيام أو عشرين يوما ثم نضب الماء عنها وجف وبقى فيها شئ من الندوة يسير فليحفر فى همة الارض حفايرعمقها قدم أو أقل ويجعل البصلة فيها ويغطى بالتراب ويكبس فوقه التراب كبسا جيدا فاذا ابتدأ يطلع منه

شئ

شئ يسير فيسقى سقية خفيفة و يتعاهد كذلك حتى يكمل ورده (ومن) أراد ان يجعل العين منه مضاعفا فيأخذ بصلة سمينة فيشق وسطها و يغرس فيها سن ثوم غير مقشرة و يغرقها فى البصلة و يطمر البصلة فى التراب فانها تحمل نرجسا مضاعفا (غريبة) ذكرها صاحب المباهج من أخذ من بصل النرجس بصلة كبيرة وأخذ شها بالمسلة من ذهب خالص ثم غرز البصلة برأس المسلة باليد اليسرى ثم يدور الماسك فى الموضع الذى يريد ان يغرس فيه تلك البصلة خمس دورات وهو يضحك أو يتضاحك ثم يغرسها فى مقطع الدورة الخامسة فان تلك البصلة تحمل نرجسا أحمر مثل الشقيق طيب الريح جدا وصفة غرسه كما يفعل بغيره ومن أراد أن يكون النرجس فى غير أوانه فليحرق السداب مع شئ فى قشور الجوز على منابت أصله فانه يسرع اخراج ورقه (الوصف) وقال ابن الرومى

خجلت خدود الورد من تفضيله * نجلا يورد عليه شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناصله الفصيلة عاند
للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية ان هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
شتان بين اثنين هذا موعد * بتصرم الدنيا وهذا واعد
فاذا احتفظت به فامنع صاحبا * بجنابه لو أن حيا خالد
يلهى النديم عن النديم بلحظه * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعيشك فى الملاح سميه * أبدا فانك لا محالة واجد
والورد ان فتشت فى فرد اسمه * ما فى الملاح له سمى واحد
هذى النجوم هى التى ربتهما * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الاخوين من ادناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نعاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد

(ونا قضه) أحمد بن يونس الكاتب فقال

يا من يشبه نرجسا بنواظر * دعج تنبه ان فهمك راقد
اين القياس ولم يصح قياسه * بين العيون و بينه متباعد
والورد أشبه بالخدود حكاية * فعلام تجحد فضله يا جاحد

ملك قصير عمره متأهل * لخلوده لو أن حيا خالد
ان قلت ان الورد فرد فى اسمه * ما فى الملاح له سمى واحد
فالشمس تفرد فى اسمها والمشترى * والبدر يشرك فى اسمه وعطارد
أو قلت ان كواكبا ربتهما * بحيا السحاب كما يربى الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى الـ * ـجدوى هو الزاكى النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع بعد ذا وعوائد
وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل خمسة وفوائد
وخليفة ان عاب آب بنفحة * ونسيمه أبدا مقيم راكد
ان كنت تنكر ماذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

(وقال) سعيد ابن هاشم الخالدى يفضل النوعين

أيحب النرجس البلدى ودى * ومالى باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوق وانى * أرى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الازهار هذا * مقدمة يسير وذاك ساقه

(وقال أبو العلاء المعرى الشروى) يهجو النرجس

انظر الى نرجس تبدت * صبحا لعينيك منه طاقه
واكتب اسامى مشبهيه * بالعين فى دفتر الحماقه
كرائة ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

(وقال) ابن الشبلى البغدادى فيهما

ونرجس قابل فى مجلس * ودرغلا فى نعته الناعت
فهذا يخجل من لحظ ذا * وطرف ذا فى وجه ذا باهت

(وقال) منصور الهروى يصفه مع البنفسج

قرن الزمان الى البنفسج نرجسا * متبرجا فى حلة الاعجاب
كحدود عشاق غدت ملطومة * نظرت اليها أعين الاحباب

(الداخل) الاديب الفاضل المؤرخ الرحال نور الدين على بن سعيد الى القاهرة المحروسة صنع له أدباؤها صيغا فى بعض متنزهاتها وانتهت بهم القرجة الى روض نرجس وكان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجليه فقال

ناصر

ناصر الدين حسن ابن النقيب

ما واطئ النرجس ما تستحي * ان تطئ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال زكى الدين ابن أبى الاصبع

فقال دعنى لم أزل محنقا * على لحاظ الرشاء الاكحل

ثم أبوا أن يجيزه غيره أعنى بن سعيد فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه ابن سابق الى مجلس على النيل مبسوط بالورد وقد قامت به شمامة نرجس فقال فى ذلك

من فضل النرجس فهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غداقا عدا * وقام فى خدمته النرجس

(وقال) مجد الدين ابن سحنون خطيب النيرب وقد أهدى نرجسا

لما تحجبت عن طرفى وارّقنى * بعدو لم تحظ عينى منك بالنظر

أرسلت مشبهها من نرجس عطر * كيما أراك باحداق من الزهر

(وقال) صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الىّ وللغمام حولى الغمام

أيا رب حىّ فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين غمام

وما أحسن قول بديع الجنوى رحمه الله تعالى

وكأن نرجسه المضاعف خائض * فى الماء لف ثيابه فى رأسه

(وأظرف) من قال

يغض من فرط الحيا طرفه * ما أحسن الغض من النرجس

ونقلت من خط المرحوم فخر الدين ابن مكانس لنفسه

بعدك شمس الدين يا ماجرى * من أدمع الطل بخد الشقيق

والنرجس الغض غدا شاخصا * فلا تخلى عنه للطريق

زاد على البيتين المتقدمين وأجاد

ليس جلوس الورد فى مجلس * قام به نرجسه يوكس

وانما الورد غدا باسطا * خدا يمشى فوقه النرجس

قول أمين الدين الجوتان توفى سنة ثلاث وستين وستمائة

نفش غض البان أذنابه * وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل فى الروض مثلى وقد * تعزى الى غصنى قدود الملاح
فدق النرجس يهزوبه * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت يا لطول تحامقت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ماهذه الا عيون وقاح

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه ارتجالا لا بحضورى ونحن نتنزه بجزيرة الفيل وقد مررنا بقطعة نرجس نسقى سيدنا المقر المجدى فضل الله ابن مكانس أبقاه الله

وجدول الماء يجرى بين نرجسه * لذى البصائر جرى الطيف فى المقل

وقال القاضى شهاب الدين ابن فضل الله فى كتابه مسالك أبصار فى ترجمة ابن تميم وحكى أنه حضر فى مجلس بعض الاكابر وقد غض المجلس وبهت فيه عيون النرجس وقعت فيه أصابع المنشور وأعطى فيه أمير الحسن ذؤابة شعره المنشور وطال اعمال الكؤس حتى غمضت الجفون ولم يبق دور الكاس خال من الجنون وأن امنية ابن تميم قد تركه السكر ملقى وخلا خده المصرج محلقا فنهض غير مرة لتقبيله ثم خاف أعين قتيله فقعد بعدا للجاج ورجع رجوع الصادى والماء يجلى عليه فى الزجاج فقال

كيف السبيل لان اقبل خده من * أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنشور تومى نحونا * حسدا وتغمزنا عيون النرجس

(البنفسج) بارد رطب فيه حرارة يسيرة تتحلل بها الاورام وهو ينفع المحرور وينوم نوما معتدلا ويذهب الصداع العارض من المرة الصفراء والدم الحريف وهو وشرابه يسهل المرة الصفراء وينفع للصدر والرئة وكذلك مرباه ينفع من ذات الجنب انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر البنفسج من الرياحين اللطيفة ومن الخواص الظريفة أن من أراد أن يكون البنفسج على غير سبيل الفلاحة فى السرعة أن يأخذ من السداب البستانى شيأ يكون مقداره فى القلة والكثرة بمقدار البنفسج ويكون السداب لم يصبه الماء البتة بل يقطع من منابته ويجفف حتى يزول التراب المتعلق بعروقه عند قلعه ثم يؤخذ لكل طاقة بنفسج طاقة سداب ويعمد الى أطراف مجارى الماء الى اصول البنفسج فيجعل فيها السداب ويؤخذ من أغصان خشب التين المجففة

شئ ثم يحرق الجميع على مقربة من البنفسج بحيث لا يبلغ لهب النار اليه فانه متى فعل ذلك للبنفسج أهاجه وحمل بعد عشرين يوما من هذا الفعل (ومن عجيب) أمره أن الانسان اذا تغوط فى مجارى الماء اليه مات ودبل وكذلك ان خرج منه ريح فى مزرعته وحاجته ان كان ابتدأ فى توريده فانه يفسد ولا يكاد يجذب من الماء الذى يسقى به شيأ وأنه اذا دام الضباب عليه يوما أو نحوه ضعف ومتى توالى نقصت زهرته وصغر ورقه وتغيرت رائحته ومن الاشياء المضادة له القصب فانه لا يفلح بقربه ولا ينمو ومن آفاته المهلكة له والمضعفة لقوته لسرعة قبوله للتأثيرات الرديئة أن تقع صاعقة على اربعمائة ذراع منه أو أقل فانه يهلك سريعا والبرد يفسده فسادا لا صلاح معه وكذلك الرعد الشديد التتابع يضعفه ويوهنه والسمائم أيضا تتلفه والريح الشمال الباردة والمطر الكثير يذهب به لضعف ساقه وماء الابار الثقيل يضعفه وربما أهلكه وكذلك الدخان اذا دام عليه ولا ينبغى أن يماسه فى منبته تراب من قبور أو ما يقرب من القبور فان ذلك يضعفه وان أصابه أهلكه (الوصف) من رسالة لابى العلاء عطاء بن يعقوب يصفه سماوية اللباس مسكية الانفاس واضعة رأسها على ركبها كعاشق مهجور ينطوى على قلب مسجور كبقايا النقس فى بنان الكاعب أو النقش فى أصابع الكاتب أو الكحل فى لحاظ الملاح الفاترات الغانيات القاتلات لازوردية فاقت بزرقتها على اليواقيت كأوائل النار فى أطراف كبريت (وأجاد أبو هلال العسكرى فى قوله رحمه الله تعالى)

ومعذر قال الاله لحسنه * كن فتنة للعالمين فكانه
زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

(وقال آخر وهو المكيال رحمة الله عليه آمين)

يا مهديا لى بنفسجا أرجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

(وأنشدنى الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه رحمه الله تعالى)

بنفسج الروض تاه عجبا * وقال طيبى للجو ضمخ
فأقبل البان فى احتفال * والزهر من غيظه تنفخ

(وقال مجير الدين بن تميم)

عاينت ورد الروض يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج محنق
لاتقربوه وان تضوع نشره * ماينكم فهو العدو الازرق

آخر

بنفسجا جمعت أوراقه فحكت * دمعا تشرب كحلا يوم تشتيت
كأنه بين طاقات ضعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

(ويعجبني) قول الراضي بالله وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشيء بالشيء يذكر

قالوا الرحيل فانشدت أظفارها * في خدها وقداعتلقن خضابا
فظننت أن بنانها من فضة * قطفت بأرض بنفسج عنابا

حار يابس واذا غمس في الماء اعتدل وقلت حرارته وشمه ينفع من اللقوة ويضمد به مدقوقا للسعة العقرب فيسكن وينفع المبرود الدماغ ويضر المحرور انتهى كلام العنبري (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتابه شرح العيون في شرح رسالة بن زيدون عند ذكر كسرى أنوشروان أنه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة في بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو بندقة فقتلها وقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب في منقارها فألقته اليه فأخذه وقال ازرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذي ألهمها أن يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمته (قلت) وذكر الشيخ جمال الدين ما خص به كسرى من الاشياء الغريبة فلا بأس بايراد نبذة منها اذ كان كتابنا هذا يشتمل على ما كثر فمنها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا والقطعة الياقوت المسماة لسان الثور تضيء أكثر من السراج والفلهيد المغني واضع العود الخراساني على اثني عشر وترا كل من ضرب به جرح الاهو وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة بألبان النعاج يذبحان بسكين من ذهب ويسجر التنور بالعود ويسمط ما يسمط بالجمر المغلى ويطلى بالمسك والملح ويعلق في سفود من ذهب ورياحين من ذهب فاذا برد حمل ووضع على خوان من ذهب ويقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من

أحب من ندمائه و يكسر التنور ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون ملكا وكانت له حكايات حسنة فى سيرته أضربت عنها الثلا نخرج عما نحن بصدده (رجع) قال الحسن ابن سهل أربعة من الرياحين تقوى بأربعة من الطيب ليكمل ذكاؤها (الورد) بالمسك (والنرجس) بماء الورد و (البنفسج) بالعنبر (والريحان) بالعبير الوصف قال ابن المعتز

قضيب من الريحان شابه لونه * اذا ما بدا فى العين لون الزمرد
فشبهته لما تأملت حسنه * عذارا تدلى فى عوارض أمرد

(قلت) وأنشدنى الشيخ عز الدين الموصلى من لفظه فى مليح معذر

بخد الحب ريحان نضير * لاسطره حروف ليس تقرى
فراعيت النظير وقلت حبى * عذارك أخضر والنفس خضرى

(وقال) مجير الدين بن تميم

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به * بين الندامى سوى الريحان نمام

(الآس) بارديابس دهنه يقوى أصول الشعر و يمنع تساقطه و يطيله و يسوده وورقه اليابس ينفع صنان الابط و يطيب رائحة الجسم واذا طبخ وتمضمض بمائه قوى الاسنان واللثة و يمنع من الصداع الحاد وشمه يقوى القلب المحرور ويزيل خفقانه وينفع حبه من الاسهال و يقوى المعدة انتهى كلام العنترى فى النور المجتنى (وقال) صاحب المباهج انه يتصرف فى أشياء كثيرة عظيمة النفع حبه وورقه وقوته البرودة فى الاولى وحبه نافع من الخفقان وضعف القلب وهو بجملته قاطع للاسهال المتولد من الصفراء ومن ابتلع من ورقه من الخمسة الى السبعة ورقات فانه يقوى المعدة و ينقى ما فيها و يحلل رياحها وأما حبه فانه لما فيه من الحلاوة واللطافة ينفع للسعال العارض من الحرارة من غير اضرار بالصدر والرئة ولما فيه من العفوصة يقطع نفث الدم وحرقة المثانة وينفع الاسهال المزمن وماؤه اذا غسل به الشعر حصبه وقواه من الانتثار وصدأصله و ينفع من الابرية والقروح الرطبة واذا جفف الورق ودق ونخل وجعل على الآباط والانخاذ الندية قطع نداوتها ومنع عرقها وعن ابن عباس رضى الله عنه قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء منها الآسة وهى سيدة

ريحان الدنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والحسين بكاني يديه وردة ان الورد سيد رياحين أهل الجنة ما خلا الآس وهو باليونانية المرسين (الوصف)

خليلي ما للآس يعبق نشره * اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداغ ريم معذر * وصورته آذان خيل نوافر

(وما ألطف) ما ألم به الشيخ شمس الدين بن الصائغ في قوله

خط آس العذار في الخد لاما * عرفتني سفاهة اللوام
أنا في كسرة لبعدي عنها * جبر مثلي بالآس أو باللام

وقال آخر فاغرب

أعجب بآس معجب مؤنق * يعجب منه أي اعجاب
كأنما تقطيع أوراقه * ما بيننا أنصل نشاب

(قلت) في البيت الاول عجمجات كثيرة ولكنه أصاب الغرض في الثاني ويمكن أن يقول أحبب بآس أخضر مؤنق (الياسمين) حار يابس في آخر الدرجة الثالثة نافع من الرطوبة والبلغم صالح للمشايخ ومن كان بارد المزاج ومن الصداع العارض من البلغم والمرة السوداء وعفونة البلغم وكثرة شحم توت الصفار يفعل ذلك في الحار المزاج ودهنه ينفع من أمراض العصب الباردة والخالص من دهنه يرعف انتهى كلام ابن المحلى (وقال) صاحب المباهج في الفلاحة اذا أردت ياسمينا أحمر اللون فانه يشق قصب الياسمين ويخرج ما فيه ويحشى مكانه بالك مسحوقا ويوضع عليه طين ويلف عليه مشاق ويغرس ويتعاهد بالسقي فانه يزهر ياسمينا أحمر والازرق بالسلح والاصفر بالزرنيخ مجرب (الوصف)

ولما خلقنا ها سماء زبرجد * لها أنجم زهر من الزهر الغض
تناولها الجاني من الارض قاعدا * ولم أر من يجني السماء من الارض

آخر في الاصفر منه

كأنما الياسمين حين بدا * يشرق منه جوانب الكتب
عساكر الروم نازلت بلدا * وكل صلبانها من الذهب

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب أخضر عليه قطن قد ندف

(الحيرى) وهو المنثور حار يابس فى الثانية فيه جلاء وتلطيف وينفع من السدة فى الرأس من البلغم وهو دواء فائق للأورام وخاصة لما طال لبثه وعسر ويجتذب المشيمة والاجنة الموتى بأن يشم دهنه وتدلك به الاخصار والمغابن وفم الرحم والحيرى ألوان مختلفة أصفر ذهبى وهو أرفعها وخمرى وبنفسجى وأحمر وملمع وبياض وغير ذلك من الالوان والابيض هو أردأها والاصفر الذهبى ذكى الرائحة يشم ليلا ونهارا وأما سائر أنواعه سوا الابيض فانها لا يشم لها بالنهار رائحة مادامت الشمس طالعة فاذا غابت ظهر لهذه الالوان رائحة عجيبة عطرة مشاكلة لرايح القرنفل أو رايح ماء القرنفل المصعد بماء الورد ولا تزال روائحها تزداد طيبا الى طلوع الشمس ثم تزول تلك الحمرة والرائحة باقى النهار الى وقت المغيب وأما الابيض فلا يؤدى رائحة فى ليل ولا نهار وهو أقلها نفعا وأردأها وفى أصنافه منفعتها واحدة وقد يتخذ من الاصفر منه والخمرى والبنفسجى دهن يربى بالسمسم كما تربى أدهان الازهار فينفع الاورام الباردة ويحللها ولعقد الرقاب والاعصاب المعارضة لهما وادمان شمه ينفع من اللقوة والفالج وذوى الامزجة الباردة واذا أخذ من بزر الاصفر مجففا وزن دانقين يسحق مع زهرتين من زهر القرنفل الذكر وأضيف اليهما وزن حبة من مسك أذفر خالص ووزن القرنفل من أنفحة أرنب وسحق الجميع ورتب على الصلابة بالبان المبسوس بالمسك واتخذ منه فرزجات وتحملت المرأة فرزجة منها فى ليلة طهرها وواقعها بعلها فانها تحمل باذن الله من تلك المواقعة وذكر جالينوس أن بزر الحيرى اذا سحق مع دم هدهد ودهن زئبق واحتملته المرأة وواقعها زوجها حملت وهو من النبات الذى اذا لقطت ورده امرأة حائض فسد وذبل وهلك لخاصية فيه ولا ينبغى أن يعمل أعماله كلها امرأة ألبتة حائضا كانت أو غير حائض بل الرجال الذين أسنانهم فوق أسنان الصبيان ويطرح بزره الذى يطرحه وهو طاهر نظيف بعيد العهد بملامسة النساء ويعالج جميع أعماله والقمر زائد فى الضوء وان كان متصلا بالسعود جيد المكان فى الفلك كان أجود ومما يوافقه أن يذر فى أصله شئ من دقاق بعر المعز بعد السقى فانه ينفعه

ويزيد فى رائحته زيادة بينة وليس يحتاج الى الشمس الحارة لانها تضعفه ولا يكثر عليه الماء اكثارا مفرطا فانه يضره انتهى كلام صاحب المباهج (الوصف) قال مجير الدين بن تميم

حاذر أصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه فى جر الغضا * الا الدعا بأصابع المنثور

وقال متعصبا للورد

ولم أنس قول الورد لا تركنوا الى * معاهدة المنثور فهو يمين

(وقال) متعصبا له على النرجس

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـ * ـمزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك فى سواى لاننى * عندى قبالة كل عين أصبع

(وقال)

ومذ قيل للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلوّن من قولى وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأومى الى وجه

وقال ابن حجة

رأيت مع المنثور بعض وقاحة * ولم أدر ما بين الغدير وبينه
تلوّن منه ثم مد أصابعا * الى وجهه عمدا وجر عينه

(وقال)

ومذ قيل للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو أمير
بسمت ثغور الاقحوان مسرة * لقدومه وتلوّن المنثور

(وقال)

لما دعى المنثور ان الورد لا * يأتى وأن يصلى بنار السعير
ودت ثغور الاقحوان لو انها * كانت تعض أصابع المنثور

وأحسن التصرف الامير شهاب الدين الحاجبى فى قوله

ولقد نثرت مدامعى ودمى معا * يوم الوداع وخاطرى مكسور
لا تعجبوا لتلوّن فى أدمعى * لا تدّع أن يتلوّن المنثور

(الاذريون) حار يابس منافعه أن يسحق بالخل ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر فيه وينفع سائر السموم لاسيما الاندوغ وقال صاحب المباهج ان

شرب

شرب من أصله خمسة دراهم مع عسل أو سمن أسهل اسهالا شديدا بالغما وكيموسا بائيا و يشربه أصحاب اليرقان و ينبغي أن يضطجع من يشربه في بيت حار و يغطى بثياب كثيرة فانه يسيل منه عرق لونه لون المرة الصفراء والشربة منه ثلاث مثاقيل ونصف بشراب حلوى و بماء العسل و ينفع شربه بالطلاء من السم القاتل ولدغ الهوام ومن عجائب خواصه أنه ان دخلت امرأة حامل بيتا فيه اذريون أسقطت وان تحملت به امرأة في فرجها ثم جامعها بعلها حملت وقال ديسقوريدس أصل بخور مريم اذا علق على المرأة منع الحبل واذا خطته المرأة الحامل أسقطت واذا أخذ منها وهي جافة وسحق منها مثقال وسقي بماء فاتر وعسل لمن يحب أن يسهل باطنه فانه يجليه بلغما كثيرا وينقي كما في صدره من البلغم ويخرج ما في باطنه من الخام وان شربت منه امرأة أسهل حيضها وان أحشت منه صوفة أسهل حيضها وهي تنزل الولد الميت و يشرب منها لعسر البول وعسر الولد ولمن سقي سما أو لدغه شئ من ذوي السموم وهي سليمة مأمونة لا يخاف منها نافعة وهي تنفع لوجع الكبد يسقى منها رطلا وعسلا وبماء فاتر وعسل وهي نافعة من السرطان ومن العقد التي تخرج في الاصابع والسلع يعمل لهم منها مرهم ثم يطلى عليها والاذريون من الاشياء الصابرة على العطش وهي كبيرة وصغيرة ونباتهما سواء فالكبيرة شجرة مريم والصغيرة اذن الجحوز وزعم السلف أن الحامل اذا أمسكته بيديها مطبقة احداهما على الاخرى ان الجنين ينالها ضرر شديد فان أدامت امساكه واشتمامه أسقطت وان عسرت الولادة على الحامل فلتمسكه بيديها كما وصفنا فانها ترمي الولد سريعا واذا بخر به هرب الفار والوزغ من الموضع الذي بخر فيه وفيه منافع جمة اختصرناها (الوصف) قال الصنوبري

كأن آذريونها من فوق تلك القضب

خيام مسك فوقها سرادق من ذهب

وقال ابن المعتز وأجاد

كأن أذريونها والشمس فيه كاليه * مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

قال ابن حجة في الاذريون

كأن أذريونها ونوره قد أبهجا * وبيض برق لامع في جنح ليل قد دجا

(السوسن) بضم السين لحن والصواب بالفتح وزن جوهر وكوثر ولم يسمع بالضم الاجوذر وهو حار يابس فى أول الدرجة الثانية ينفع من كان بارد المزاج ومن الاوجاع المعارضة فى العصب من البلغم ودهنه نافع من وجع العصب المتولد من البلغم ووجع الرحم والاسمانجوى أقل حرارة وأصل الاسمانجوى يسهل الماء الاصفر الشربة منه مثقال انتهى كلام صاحب النور (الوصف) قال أبو نواس رحمه الله تعالى

سقيا لارض اذا ما مت تنبتنى * على الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارفة * على الميادين اذناب الطواويس

قال ابن حجة فى السوسن

بدا سوسن الروض المدبج أزرقا * وأصفر يعلو طوله فوق مبيض
كأن الربا أرخت ذيول غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(اللينوفر) وهو أزرق وأصفر وأحمر وأبيض وجميع أصنافه باردة رطبة منوم مخدر للدماغ أقوى فعلا من البنفسج فى التنويم والتبريد وينفع الصدر والرئة فى الامراض الحارة ويزيل الصداع وكثرة شمه تزيل الاحتلام ويقطع شهوة الباه لاسيما ان شرب منه فانه يجمد المنى لخاصية فيه لاسيما أصله وبزره وشرابه ودهنه نافعات لامراض الرأس من حرارة انتهى كلام ابن المحلى (الوصف) قال ابن صابر

ياحبذا بركة نيلوفر * قد جمعت من كل فن عجيب
أزرق فى أحمر فى أبيض * كقرصة فى محجر خد الحبيب
كأنه يعشق شمس الضحى * فانظره فى الصبح وعند المغيب
اذا تجلت يتجلى لها * حتى اذا غاب سناها يغيب
يدنو اليها شاخصا طرفه * ولا يحاشى نظرات الرقيب
لا يبتغى وجها سوى وجهها * فعل محب مخلص فى حبيب

(وقال) ابن حمديس

اشرب على بركة نيلوفر * محمرة الاوراق خضراء
كأنما أزهارها أخرجت * ألسنة النار من الماء

(وقال) ابن قيم وأجاد

لينوفر لما تلش ماؤه * ثوبا فتاه على النجوم بثوبه
لحظته أعينها فنكس رأسه * خجلا وغاص من الحيا فى ثوبه

وقال أيضا

غدا اللينوفر المصفر يحكى النـــجوم فلا يغادرها شبيها
تغوص العين فيه اذا تجلى النـــهار وفى الظلام يغوص فيها

وقال أيضا

ولينوفر كالزهر شكلا ومنظرا * محاسنه فيها اللواحظ ترتع
وكل نجوم لكن الفرق بينها * تغيب صباحا وهو فى الليل يطلع

وقال ابن حجة

لينوفر الليل مذ أبدى تلوّنه * أحمر وأزرق من ساسينا وشكا
قلنا له ذاك لون واحد وبه * يسمو وأنت بليد وهو فيه ذكا

(الباب السادس عشر فى الروضات والبساتين)

أجمع جوابوا أقطار الارض على أن متنزهاتها أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق قال أبو بكر الخوارزمى قد رأيتها كلها فكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن كأنها الجنة صوّرت على وجه الارض فاما السغد فهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى متشبكة العمائر مامقداره اثنى عشر فرسخا فى مثلها وأما شعب بوّان فبقعة من نواحى كورة سابور يكون مقدارها فرسخين قد ألحفتها الاشجار ظلالها وجاست الانهار خلالها وهذا الشعب لبوّان بن أبرج أفريدون وفيها يقول المتنبى

مغانى الشعب طيبا فى المعانى * بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها * غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها * سليمان لسار بترجمان
غدونا نغض الاغصان فيه * على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عنى * وجئن من الضياء بما كفانى
وألقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

لها ثمر يشير اليك منه * باشربة وقفن بلا أوان
وأمواه تصل بها حصاها * صليل الحلى فى أيدى الغوانى
اذا غنى الحمام الورق فيها * أجابتها الاغانى والقيانى
ومن بالشعب أحوج من حمام * اذا غنى وناح الى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفا هما متباعدان
تقول بشعب بوّان حصانى * أعن هذا تسير الى الطعان
أبوكم آدم قد سن هذا * وعلمكم مفارقة الجنان

وأما نهر (الابلة) وهو من أعمال البصرة وطوله أربع فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد خط على خط مستقيم وكأن نخله غرس فى يوم واحد (وأما الغوطة) وهى من حيز دمشق فانها ناحية يكون طولها ثلاثين ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا مشتبكة القرى والضياع لا يكاد أن يقع للشمس على أرضها شعاع للالتفاف أشجارها واكتناف أزهارها وللشعراء فى وصفها قصائد كثيرة أضربنا عن ذكرها اتردد العلل فيما يختار منها اذ كلها حسان لو جمعت لحفيت من تسطيرها الاقلام وكلت البنان وقد روى فى بعض الاخبار عن كعب الاحبار انه قال غوطة دمشق بستان الله فى أرضه (وقال) جمال الدين بن نباتة كتبها الملوك ومنظر الروض قد شاق ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق والغصون المنعطفة قد أرسلت أهواء القلوب بالاوراق وحمائمها المترنمة قد جذبت القلوب بالاطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفكت أزراره من أجياد القضب أنامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه بأخذ البيعة على الازهار بالتقديم (وقال) مجير الدين بن تميم

كيف السبيل بلثم من أحببته * فى روضة لازهر فيها معرك
ما بين منثور وناظر نرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنوا الىّ وثغر هذا يضحك

وقال آخر وحللنا موضع كذا فافترشنا من زهره أحسن بساط واستظللنا من شجره بأوفى رواق وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نارفى غلائل نور الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء

الظلماء (وقال) الشريف على ابن دفترخوان

ودوحة سكرت أغصانها بصبا * فللهوى فى معاينها اشارات
ماست فنقطها غيث بلؤلؤة * ففوق أوراقها منه جمانات
فهن فى العين هاآت مطمسة * من اللجين وان سالت فيمات

(وقال) على ابن ظافر فى منزل قد انقطعت قدود أشجاره وأبسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طيبه وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه والنسيم قد خفت واعتل وسقط رداؤه الخفاق فى الماء فابتل ووهنت قوته حتى ضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير (فخر الترك) أندم المجنوى

الروض مقتبل الشبيبة مؤنق * خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآلى عقده * فالزهر منه متوج ومنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحى * فغدت كمائم نوره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه فاتقى * منها ومنه سنا شموس تشرق
فالغصن ميال القوام كأنه * نشوان يصبح بالنعيم ويعبق
والطير ينطق معربا عن شجوه * فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غردا يغنى للغصون فينثنى * طربا جيوب الطل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل * لا يستطيع الرقص ظل يصفق
فتمهل ايام الربيع فانها * ريحانة الزمن الذى يستنشق

(برهان الدين) القيراطى فى دمشق سمى سهمها على قوس الكواكب وأقبلت من كثائب زهورها فى مواكب وتحرك عودها حين غنت عليه من الورق القيان وطفح يزيدها فقلت وهذا مما يعجب أبا سفيان (وقال) سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى أسبغ الله عليه ظلاله يصفها عند دخوله اليها فى ثامن رمضان المعظم سنة ثمانمائة ونقلتها من خطه فتأملها المملوك فاذا هى جنة ذات ربوة وقرار معين وبلدة تبعث محاسنها الفكر على حسن الوصف وتعين وحسبك بالجامع الفارق بينها وبين سواها والانهار التى اذا ذكرت قتل المحل فأجراها واذا سمع حديث الخصب فما أرواها ما أقول الا منتزهات مصر عارية من المحاسن وهذه ذات

الكسوة ولا أن النيل احترق الامن الاسف حيث لم يسعده الدهر بالصعود الى تلك الربوة ولا أظنه احمرّ الاخجلا من صفاء أنهارها ولا ناله الكسر الا لتأمله بالانقطاع عن الوصول الى سقى أزهارها فلو رأى العاشق جبهتها لسلا بمصر معشوقه ونسى ظهور جواريه المتحببة بمقاماتٍ غصونها المشوقه ولو تطاولت المجنونة الى المفاخرة لتأخرت الى خلفها متخبلة وأحجمت عن الاقدام حين تحركت لها بدمشق السلسلة وحق مصر أن لا يجرى حديث المفاخرة فى وهمها وأن تتقى شر المنازعة قبل أن تصاب فى هذه البلدة بسهمها فسقى الله منتزهاتها التى طرب الملوك برؤية حبكها وطالما اهتزت له المعاطف على السماع ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فانعقد على حلاوة شكره الاجماع تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم (وقال) البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العانى صداهمه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

(وقال) ابن عمار

يا ليلة بتناها فى ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الرياض وتحت أذيال النسيم

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تشبيه القمر من خلال الاغصان

كأنما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

(وقال) سيدنا بدر الدين محمد بن الدمامينى فى كتابه الذى وضعه على غيث الادب الذى انسجم فى شرح لامية العجم تصنيف الشيخ صلاح الدين الصفدى وسماه كتاب نزول الغيث عند ذكر هذين البيتين (ظاهر هذه العبارة) أن الاغصان شبهت فى حال انثنائها امام البدر فى الدجا ببنت مليك تطل من خلف شباكها للنظر فى موكب أبيها وذلك عن مظان التوجيه بمعزل ومقصوده أن البدر فى حال ظهوره من خلال الاغصان المنثنية على الصفة المذكورة شبه ببنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية بشبيهها لكن لفظه لا يساعده على هذا المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له

المراد

المراد وكثيرا مايقع له فى هذا قال يصف خالا على شفة

قد شبه الخال على ثغره * تشبيه من لاعنده شك
كسبحة من جوهر تضمنت * حق حقيق قفله مسك

وأين هذا من قول الطغرائى

انظر الى الجنة فى ثغره * لاريب فى ذاك ولاشك
أما ترى فيه الرحيق الذى * ختامه من خاله مسك

على أن مقطوع الصفدى الاول مع مافيه من العيب مأخوذ من قول ابن قرناص

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر فى الاسلاك
والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

وقد عيبت هذا البيت وشتان بين ذاك وبينه فتأمله انتهى كلام الشيخ بدر الدين وقال بعضهم وأحسن

نحن فى عب سماء أقلعت بعد الارتواء وأقشعت عند الاستغناء والنبت خضل ممطور والنقع ساكن محصور رش جبين النسيم وابتل جناح الهوى وضربت خيمة الغمام واعرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد ونبض عرق البرق (وقال) ابن الساعاتى (توفى سنة أربع وستمائة بالقاهرة وعمره احدى وخمسون سنة)

ولقد نزلت بروضة عبقية * رتعت نواظرنا بها والانفس
فظللت أعجب حيث يحلف صاحبى * والمسك من نفحاتها يتنفس
ما الدوح الاجوهر والجو الا * عنبر والارض الاسندس
سفرت شقائقها فهم الاقحوا * ن بلثمها فرنا اليها النرجس
فكأن ذا خد وذا ثغر تحا * وله وذا أبدا عيون تحرس

بدر الدين بن يوسف بن لؤلؤ الذهبى رحمه الله تعالى

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا
ينكسر الماء الزلال على الحصا * واذا غدا بين الرياض تشعبا

(وقال)

باكر الى الروضة نستجلها * فثغرها باصاح بسام

والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه أسقام
والغصن فيها ألف قد بدا * والنهر فى أرجائها لام
وبلبل الدوح فصيحا على * الايكة والشحرور تمتام

صفوان بن ادريس (توفى سنة ٩٨ رحمه الله تعالى)

جاد الربا من بانة الجرعاء * نوآن من دمعى وغيم سماء
يا ليت شعرى والزمان منقل * والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقى فى روضة موشية * خفاقة الاغصان والافياء
وننال فيه من تألفنا ملوما * فيه سخنة أعين الرقباء
فى حيث أطلعت الغصون سوالفا * قد قادت بلآلئ الانداء
وجرت ثغور الياسمين فقبلت * عنى عذار الآسة الميساء
والورد فى شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وكأن غض الزهر فى خضر الربا * زهر النجوم تلوح فى الخضراء
وكأنما جاء النسيم مبشرا * للروض يخبره بطول نواء
فكساه خلعة طيبة ورمى له * بدراهم الازهار رمى سخاء
وكأنما احتقر الضبيع فبادرت * بالعذر عنه نغمة الورقاء
والغصن يرقص فى حلى أوراقه * كالخود فى موشية خضراء
واجتر ثغر الاقحوان بما رأى * طربا وقهقه منه جرى الماء
أفديه من أنس تصرم وانقضى * فكأنه قد كان فى الاغفاء

(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدمامينى هذا اللغز وكتب به الى بعض الفضلاء الثغر المحروس ما قول مولانا أبقاه الله تعالى وضاعف اقباله ووالى فى ذات ينعم بها الجانى وتطرب فى مرابعها الالحان المغنية عن المثالث والمثانى خرساء لا تعرف حديث الادب المأثور وطالما تأملها الكاتب فوجد بها السجع والمنثور عيونها تذبل اذا شربت وأعطافها ترقص اذا طربت طالما تحركت بها السواكن وهاجت البلابل ونهر من سأل عنها فاستعذب نهرها السائل وروى منها عن الزهرى حديث حسن ولم يعز اليها مع ذلك براعة ولا لسن ورمقت الاعين خدودها وودت الانفس على الحالين ورودها استحسنت الخواطر حديث راويها اذا اعتل واستروحت لنفسه

قوله وكتب الخ يتأمل معناه حتى تظهر المناسبة

الطيب

الطيب اذا اختل ان عرف لفظها كان عليها لمحل لا يطرقه محل ولا ينكر تأنيثه فحل يحدث المصرى بحلاوته ويخبر بلفظه وطلاوته قد سهر من قديم تألقه البسطه وجهل السكر على انه مازال يقول بالنقطه يعرف المعشوق وآثاره وينال من المشتهى أمانيه وأوطاره وتوطأ فيحمد حمله الانعال وتقف عنده الجوارى على الارجل فلا تود الانتقال وينشد من شغف بمعانيه وبعث طرفه لتأمل مغانيه وكتب اذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر والافعلم على جملة يعرفها الطالب ويحسن ارتكاب المهالك لينل ما فيها من المطالب قد فتحت لارباب المقاصد أبوابها ومنحت الافهام الضالة هديها وصوابها وصحت بما اشتملت عليه من العلل ونسخت مع انها أحكمت بالسلامة على الحلل

وقد بسقت منها الفروع وأثمرت * الى أن جنا منها الورى ثمر العليا
وفى وصفها يبدو الطباق فضدها * يموت بها غما وصاحبها يحيى

(الوزير بن عمار)

وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا تزورنا * هداياه فى أيدى الرياح البواسم
تبلغنا أنفاسه فنردها * بأعطر أنفاس وأزكى المباسم
تسير الينا ثم عنا كأنها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم

(وقال) القاضى بدر الدين بن الدمامينى لنفسه رحمه الله

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهرى
تعال نباكر الروض المفدا * وقم نسعى الى ورد ونسرى

(وقال) أبو جعفر ابن الشعرى (توفى سنة احدى وثلاثين وستمائة)

ياهل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤس الشقيق

وقال بعضهم

فى روضة علم أغصانها * أهل الهوى العذرى كيف العناق
هبت بها ريح الصبا سحرة * فالتفت الاشجار ساق بساق

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلي ونقلتها من خطه رحمه الله تعالى

منابر الدوح فيها الورق قد سجعت * فمالت القضب للألحان واستمعت
وهاجها سحر امر النسيم فذ * هب القبول الى طيب الصبوح دعت
أبدت فرادى ومثنى من عجائبها * تلك الرياض التي للحسن قد جمعت
بينا ثغور ربها للزهر قد بسمت * أضحت عيونا بماء الطل قد دمعت
ومذ تلون وجه الروض قابله * نهر به أعين في صدره دفعت

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل يحيى بن هذيل التجيبي أبو زكريا كذا ذكره العلامة ذو الوزارتين لسان الدين محمد بن الخطيب في تاريخه الاحاطة بتاريخ غرناطة (وذكر ان وفاته سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة)

نام طفل النبت في حجر النعامى * لاهتزاز الظل في مهد الخزامى
وسقى الوسمي أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما
يحسب البدر محيا ثمل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وقال الوزير العلامة فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس تغمده الله بالرحمة يصف شجرة بشاطئ النيل المبارك بالروضة

يا سرحة الشاطئ المنساب كوثره * على اليواقيت في أشكال حصباء
حلت عليك عز اليها السحاب اذا * نوء الثريا استهلت ذات انواء
فان تبسم فيك النور من جذل * سقاك من كل غيم كل بكاء
رحماك بالوارف المعهود منك فكم * لنا بظلك من اهواء اهواء
وكم نزلنا مقيلا منك ماجى الهجير * اذ حيث لا مرائي لحر بائي
يظل من قبل الفضفاض في ظلل * من الغمام يقينا كل ضراء
يا طيبة بدواء القيض عالمة * أنت الشفاء لدى الرمضا من الداء
لا صوح الدهر منك الزهر وانجست * عليك كل هتون الودق سوداء
عصابة الشرب أمواروض زاهرة * تعزى لا كرام اخوال وآباء
خمائل الروض منشاها ومرضعها * ضرع الغمير من نيل وانواء
فاستمهدت دوحها المخضل وافترست * نجم الربا ورقت عرشا على الماء

قوله وكم نزلنا الخ هو كذلك في الاصل ونقل بحروفه وليحرر اه

قريرة

قريرة العين بالانواء باردة الـــقاب الذى لم تنله غير سراء
مقيل ندمان بل مغنى حمائم بل * كناس أرام بل أفنا درماء
لها مطارف سجسج فصيفها * ظل يعادل فيه طيب مشتاء
قديمة العهد هزتها الصبا فصبت * فهى العجوز تهادى هدى مرهاء
لا يدرك الطرف أقصاها على كلك * حتى تعود له لحظات حولاء
وصوت بلبلها الراقى ذرى غصن * بحلة من دمقس الريش دكاء
كقرع ناقوس ديرى على شرف * مسجى فى سواد الليل دعاء
خليعة حين أجنيت الضلوع على * نار بشجوى بها لاحب لمياء
تهكمت بى فلم تجنى أضالعها * على الهواء وأجنتها على الماء
بديعة الحسن قد فاز الجناس لها * من المعانى بأفنان وأفياء
وقام عنها لسان الزهر ينشدنا * للهو كم أرّج ما بين ارجاء
كم صفق الموج من أزهارها طربا * فنقطته بيضاء وصفراء
وكم طربت لما أبدته من ملح * يصبو له كل ذى عقل وآراء
وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى * فكنت فى كل حال منهما الطاء
كأنها من جنان الخلد قد كملت * حسنا وحسبك من خضراء الغاء
كأن أغصانها اللدن الرشاق اذا * هصرت أفنانها أعطاف وطفاء
كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الـــدكاء قرص على أعكان سمراء
كأنها فوق دعص الموج اذ سفحت * هضابه سفح وادرب أفياء
مالت على النهر اذ جاش الخوير به * كأنها أذن مالت لاصغاء
كأنما النهر مرآة وقد عكفت * عليه تدهش فى حسن ولا لائ
ذو شاطئ راق غب القطر فهو على * نهر الابلة يزرى أى ازرائ
كأنه عند تفريك النسيم له * فرند سيف نضته كف جلائ
كأنه شبك من لؤلؤ نظمت * أو جوهر السن أو تحليل رقشائ
كأنه حين يهدى زرقة وصفا * رقراق عين بوجه الارض شهلاء
وكم شدتنا حمامات الاراك على * أغصانها فأرتنا رقص هيفاء
من كل ورقاء فى الافنان صادحة * بين الحدائق فى فيحاء زهراء
ورق تغنت بحيات رقين على * عيدانها قاله فى مغنا وغناء

يا كرتها فى سراة من أصاحبنا * لا ينطوون على حقد وشحناء
قد اعبوا بمعانى شعرهم فأروا * ود الاحبة فى ألفاظ أعداء
من شيخ مجنون فى شباب فتى * يقرى المجون بقلب غير نساء
يسعى اليها على جرداء جارية * من ايكها كهلال الافق حدباء
نوحية الصنع والاحكام منشأة * تسير ما سيرت من غير اعياء
سوداء تحكى على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء
ساجية ألبستها الصانعون لها * من التدابيج ما يزهو بصنعاء
غريبة ذات ألوان وأجنحة * لم أدر تعزى لروض أو لعنقاء
لم يستطع شاوها اذ سيرها عنق * عز الجياد على كد وانضاء
كم قد نعمنا بها عيشا بصافية * شمطاء تجلى على الخلاء عذراء
مما تخيرها كسرى وأودعها * رب الحورنق فى قوراء جوفاء
راحا اذا ركع الابريق يمزجها * سمعت من صوته تسبيح قساء
أم السرور التى أبقى الزمان بها * جزؤ الحياة وقد ألوى بأجزاء
فعاطيتها على طل الندى سحرا * فان ترشافها موتى واحياء
واستجلها بنت مصر تستطيل على * بغداد والموصل الحدبا وسوراء
كم بين من قام معتدل النسيم بها * على اعتدال وحدباء وزوراء
من كف ظبى وشاد أو وشادية * تشدو لنا بين صوت العود والناء
على الحدائق لا الآكام تنفحنا * ريح البنفسج لا نشر الخزامى
أما أنا لست نواحا على طلل * ولا خليط ولا نداب أحياء
تركته لاناس كالتيوس غنوا * عن المدام بدر الابل والشاء
يعزون للشعر لكن من جهالتهم * لم يفرقوا بين ايطاء واقواء
من كل ألكن عند البحث منقطع * كأنه واصل والشعر كالزاء

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

أشتاق فى وادى دمشق معهدا * كل الجمال الى جماه ينسب
ما فيه الا روضة أو جوشق * أو جدول أو بلبل أو ربرب
وكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته * فى الحال بين رياضه يتشعب

وشدت

وشدت على العيدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدوا والنسيم مشبب * والنهر يسقى والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بيننا متطلب
وخلت بقلبي من عسالة حبه * فيها لارباب الخلاعة ملعب
ولكم طربت على السماع بجنكها * وغدا بربوتها اللسان يشبب
حتى أزور معالما أبوابها * بسماحها كتب الكرام تبوب

(وقال) ابن ظافر في بدائع البداية اجتمع الوزير أبو بكر ابن القبطرنة والاديب أبو العباس ابن صارة في يوم جلا ذهب برقه وأذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن صارة

هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

(فقال) ابن القبطرنة

فكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

(فقال) ابن صارة

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

(فقال) ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * تبكى الغمام وتضحك الازهار

وقال ابن تميم

لو كنت اذ انادمت من أحببته * في روضة تسبى العقول وتفتن
لرأيتها وعيونها من غيرة * منى تفيض ووجهها يتلون

(وقال) محيى الدين بن عبد الظاهر

والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنا نير الازهار ودراهمها وقد تهيأت لتسليم قابضها والمنثور وقد نظمت قلائده وصيغت ولائده والحور وقد جاوز السهى بالبياشير والسرور قد كشف عن سوقها وقالت لها تلك الغدران بهديرها انه صريح ممرد من قوارير والسوسان وقد لاحظ جفنه الوسنان والورد وقد ورد والبان وقد بان (وقال) الشيخ عز الدين الموصلى ونقلتها من خطه رحمه الله تعالى

وروضة نقشتها للحيا ابر * فأصبحت بين تطريز وتزهير
مثل السوار لماسور أحاط بها * من سلسل هي منه ذات تسوير
أو كالخلاخيل للادواح دار على * سوق لها مطلقا في زي مأسور
تحت الغياض رياض ديجت فبدت * ألوانها ذات تشهير وتشذير
أغصانها الند والاوراق سوسنه * والزهر عرق ياقوتا ببلوري
والزهر بين شعاع الشمس تحسبه * دراهما نثرت بين الدنانير
والظل ثوب اذا مر النسيم به * فالروض ما بين مهتوك ومستور
ونهرها زائد بالخصب يدنينا * كصارم في سبيل الله مشهور

(وقال)

وروض نجم الزهر أصبح مجبا * فتحسده من حسنه الانجم الزهر
ومذ أرجف الماء النسيم تدرعت * مزردة الاثواب من خوفها الغدر
فللروض تدبيج بالوان زهره * وللغصن من أوراقه الحال الخضر
فراع نصير امن حنان جناسه * فحلى الضحى زهر وحلى الدجى زهر
وأغربت الالحان في الدوح ورقة * فكن قيانا دونها أسبل الستر
وأسفر للاصباح خد مورد * ومن قبله حبي بريحانة الفجر

وقال العفيف التلمساني قدس الله سره

انظر الى الاغصان في حركاتها * الشكرها أم سكرها تتأود
فتقول أرباب البطالة ينثني * وتقول أرباب الحقيقة يسجد

وقال شهاب الدين بن دمرداش (مولده سنة ثمان وثلاثين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة)

انظر الى الأشجار تلقى رؤسها * شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها * وغدا باذيال الصبا متمسكا

وقال برهان الدين القيراطي من قصيدة

تشوقني الفات الروض مائلة * من النسيم سكارى وهي دالات
ولي من الورق في أوراقها طربا * كأنهن على العيدان قينات

(وقال) الشيخ مجد الدين الارموي (توفي سنة احدى عشرة وسبعمائة)

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا

ما

مازارها وشكت اليه فاقة * الا وهزلها الشمائل بالندى

(وقال) محيي الدين ابن قرناص رحمه الله تعالى

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاها المسالك

وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(وقال) الفاضل علاء الدين علي بن ظافر العسقلاني في كتابه بدائع البداية قال اجتمعت أنا والقاضي الاعز يوما فقلت له أجز

* طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال * وجاء مبلول الجناح بالمطر *

(قلت) الشئ بالشئ يذكر ذكرت بقول العسقلاني ما أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي محاجيا

يا من له حسن لفظ يثني عليه المثاني

ما مثل قول المحاجي أحوى الشفاه جفاني

(وذكرت) بلطف هذه الاجيبة ما أنشدنيه من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا الفاضل المفنن المحدث المؤرخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ نور الدين علي الشهير بابن حجر ابقاه الله محاجيا

يا فاضلا هو في الاحاجي ليس يخلو من ولع

ما مثل قولك للذي يبكي الحبيب اسكت رجع

(وظرف من قال)

وروضة رقصت أغصانها وشدت * أطيارها وتولى سقيها السحب

وظل شحرورها الفريد تحسبه * أسود زامرا مزماره ذهب

وقال ابن خفاجة في نهر تحف به أشجار

قد رق حتى ظن درعا مفرغا * من فضة في بردة خضراء

وغدت تحف بها الغصون كأنها * هدب تحف بمقلة زرقاء

(وقال) الرصافي في نهر تحف به شجرة

فاتت عليه مع الظهيرة سرحة * صدئت لعينها صفيحة مائه

فتراه أزرق في غلالة سمرة * كالراع يستقلي بظل لوائه

(وقال) نور الدين علي بن سعيد

كأنما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليه الغصون تقرؤها

(وقال) بعض المغاربة وأجاد الغاية

ومنهم الشطين أحكم صقله * كالمشرفي قد اكتسى بفرنده
تخمائل الديباج منه حمائل * متعانق فيها البهار بورده
ولقد اختفى طرف له في دوحة * كالسيف ردذبابه في غمده

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله

و بطحاء في روض يرقرق روضها * ولاسيما ان جاد غيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بأدمع * يرقرقها منه هنالك محجر
بها فاض نهر من لجين كأنه * صفايح أضحت بالنجوم تسمر
كأن حصاها اذ بدا فيه أحمر * وأبيض دمع في خدود بنثر
والافرد بالظلال مسهم * والافطرس بالتجعد يسطر
ومالاح في جنبيه نبت وانما * تبدا عذارا منه في الخد أخضر
وكم غازلته للغزالة مقلة * تسارق أوراق الغصون فتنظر
وتبصر منه كل حسن فينبري * حياء لديه وجهها وهو أصفر
اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربى تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيي وهو لاشك جعفر

(وقال) علي بن ظافر مررت أنا والقاضي الاعز رحمه الله تعالى بساقية تتلوى تلوى الافعوان * وتخفق خفقان قلب الجبان * والزهر قد نظم بلبتها عقودا فوق أثوابها الممسكة والنسيم يكسوها ويسلبها غلائل معركة فقلت

* أساقية أم أرقم فر هاربا * (فقال) * أم الريح قد هزت من الماء قاضبا *

(فقلت)

حصا مثل در الثغر أجرى زلاله * رضابا وأبدى نبته النضر شاربا

(فقال)

يوشحها زهر الرياض قلائدا * ويلبسها مر الرياح جلائبا

(وقال) الاديب أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ورائحة رياتها تهابها الصبا * تهادى عطف المترف المتخرد
وقد صقلت من صفحة الماء منصلا * به من شعاع الشمس رونق جوهر

فن

فمن شبك قد حيك حوك مفاضة * ومن سمك قد صيغ صيغة خنجر
وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * بأضعف من طرف المريب وأفتر
ولاح على بلورة من غديره * شعاع شراب للعشية أصفر
وصفرة مسواك الاصيل تروقني * على لعس من مسقط الشمس أسمر
الى أن توارت بالحجاب مريضة * تلفع فى ثوب من الليل أخضر
وغازلنى جفن من الافق أنجل * يدير من الظلماء مقلة أحور

(ونقلت) من كتاب نزهة الابصار فى نعت الفواكه والثمار تأليف الشيخ الفاضل الكامل محمد بن القاضى المنشئ البليغ ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلى ولم أزل من الازهار فى سؤال وجواب وأنا منصت انصات المتعجب لمفاخرات الاعجاب اذ سمعت صوت هاتفة ورقاء على بانة خضراء بلسان فصيح وقلب بفرقة الاحباب جريح وقد أوقت على غصنها الرطيب ومالت وأعلنت بما أسرته من وجد وقالت

اذكرونا ذكرنا عهدكم * رب ذكرى قربت من ترحا
اذكروا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

يا معشر الرياحين التى يزهى حسنها على كل حين لقد جزتم حد الاكثار ولم يبق أحدكم من سقطات العثار هب انكم نزهة العيون وزينة الافنان والفنون فهل أنتم الا عشاش أفراخنا ومواضع أوساخنا واعواد خطبائنا وأرائك امرائنا ومهود أبنائنا وستور نسائنا رؤسكم محط أرجلنا وهاماتكم نعال أرجلنا ونحن المسبحون بحمد ربنا المثنون عليه بالألسن الناطقة والافواه العذبة الرائقة فلما سمعت كلام الحمام هممت بالانصراف من حيث أتيت لاخبر بما سمعت ورأيت اذا أقبلت غمامة تمشى لثقلها مشى الرداح ويكاد يلمسها من قام بالراح وما أظلمت الأضاء البرق فى جوانبها فتمثلت ليلا فى صباح فلم يزل البرق يأخذ فى اذهاب ردائها ويبدو نذيرا لدى أصوات ندائها وهل يلقى على الارض ما حملته فى احشائها ثم قالت باذوات البكاء والنوح المفتخرات على الارائك والدوح ألستم الباكين بغير جوى الشاكين ألم الفراق من غير هوى بكم عرف الشقاق واشتهر ذكره فى الآفاق قلوبكم خاشعة وعيونكم غير دامعة ومنكم عرف

اختلاف الباطن والظاهر وقد أعرب عن ذلك قول الشاعر

وهاتفة فى البان تملى غرامها * فتتلو علينا من صبابتها صحفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

(ونقلت) من خط الشيخ شمس الدين محمد بن سمندار الذهبى لنفسه الكريمة (توفى قريبا من سنة خمس وثمانين وسبعمائة) وأنشدنى من نظمه

سماع غناء الطير للدوح مرقص * ومن طرب بالزهر منه ينقط

(الباب السابع عشر فى آنية الراح)

الشراب فى الزجاج أحسن منه فى كل جوهر لا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع فى السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهى لا تصدئ ولا تندى ولا يتخللها وسخ الغمر وأوساخ الوضر وان اتسخت فالماء وحده لها جلا ومتى غسلت بالماء عادت جديدة ومن كرع فيه يشرب فكأنما يكرع فى اناء وماء وهواء وضياء (وما أحسن) رسالة سهل بن هرون يفضل الزجاج على الذهب الزجاج يحلو نورى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج خير منه فى كل معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرفع فى السوم واسم الذهب يتطير منه ومن لونه مصيره الى اللآم وهو فاتن قاتل لمن أصابه وهو أيضا من مصائد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لا يحمل الوضر وهو أشبه شئ بالماء وصفته عجيبة وهى رسالة طويلة (ومن) أحسن ما قيل فى ذمه قول النظام فانه أخرجه فى كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال سرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ذكر الرشيد بن الزبير فى كتابه المحائب والظرف انه وجد المتورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب عليه ياقوت وزبرجد فلم يدر ما هو فلقيه رجل من الفرس فقال أنا أعطيك فيه عشرة آلاف دينار فعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فباعه بمائة ألف دينار (ووجد) للوليد بن يزيد بعد مقتله جفنة بلور كأعظم ما يكون من الجفان قيل انها تسع ثلثمائة رطل ولما وقعت الفتنة بين عازم الدولة رقيب بن على وبين حاج خراسان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وعازم الدولة يومئذ أمير الموسم ومقدم

القافلة

القافلة المصرية وكانت الهزيمة على الخراسانيين فنهبت أموالهم وأتى بعض النهابة الى عازم الدولة بزبدية فيروزج تسع وزن رطل شامى كأحسن مايكون من الزبادلا يعلم لها قيمة ودفعها عازم الدولة بعد ذلك الى الظاهر ومن الاشياء النادرة المستظرفة المتجملات فى الملابس والمجالس ماذكره الفقيه الكاتب أبو مروان عبد الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون فى قصة جبلة ابن الايهم الغسانى وهو أن جبلة لطم انسانا من الناس فلما أراد الامام عمر اقادته منه فر الى هرقل وتنصر ثم ندم على تنصره فقال

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها اللجاج ونحوه * فنعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى القول الذى قاله عمر
وياليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أومضر
وياليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة ولحق بهرقل صاحب القسطنطينيه أقطعه هرقل الاموال والضياع والرباع وبقى ماشاء الله ثم ان عمر رضى الله عنه بعث الى هرقل رسولا يدعوه الى الاسلام أو الى الجزية فأجاب الى الجزية فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل ألقيت ابن عمك هذا الذى عندنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال ما لقيته قال القه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك قال الرسول فذهبت الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجموع مثل ما على باب هرقل قال الرسول فلم أزل أتلطف فى الاذن حتى أذن لى بالدخول فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسود اللحية فأنكرت عليه فاذا هو قد دعى بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عادت سوداء وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسائلنى عن المسلمين فذكرت له خيرا قلت قد أضعفوا اضعافا على ما تعرف قال وكيف تركت عمر بن الخطاب قلت بخير حال فرأيت الغم فى وجهه لما ذكرت له من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان مني قلت نعم قد فعل رجل من بني فزارة اكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام فضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام فقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلما قال ذرني من هذا ان كنت تضمن لي ان يزوجني عمر ابنته ويوليني الامر بعده رجعت الاسلام قال فضمنت له التزويج ولم أضمن له الامر قال ثم أومى الى خادم كان على رأسه فذهب مسرعا فاذا خادم قد جاء ومعه خدم يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لي كل فقبضت يدي وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل في أواني الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فأكل في الذهب وأكلت في الخلنج ثم جيء بطساس الذهب وأباريق الفضة فغسل يده في الذهب وغسلت في الصفر ثم أومى الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسي مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجواري عليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسي ثم جاءت جارية كأنها الشمس حسنا على رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفي يدها اليمنى جامة فيها مسك فتيت وجامة في يدها اليسرى فيها ماء ورد فأومت تلك الجارية أو صفرت للطائر الذي على تاجها فطار حتى وقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم أومأت اليه أو صفرت فوقع على جامة المسك فتمرغ فيه ثم أومأت اليه فطار حتى نزل على تاج رأس جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما عليه في رأسه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجواري اللاتي عن يمينه فقال أضحكتنا فاندفعن يغنين بخفق عيدانهن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق في الزمان الاول

يسقون من ماء البريص نديمهم * راحا يصفق بالرحيق المسلسل

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدري من يقول هذا قلت لا قال حسان

ابن

ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى الجوارى اللاتى عن يساره فقال لهن أبكينا فاندفعن يغنين يخفقن عيدانهن ويقلن

لمن الدار أقفرت بعمان * بين أهل اليرموك فالجمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر * مجلى لحادث الازمان

قال فبكى حتى سالت دموعه على لحيته فقال أتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم أنشد الابيات التى أولها تنصرت الاشراف ثم سألنى عن حسان أحى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى أيضا كذلك وأمر بمال لحسان وفوق موقرة ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع الهدية اليه وأقره منى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر النوق على قبره فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط على وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا أفاء الله به قضى الله علينا بحكمه ثم جهزنى عمر الى هرقل ثانيا وأمرنى ان أضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته قلت ان الشقاء سبق عليه فى أم الكتاب وذكر الحكيم موفق الدين بن أبى أصيبعة فى ترجمة الحكيم سديد الدين بن رقيعة قال ومن شعره وهو مما كتبه على كأس فى وسطه طائر على قبة مجوفة اذا قلب الماء فى الكأس دار الطائر دورانا سريعا وصفر صفيرا ومن وقف بازائه الطائر حكم عليه بالشرب فاذا شربه وترك فيه شيأ من الشراب صفر الطائر وكذلك لو شربه فى مائة مرة فمتى شرب جميع ما فيه ولم يبق فيه درهم فان صفيره ينقطع والابيات هى هذه

أنا طائر فى هيئة الزرزورى * مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمى سلاف مدامة * صرفا تنير حنادس الديجور
صفراء تلمع فى الكؤس كأنها * نار الكليم بدت بأعلى الطور
واذا تخلف فى شرابك درهم * فى الكاس تم به عليك صفيرى

(قلت) كتبت هذه الابيات لغرابة هذا الكأس وأما الشعر فانه ليس بطائل قال الثعالبى فى تحفة الارواح وموائد السرور والافراح انه كان فى الزمن القديم امرأة فى العراق تعمد الى الصينى الابيض فتصير منه الشمشى والاسود والسماقى والاخضر حتى لا يشك ناظر فى انه كان كذلك فى الاصل وما علم أحد من الرجال سواها فى ذلك وأهل الخبرة بهذا النوع اذا وقع فى أيديهم

شئ من عمل هذه المرأة عرفوه (القول فى الكأس المصور) قال أبونواس

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من خز الرقاق على الثرى * واضغاث ريحان جنى ويابس
تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
فنال بها كسرى وفى جنباتها * مها قد رمتها بالقسى الفوارس
فللراح ما زرت عليها جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

قال الجاحظ وجدنا المعانى تقلب و يؤخذ بعضها من بعض الا هذا المعنى فان الحسين ابتدعه (قلت) وضمن هذه الابيات الاديب أبو الحسين الجزار تضمينا حسنا أجاد فيه الى الغاية وهو

كتبت بها فى يوم لهو وهامتى * تمارس من أهواله ما يمارس
وعندى صحاب للجون ترحلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللماء ما زرت عليه جيوبهم * وللراح ما دارت عليه القلانس
مساحب من خز الرقاق على القفا * واضغاث انطاع جنى ويابس

وقال أيضا

بتينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم
فلو رد فى كسرى ابن ساسان روحه * اذا لاصطفانى دون كل نديم

أخذه الباشى فقال

فى كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الخجال وغيدا
واذا المزاج اثارها فتقسمت * ذهبا ودرا تو ما وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك محاسدا * وجعلن ذا النحور هن عقودا

وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غلالة خده صبغت بورد * ونون الصدغ مجمة بخال
بدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أبلق ملقى الجلال
بكاس من زجاج فيه أسد * فرائسهن ألباب الرجال

وقال ابن قلاقس (ومولده سنة اثنين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وستين وخمسمائة)

دارت زجاجتها وفي جنباتها * كسرى أنوشروان في ايوانه
فخلعت عن عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت في سلطانه

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى

ومشمولة قدهام كسرى بكأسها * فأضحى ينادي وهو فيها مصور
وقفت لشوقي من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

(وقال) المرحوم فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى

اذا ما أديرت في حشا عسجدية * بها كل ذي ملك وتاج تصورا
فحسبك نيلا في السيادة أن ترى * نديمك في الكاسات كسرى وقيصرا

(قلت) والسبب الموجب لتصويرها ماذكره الفقيه الكاتب أبو مراون عبد الملك ابن بدرون في شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون (وهو) ان سابور بن هرمز الملقب بذي الاكتاف لما رجع من قتال بني تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا فاستشار قومه فحذروه التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم وسار متنكرا الى القسطنطينيه فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل في جملتهم وجلس على بعض موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره فلما جاء قيصر بالصور أمر بها فصوّرت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأتى بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدام الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل لها على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشبهين فقام الى الملك فأخبره فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور وهربت منه لامر خفته فيه فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فأقر بنفسه وجعل في جلد بقرة وتمام حكايته الى أن خلص وعاد الى ملكه في كتاب سلوان المطاع في السلوانة الثانية منه وهي حكاية غريبة مشتملة على أنواع من الحكم (وقال) صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى

كؤوس المدام تحت الصفا * فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها * فاحسن ماذهبت بالطلا

(وقال) زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

دع الكاس من نقشها * وصاف بصاف أحب

اذا ذهبت بالمطلا * فقد طليت بالذهب

(وقال) شمس الدين بن العفيف فيما يكتب على كأس

أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل * أجود بنفسي للندامى وأنفاسي
وأكسو أكف الشرب ثوبا مذهبا * فمن أجل هذا لقبوني بالكاسي

الشيء بالشيء يذكر قال شهاب الدين بن أبي حجلة مضمنا

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالأيناس
وكسى العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وقال ابراهيم بن الحاج الغرناطي (ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى)

يارب كاس لم يشح شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاجي
لما رأينا السحر من أشكالها * جملا نسبناه الى الزجاجي

(وقال) الاديب أبو بكر بن مجير وقد اقترح عليه حسود وصف كأس اسود فقال ارتجالا

سأشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بلون حالك اللون أسحم
تصب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب في جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يدمنعم

(القول في القدح) قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله في وصفه تكون من جوهر مكنون وتجسد من هواء مظنون واتخذ خدر الآنية العنب وطاف به الساقي فاصبح منه في راحة وهو في تعب فقهقه عليه الابريق فصدح وطار منه شرار المدام فقيل قدح وكتب سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن أبي المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني فسح الله في أجله الى سيدي الجناب المجدي فضل الله بن مكانس أدام الله عزه وذلك في ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسبعمائة وقد تجاسر العبد وتوقا بمكارم الاخلاق المخدومية فأهدى هذا اللغز ليتنعم مولانا بقبوله ويتفضل بحله عند حلوله فقال ما اسم حبيب الى النفوس شبيه بالبدر حليف للشموس ان قلب كان لقلبه من العين مكان من المناسبة وان سقط قلبه مع هذا الفعل كان ضد اللاقوال الكاذبة وان صحف بعد العكس أنبأ عن الذكاء وهذا غاية الشرح وان غير ثانيا

علم

علم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح حسبناه مع التصحيف آلة للصيد معينة على المكر والكيد ان قلع طرفه كان مزاج باقيه قواما وان عكس كان الطرب بتصحيفه مداما وان زال أوله كان العكس عتابا المتعاطى اثمه وان صحف اشتاقت الشفاة الى تقبيله ولثمه وربما كان الهزل عن تصحيفه الآخر مناقبا لاسمه مباينا في الحقيقة لحده ورسمه والمملوك يسأل الصفح عن هذا الهذيان والامتنان بالجواب مع شئ من نظم المقر الصاحبي للوالدي وشئ من نثره ليحلى المملوك بعقوده جيد تذكرته ويتأنس بحسنه الغريب في زمن غربته فكل غريب للغريب نسيب ومدح مولانا أجل من أن يحيطه قلم العبد أو لسانه أو يحصره بيان الاديب أو بنانه ونسأل الله تعالى أن يمتع ببقائه ويعلى درجات ارتقائه بمنه وكرمه فكتب الجواب يقبل الارض التي أطالت بالجفا حرمانه وتدارکته بعد اجراء دموعه فعظمت في الحالتين منها شانه وانتهى الى اللغز الذي يمتع بحله ويشرب بقدحه فابتهل شكرا ومالت أعطافه بالقدح الفارغ سكرا فوجده كما قال حبيب الى النفوس يجتهد في التوصل بماء حاره الى الرؤس يأتيك بالمعنى اللطيف ويقف حذقك من تصحيفه بعد العكس بين تصحيف وتحريف فحله من ساعته وقابل شمسه المنيرة بذبالته وكتب قرينه لغزا وخالف نفسه اذ قالت لا تتعبني في مجاراة هذا الجواد لزا وقد ذكرته أولا في باب الرياحين وقال القاضي التنوخي رحمه الله تعالى

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك في قدح من نهاري
هواء ولكنه جامد * وماء ولكنه غير جاري
اذا ما تأملتها وهي فيه * تاملت نورا محيطا بناري
فهذا النهاية في الابيضاض * وهذا النهاية في الاحمرار
كأن المدير لها باليمين * اذا قام للسقي أو باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين * له فردكم من الجلنار

وقال النضير الحماني رحمه الله تعالى

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالقدح
عندي خمر ذهب * أكتاله بالقدح

وأنشدني سيدي وأخي تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي لنفسه مضمنا رحمه الله

أرى طير أقداحنا نائحا * يحوم على عذب ورد القدح
فقلت لدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سبح

وقال ابن تميم

يا حسنه قدح يضيء زجاجه * ليل الهموم اذا ادلهم وعسعسا
أهديته مثل النهار فان حوى * صرف المدام غدا نهارا أشمسا

(الابريق) قال ابن المعتز

وكأن ابريق المدامة بيننا * ظبي على شرف أناب مدلها
لما استحثه السقاة حثى لها * فبكى على قدح النديم وقهقها

وقال ابراهيم بن اسحق الموصلي رحمة الله عليه

كأن أباريق المدام لديهم * ظباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم * من اللين لم تخلق لهن عظام

صاعد اللغوي

كأن ابريقنا والراح في فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

السري الرفاء الموصلي رحمة الله عليه

ابريقنا عاكف على قدح * تخاله الام ترضع الولدا
أو عابدا من بني المجوس اذا * توهم الكاس سرعة له سجدا

السراج المحار (توفي سنة احدى عشرة وسبعمائة رحمة الله عليه)

يا حبذا شكل ابريق تميل له * منا القلوب وتصبو نحوه الحدق
يروق لي حين أجلوه ويعجبني * منه طلاوة ذاك الجسم والعنق
كم قد شربت به ماء الحياة ولن * ينالني منه لا غص ولا شرق
حتى غدا نجلا مما أقبله * فظل يرشح من أعطافه العرق

(الراووق) الجوبان القواس رحمه الله تعالى

ولما حكى الراووق في العين شكله * وقد علق العنقود في سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على أيام عهد الصبي تجري

وقال بدر الدين حسن المعزي رحمه الله

أعجب ما في مجلس اللهو جرى * من أدمع الراووق لما انسكبت

لم

لم تزل البطة فى قهقهة * مابيننا تضحك حتى انقلبت

وقال برهان الدين القيراطى رحمه الله

باكرت راووق وبطتى التى * قد قهقهت ودم المدامة يسفك

وأضعت مالى فيهما حتى غدا * هذا يصفى لى وهذا يضحك

وقال صدر الدين بن عبد الحق (توفى تقريبا سنة سبعين وسبعمائة)

أسبل الراووق لما صلبا * أدمعا لكن رأينا عجبا

بينما الراووق يبكى بدم * ضحك الابريق حتى انقلبا

وقال سيدى المقر المجدى سلمه الله تعالى وأجاد

قم واصلب الراووق واشف قلبى * منه وبلغنى بذاك سؤلى

واسفك دم الزق وناد هذا * جزاء من يلعب بالعقول

وقال محمد بن العفيف فى باطية وأجاد

انا المجالس والمجالس أنيسه * أزهى بحسن ناضر للناظر

اصفو فاظهر ما أجن ولم يكن * فى باطنى شئ يخالف ظاهرى

وما ألطف من قال * عجلوا عجلوا بشرب البواطى * فالصواب الصواب نيك الخواطى كان لابى الحرث خمسون دنا كان يقول انه لم يفسد فيه نبيذ قط منذ عشرين سنة فأوصى به عند موته للفضل الرقاشى وقال هذا جزاء له فانه كان كلما اجتمعنا على أمر قال قم فابد أبه (الامير صلاح الدين الاربلى) فيما يكتب على طبق تحت أقداح (توفى المذكور سنة سبع وثلاثين وستمائة ومولده سنة اثنين وسبعين وخمسمائة) رحمة الله عليه

من فرحتى بالندامى واجتماعهم * حولى وقربهم منى وايناسى

جعلت صفحة خدى تحت أخمص ما * قد غادرته الندامى أسفل الكاسى

(الباب الثامن عشر فيما يستجلب به الافراح وهو خمسة فصول)

(الفصل) الاول فى من مدحها من الملوك والرؤسا

(الفصل) الثانى فى تدبير استعمالها على رأى الحكماء

(الفصل) الثالث فى أداب منتشيها وما يجب على مستعمليها

(الفصل) الرابع فى استهدائها واستدعاء الاخوان

(الفصل) الخامس فى من وصفها من الشعراء الاعيان

(الفصل) الاول قال كسرى النبيذ صابون الهم (قلت) من هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكى

وكنت اذا الحوادث دنستنى * قرعت الى المدامة والنديمى

لاغسل بالكؤس الهم عنى * لان الخمر صابون الهمومى

(وقال) أرسطاطاليس الراح كيمياء الفرح (وقال) جالنيوس الراح صديق الروح (وقال) آخر الراح درياق سم الهم قال عبد الملك بن صالح الهاشمى ماحشت الدنيا بأظرف من النبيذ وقال الثعالبى لكل شئ سر وسر النبيذ السرور (وقال) الدنيا معشوقة ريقها الراح (وقال) الجاحظ ان النبيذ اذا تمشى فى عظامك ودب فى أجرامك منحك صدق الحسن وفراغ النفس وجعلك رجى البال خلى الدرع قرير العين منشرح الصدر حسن الظن وسد عليك باب الغم وحسم عنك خاطر الهم وقيل لابى جيد القضل بن وكيل ماتقول فى النبيذ المصفى المصفق المروق المعسل المعتق فجعل يتمنطق ويقول أخاف الا اشتغل بشكر الله تعالى الكريم على نعمه فيه وكان مطيع بن اياس يقول فى النبيذ معنى فى الجنة موجود لان الله عز وجل يقول اخبارا عن أهلها الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن والنبيذ يذهب الحزن (وقيل) لابى عائشة ان فلانا لا يشرب النبيذ فقال قد طلق الدنيا ثلاثا (وقيل) للاعمش مثل ذلك فقال دعوه حتى يقتله القولنج (وقال) يزيد بن المهلب وددت لو ان كأسا بألف دينار وكل منكح فى جبهة أسد فلا يشرب الاجواد ولا ينكح الا شجاع (وقال) عبد الملك للاخطل صف لى الخمر فقال أولها صداع وآخرها خمار قال فما يعجبك منهما قال ان بينهما طربة لا يعادلها ملك وأنشأ يقول

اذا ماانديمى علنى ثم علنى * ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل حتى كأننى * عليك أمير المؤمنين أمير

(وقال) ابقراط الخمرة صديقة الجسم والتفاحة صديقة النفس (نادرة) اجتمع محدث ونصرانى فى سفينة فصب النصرانى من ركوة كانت معه فى مشربة وشرب وصب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك اتعلم ماهو وخمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتهيتها

غلامي من يهودي وحلف أنها خمر فشربها بالعجلة وقال للنصراني أنت أحمق نحن أصحاب الحديث افنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ماشربتها الا لضعف الاسناد (وقال) الجاحظ كل شئ من المأكول يكون أوله أطيب من آخره الا النبيذ فان القدح الاول ثقيل والثاني أسهل والثالث أسلس والرابع أسوغ والخامس أعذب والسادس الذي ينتهي الى غاية السرور (حكي) ان عبد الملك بن مروان امتحن اعرابيا من الشعراء فقال صف لي الخمر فاطرق الاعرابي وقال

شمول اذا شجبت لدى الماعرة * لها في عظام الشاربين دبيب
تريك الغذاء من دنها وهي دونه * لوجه أخيها في الوجوه قطوب

(فقال) عبد الملك شربتها يا اخا العرب ووجب عليك الحد فقال ومن أين لك ذلك يا أمير المؤمنين فقال لانك وصفتها بصفتها فقال واني قد رابني من أمير المؤمنين ما رابه بأن يكون أيضا شربها اذ عرف اني وصفتها بصفتها فضحك منه وأحسن جائزة (نادرة) جلد مدني في الشراب وكان طويلا والجلاد قصيرا فقال له تقاصر لينالك السوط فقال ويلك الى أكل الفالوذج تدعوني والله لوددت اني أطول من عوج وانك أقصر من يأجوج ومأجوج (كتب) رجل الى ابن قريعة القاضي فتيا (توفي المذكور سنة سبع وستين وثلثمائة ببغداد) ما يقول القاضي أيده الله في رجل سمى ولده مداما وكناه أبو الندامى وسمى ابنته الراح وكناها ام الافراح وسمى عبده الشراب وكناه أبو الاطراب وسمى وليدته القهوة وكناها ام النشوة أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب) تحت سؤاله لو بعث هذا الابي حنيفة لاقعده خليفة ولعقد له رايه وقاتل من تحتها من خالف رأيه ولو علمنا مكانه لسحنا أركانه فان أتبع هذه الاسماء افعالا وهذه الكنا استعمالا علمنا أنه قد أحيى دولة المجون وأقام لواء ابنة الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تكن اسماء سماها ما لله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال أحوج منا الى امام قوال انظر أيدك الله الى معاني هذا النثر الذي يعجز عنه البديع والمجون الذي لا يلحقه الخليع (وقالت) دنانير جارية البرامكة من أصبح وعنده قينة ناقصة وزبدية طباهجة باردة وتفاحة معضوضة ولم يصطبح فهو أحمق فاسد المزاج

يحتاج الى العلاج

(الفصل الثانى فى تدبير استعمالها على رأى الحكماء)

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسين على بن أبى الحزم القرشى المتطبب المعروف بابن النفيس تغمده الله برحمته فى الجملة الثانية فى قواعد الخبر العلمى من الطب فى كتابه المشهور المعروف بالموجز عند ماذكر تدبير المشروب ماهذا نصه وخير الشراب ماطاب طعمه وعطرت رائحته وصفى لونه واعتدل قوامه والعلامة الجيدة للشراب الجيد الخالى من الغش أنه اذا ترك المقدار القليل مدة طويلة لم يفسد وبقدر طول المدة تعرف الجودة والرقيق اللطيف أسرع اسكارا وتحللا والغليظ أبطأ اسكارا وتحللا وأدوم خمارا لكنه يسمن وخصوصا الحلو وليكن من تسديده على حذر ويختار للشباب والمحرورين الابيض الممزوج قبل شربه بمدة بكثير الماء وللمشايخ الاصفر القوى القليل المزج فان أرادوا الاغتذاء والسمن فالاحمر ودع الشيخ وما احتمله وجنبه الصبيان وعدله فى الشبان وانما يستعمل الشراب عند انحدار الغذاء من المعدة واما فى خلال الاكل أو عقيبه فضار لتنفيذه الغذاء على فجاجته على ان المعتاد به لا ينتفع باستعمال ما يعين على الهضم الا بمقدار ما يقوى على التنفيذ ومادام السرور يتزايد واللون يحسن والبشرة تلين والجلد يربو والحركة نشيطة والذهن سليما فلا تخف من افراط فان أخذ النعاس يغلب والغشيان يقوى والبدن والدماغ يثقل والذهن يتشوش والحركة تسترخى فقد وجب الترك فحينئذ يجب القىء والقىء على قليل منه ردىء لانه يغصب من البدن ما ينفعه والشرب بالاقداح الصغار خير من الكبار والتبعيد بين الاقداح لينهضم الاول قبل ورود الثانى أفضل وينبغى أن يحف مجلس الشراب بالمناظر اللذيذة من الازهار والمحبوبين من الناس والارايح اللذيذة والسماع المطرب ورفع كل ما يغم ويقبض النفس كالوسخ والصنان واللباس القذر والكمد وبعد غسل البدن والاطراف ولبس المشرف وتسريح الرأس واللحية وتقليم الاظفار وليكن المجلس مشرفا فسيحا بقرب المياه الجارية ومع الظرفاء من الاصدقاء وذلك لان الشراب يحرك قوى النفس ويثير كل الشهوات فاذا لم تجد كل قوة

مطلوبها

مطلوبها تأذت وانقبضت فلا تقبل النفس على الشراب كل القبول ولا تتصرف فيه التصرف الواجب فيقل نفعه وربما فسد فكان شره أكثر من نفعه ومنافع الشراب منها نفسية ومنها بدنية أما النفسية فلا يمكن ان يساويه فيها غيره وذلك كالسرور وبسط النفس وتفسيح أملها وتشجيعها وازالة البخل والغم والفكر الفاسد وهو أنفع الاشياء للمالنخوليا التفريحه المضاد لايحاش السوداء وتحسن الظن وتقوى ذهن قوى الدماغ لان دماغه لا ينفعل عن ابخرة الشراب المسكر بل عن حده اللطيف فيصفو ذهنه صفاء لا يصفو مثله بغيره فلذلك قوى الدماغ لا يسكر بسرعة وبسرعة السكر وبطئه تعلم قوة الدماغ وضعفه وأما البدنية فانها وان أمكن أن تستفاد بغيره من المعاجين والمركبات فذلك يعسر وذلك كتحسين اللون وانارته وتبريقه واشراقه وتقوية الحرارة الغريزة وانعاشها وانضاج الرطوبات واذلاقها وتفتيح المجارى وازالة سددها وتفتيح المسام وتقوية الهضم وتكبير الروح وتلطيفها وانارتها واثارة الدم وتنقيته وانضاج البلغم وتلطيفه وادرار الصفراء وترطيبها وتعديل مزاج السوداء وقمع عادتها واخراجها ونفعه يتعلق بالقوى الطبيعية والحيوانية أكثر من القوى النفسانية وادامته تبلد الذهن وترخى العصب وتورث الرعشة والتشنج وكثيرا ما يموت السكران بالسكتة والصرف محرق للدم مفسد لمزاج الدماغ والكبد والمسطاريخاف منه ذوو سنطار بالنقحة واسهاله والسكر المتواتر يوهن قوى الدماغ والعصب ولا بأس به فى الشهر مرتين لاراحة قوى الدماغ والفصل والبلد البارد ان يحتملان كثرة الشراب وقوته وما أمكن ترك التنقل فهو أولى لكن المحرور قد ينتفع بالتنقل بمثل السفرجل والرمان المز والتفاح والكمثرى والزعرور واقراص الليمون وحماض الاترج وشرابه بل يحتاج الى التنقل بأقراص الكافور كما يفعل بالمدقوقين والمبرودين بحوارش التفاح والخلنجبين والتمر والفستق والمرطوب بالقرعامة وزيتون الماء والفستق واللوز المملوحين والاشياء التى تبطئ بالسكر التنقل باللوز وخصوصا المزخمسون لوزة يستعمل قبل الشرب فيمنع السكر وكذلك التنقل ببزر القنبيط المملح وأكل القنبيطية والكرنبية قبل الشراب وكذلك استعمال المدرات والثرايد الدهنية وان أبطأت بالسكر لكنها تمنع كثرة الشرب والمسكرات بسرعة كالتنقل بجوز الطيب

ونقعه فى الشراب وكذلك العود والسليم وورق العنب والزعفران وكل هذه
سكر مفردة وأما البنج واللفاح والشوكران والافيون فمفرط وانما يستعمل
لمن يريد أن يعالجه بما لا يحتمله فى الصحو ومما يذهب رائحة الشراب الكزبرة
اليابسة والرأس ودارصينى العين وأفضل ما يمزج به الشراب الماء وقد يمزج
بماء لسان الثور ليزداد تفريحه وهو بذلك يسر سرورا عظيما وقد يمزج بماء
الورد فيقوى المعدة والقلب أكثر وقد يمزج بأمراق الفراريج واللحم لمن غشى
عليه أو ضعف وضيف عليه ان لا تطول المدة الى حيث تصل المرقة مفردة
والله أعلم انتهى كلام ابن النفيس الحكيم الفاضل المؤيد محمد بن المحلى الشهير
بالعنترى فى كتابه النور المجتنى من رياض الندماء واعلم ان الاكثار من الخمرة
يحدث الامراض الباردة الرطبة كالسكتة والفالج واللقوة والخدر والرعشة
والاسترخاء والسبات هذا لمن مزاجه مستعد للبرد فأما أصحاب المزاج الحار فانها
تولد الحميات الحارة ولا سيما ان وافقها غذاء حار وفصل حار ومزاج صرف
والغرض من الخمرة أن يأخذ منها اليسير بعد الطعام بثلاث ساعات ولا بأس
باستعمال النشوة والسكر فى الشهر مرتين نافع وكذلك القيء مرتين فى الشهر
ويجب ان لا يؤخذ الغذاء الا وقت الشهوة وبعد الرياضة ومن أراد الاستكثار
من الشراب فلا يستكثر من الطعام ومن أراد أن يطول جلوسه على الشراب
فلا يستكثر من الرياضة والحمام ولا يمتلىء من الطعام واذا كان الغذاء ظهرا كان
الشراب عصرا ويبدأ بالاقداح الصغار أولا وأما أوقات الاجتماع عليها فيكون
ذلك والقمر فى برج الزهرة أو عطارد متصلا بهما اتصالا مقبولا ويحذر ثبوت
المشترى ونظره الى القمر والعاقل اذا انقطع الى الخمرة فى يوم مذموم كفى شر
ذلك اليوم باشتغاله بها الا أنه يجب أن يكون خلوه مع نديم مأمون الجانب عاقلا
يكفى شر ذلك اليوم ان شاء الله تعالى ومنه صفة تفاحة تسكر سريعا اذا شمت
يؤخذ زعفران وميعه وحمام ولفاح وقشور أصل البروح ينعم سحقه ويعجن
بشراب صرف عتيق ويتخذ منه تفاحة منقشة وتشم والحرمل مفردا ومع
الشراب يسكر الشارب سكرا مفرطا ومن شرب خمس سعدات أو عشرة
مسحوقة لم يسكر يومه ويجب ان لا يفعل ذلك الا صاحب المزاج البارد وأما
المحرور فيجعل غذاءه اذا أراد أن لا يسكر بالخل والسماق والحصرم وماء الليمون

بلحوم الدجاج والجداء والخرفان ويمتص ماء الرمان المز وأكل السمك المطرى بالخل والتنقل باللوز الحلو لاسيما ان وافق ذلك سماع مطرب أو نديم يجب (وينشد)

الخمر طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس

(ما يقطع رائحة الشراب من الفم) فمن ذلك سعد وكابة ودارصيني بالسوية يدق ويستف منه مثقال لاسيما بعد القيء المستقصى وسف الكزبرة والنعناع ومضغ العود الرطب وكذلك السعد وأكل البصل يخفي رائحة الشراب والفوتنج النهري اذا مضغ قطع رائحته انتهى كلام العنبري (وقال) التيفاشي في كتابه سرور النفس بمدارك الحواس الخمس وهو عدة مجلدات انني لما رأيت لهيج الخلفاء والملوك وشغف جمهور الامم من العرب والعجم بشرب شراب العنب واختلاف مذاهبهم في استعماله مع الاتفاق على الميل اليه على تباين مخالهم ومللهم وقد ذكر عن الاحنف بن قيس ان رجلا قال له يا أبا بحر ما ألذ الاشربة فقال له الخمر فقال كيف علمت ولم تذقها قال لاني رأيت من أحلت له لا يصبر عنها ورأيت من حرمت عليه يخطئ البهائم ووجدت جل من يستعمل هذا المشروب لا يفي له خيره بشره ولا يقوم نفعه بضره وذلك لجهله بوجه استعماله فان من المعلوم ان الخمر انما المقصود من شربها منفعتان احداهما للنفس بالتفريح ونفي الهموم وانراحها للبدن بحفظ صحته عليه ونفي الامراض النازلة به وتحقق عند كل من له أدنى مسكة من عقل أنها اذا استعملت على غير ما ينبغي انعكست هاتان المنفعتان مضرتين فصار عوض السرور هما وغما وضجرا وسوء خلق وعوض الصحة مرضا مزمنا أو موتا فجأة حسبما نشرحه الا انه لا يقتصر الامر على عكس هاتين المنفعتين فقط بل يتعدى الى مضار اخرى عظيمة ان سلمت المهجة كذهاب العقل والمال والجاه والذكر الجميل بل لا يقف الامر على ذلك بل يتعدى الضرر الى الاعقاب فان الحكماء أجمعوا قاطبة على أن مدمن الخمر لا ينجب وان أنجب كان الولد أحمق انتهى كلام التيفاشي (ونقلت) من مجموع بخط بعض الافاضل قد ذكر الحكماء والاطباء والعلماء والشعراء والفضلاء والبلغاء من مضار الخمر ومنافعها وبهجة عواريها واوطوالعها فمن ذلك قولهم الخمر يسخن الجسم ويجود الهضم ويرطب الاعضاء ويسكن القيء

والعطش اذا مزجت وتدر البول وتسهل الطبيعة وتسر النفس وتحدث النشاط والطرب والاريحة لاسيما فى الابدان المعتدلة هذا فى أخذ القصد فاذا أكثر منها أحدث ذلك السهر وورم الكبد وقلة شهوة الجماع والغذاء والنسيان والبخر والرعشة والدمع وضعف البصر والحميات واختلاط العقل والتبلد والسكتة والصرع وموت الفجأة لان الخمر تملأ الدماغ فتغمر الحرارة كما يغمر الدهن نار السراج فيطفئ انتهى

(الفصل الثالث فى آداب منتشيها وما يجب على مستعمليها)

ينبغى للمعاشر والنديم المجالس للملوك والرؤساء ان يكون نظيف الكف نقى الظفر متعاهدا التقليم والتخليل بين أصابعه وغسل يده ومعصمه فى أوقات وضوءه ومطعمه طيب المعانى عطر البشرة نظيف الوجه والشارب والانف نقى الجبين مستعملا للسنوت وأخذ السعد بالغدوات وتسريح اللحية وتنظيف الثياب وعمامته خاصة لان العين كثيرا ما تقع عليها متعطرا بالبخور والغالية والدرايرعلى الشعر والثياب وليجلس فى مرتبته بحسن أدب وسكون جاشر بغير اتكاء ولا مدرجل ولا عبث بثوب ولا بلحية ولينهض بنهوض الملك ويجلس حيث يشير اليه ويدنو اذا استدناه ويجيبه اذا سأله ولا ينهض عن المائدة أولا ولا يمد يده مبتدئا ولا يلعق أصابعه ويعيدها فى الطعام ولا يغمس أنامله ولا يسرع المضغ ولا يكثر الضحك والكلام ولا يعض اللحم بأسنانه ولا يرد ما عض فى الصحفة ولا يتناول ما بين يدى غيره ولا يكثر اللقم ولا يفتت الخبز ولا يخلخل الملح ولا يلتقط الدسم بالخبز ولا يكثر من اغتراف الحبوب والامراق خوفا من أن يسيل على الثياب وينسب الى الشره وسوء الادب ولا يفسخ الدجاج بيده بعنف خوفا من الاندلاق وهو أن يكون تحت جلد الدجاجة أو فى أوراكها دسم فيطير على ثياب من بازائه بل يقطع بالسكين على تواضع ولا يحصر الزيتونة بشدة فربما طارت نواتها فأصابت وجه جليسه ولا يحمل بيده الحلوى بكثرة ولا يدخل الى فيه الطعام الحار ثم يخرجه من فيه ولا ينفخ فيه وفى المرقة ليبرد ولا يكثر شرب الماء ولا يتجشى ظاهرا ولا يمشمش العظام ولا ينفض المخاخ ولا يعض الفواكه ان حضرت قبل الطعام ولا يمد يده الى قطعة لحم مشهورة ولا بيضة منضودة ولا

سنبوسجة

ستبوسجة مشتهاه ولا ما تقع الشهوة عليه ولا ما تسارع النفس اليه ويجب أن يتجنب الخمرة فى مجالس الملوك ومن يخاف على عرضه (حكى) ان المتنبى كان يأبى شرب الخمر ويكرهه فألزمه سيف الدولة بن حمدان فشرب ذات ليلة عنده ففرطت منه فارطة بأن قبل غلاما ومازحه ثم ندم لوقته فقام وانصرف وبقى أياما لا يحضر مجلسه فأكثر بطلبه حتى حضر فأمره بالشرب فامتنع وأقسم انه لا يشرب أبدا خمرا وأنشأ يقول

رأيت المدامة غلابة * تهيج للمرء أشواقه
تسىء من المرء تأديبه * ولكن تحسن أخلاقه
وبالامس مت بها موتة * وهل يشتهى الموت من ذاقه

فعفاه من الشرب واذا ألزم العاقل الشرب فى مجالس الملوك فلا يشرب فان غلب لزم الصمت والسكوت وتكلفه الا أن يسأل فيرد جوابا مختصرا (وحكى) أن نصيبا كان يجالس عبد الملك بن مروان ويؤاكله ويجلس قريبا منه فألزمه بالشرب فقال يا أمير المؤمنين لست لك بقرابة ولا لى عليك يد بيضاء ولا أنا ذو حسب ونسب وانما أنا عبد أسود قربنى منك أدبى وعقلى فيأبى بك أن تسلبنى أدبى وعقلى الذى قربنى منك فعجب منه وعفاه (وينبغى) أن لا يشربها أبدا الحمقى والسفهاء والجهال حتى يخرجون فى فجورهم وسفههم وتكثر حماقتهم وقال أبو نواس رحمه الله تعالى

والخمر قد يشربها معشر * ليسوا اذا عدوا بأكفائها

وقال آخر

وقد تعرف الجهال من حلمائنا * اذا ما تعاطينا الكؤس تعاطيا
تزيد حلماها السفيه سفاهة * وتترك ألباب الرجال كما هيا
وجدت أقل الناس عقلا اذا انتشى * أقلهم عقلا اذا كان صاحيا
عليك دليل من صحبت فلا يكن * جليسك من يحكى اليك المساويا

وقال آخر

على قدر عقل المرء فى حال صحوه * يؤثر فيه الخمر فى حال سكره
فيأخذ من عقل كثيرا أقله * ويأتى على العقل اليسير بأسره

قال المأمون الشراب سترفا نظر مع من تهتكه وقال الجاز حرم النبيذ على ثلاثة عشر

نفسا على من غنى الخطأ واتكأ على اليمين وأكثر أكل النقل وكسر الزجاج وسرق الريحان وبل مابين يديه وطاب العشاء وقطع اللمة وحبس أول قدح وأكثر الحديث وامتخط فى منديل الشراب وبات فى موضع لايحتمل المبيت ولحن المغنى ونقلت من خط الحافظ جمال الدين اليغمودى من مجاميعه المسماة بكنوز الفوائد ومعادن الفرائد ماصورته لما تقلد كسرى أنوشروان مملكته عطف على الصبوح والغبوق فكتب اليه وزيره رقعة يقول فيها ان فى أدمان الملك الشرب ضررا على الرعية والوجه تخفيف ذلك والنظر فى أمور المملكة فوقع على ظهر الرقعة اذا كانت سبلنا آمنة وسيرتنا عادلة والدنيا باستقامتنا عامره وعمالنا بالحق عامله فلم نمنع فرحة عاجله قال أبو سليمان أخطأ كسرى من وجوه أحدها أن الادمان افراط والافراط مذموم وآخر أنه جعل أمن السبل وعدل السيرة وعمارة الدنيا والعمل بالحق لم يوكل به الطرف الساهر ولم يحظ بالعناية التامة ولم يحفظ بالاهتمام الجالب لدوام النظام مع أنه متى كان كذلك دب اليها النقص والنقص باب الانتقاص والانتقاص مزيل للاصل مزعزع للدعامة وآخر أن الزمان أعز من أن يبذل كله للاكل والشرب والتلذذ والتمتع فان فى تكميل النفس الناطقة باكتساب الرشد لها ابعاد ألغى عنها مايستوعب أضعاف العمر فكيف اذا كان العمر قصيرا وكان مايدعو اليه الهوى كثيرا وآخر أنه ذهب عليه أن العامة والخاصة اذا وقفت على اشتهار الملك باللذات وانهماكه فى طلب الشهوات ازدرته واستهانت به وجذبت عنه بأخلاق الخنازير وأخلاق الحمير (وما) أحسن ماقال الاديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن الرفا الرصافى من رصافة قرطبة رحمه الله تعالى وقد مر بروضة نزهة فتذكر جلوسه فيها مع رفقة له كانوا أعزاء على قلبه

سلى خميلتك الريا بأية ما * كانت ترف بها ريحانة الادب
عن فتية نزلوا أعلى أسرتها * عفت محاسنهم الامن الكثب
محافظين على العليا وربتما * هزوا السجايا قليلا بابنة العنب
حتى اذا ماقضوا من كأسها وطرا * وضاحكوها الى حد من الطرب
راحوا رواحا وقد زيدت عمائمهم * حلما ودارت على أبهى من الشهب

لا

لا يظهر السكر حالا من ذوائبهم * الا التفاف الصبا فى السن العذب

(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا الجناب المجدى فضل الله بن المرحوم الصاحب فخر الدين بن مكانس هذه الارجوزة وسماها عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء من نظم والده سامحه الله تعالى

هل من فتى ظريف * معاشر حريف
يسمع من مقالى * مايبهر اللآلى
أمنحه وصيه * سارية سريه
تنير فى الدياجى * كلمة السراجى
جالبة السراء * جليلة الانباء
ما جنة خليعه * بليغة مطبوعه
رشيقة الالفاظ * تسهل للحفاظ
جادت بها القريحه * فى معرض النصيحه
أنا الشفيق الناصح * أنا المجد المازح
أسلك الجماعه * فى طرق الخلاعه
اجد للاكياس * عهد أبى نواس
ان تبتغى الكرامه * وتطلب السلامه
أسلك مع الناس الادب * ترمن الدهر العجب
لن لهم الخطابا * واعتد الآدابا
تنل بها الطلابا * وتسحر الالبابا
البس حلا الخلاعه * واخلع ردا الرقاعه
ولا تطاول بنشب * ولا تفاخر بنسب
المرء ابن اليوم * والعقل زين القوم
ما أروض السياسة * لحائز الرياسة
ان شئت تلقى محسنا * فلا تقل قط أنا
وان أردت لاتهن * اذ اؤتمنت لا تخن
العز فى الامانه * والكيس فى الفطانه
القصد باب البركه * والخرق داعى الهلكه

لاتغضب الجليسا * لاتسخط الرئيسا
لاتصحب الخسيسا * لاتوحش الانيسا
لاتكثر العتابا * تنفر الاصحابا
فكثرة المعاتبه * تدعو الى المجانبه
وان حللت مجلسا * بين سراة رؤسا
اقصد رضا الجماعه * وكن غلام الطاعه
داريهم باللطف * واحذر وبال السخف
لاتلفين كاذبا * لاتهمل الملاعبا
قرب الندامى يلجى * للنرد و الشطرنج
واختصر السؤالا * وقلل المقالا
ولا تكن معربدا * ولا بغيضا نكدا
ولاتكن مقداما * تسطو على الندامى
لاتمسك الاقداحا * تنغص الافراحا
لاتقطع الظرافه * لاتشحذ السلافه
لاتحمل الطعاما * والنقل والمداما
فذاك فى الوليمه * شناعة عظيمه
لم يرتضيها آدمى * غير وضيع عادم
وقل من الكلامى * مالاق بالمدامى
كرائق الاشعار * وطيب الاخبار
واترك كلام السفله * والنكتة المبتذله
وقالت الاكياسى * اذا أريق الكاسى
بادره بالمنديل * فى غاية التجميل
فشملة الكرام * سفنجة المدام
وان رقدت عندهم * فلاتشاكل عبدهم
فان سمحت مره * فلا تعد ياعره
لاتأمنن الثانيه * فان تلك القاضيه
والدبدبون احذره حذر * فانه احدى الكبر

فيالها

فيالها من فضيحه * ومحنة قبيحه
فاعلها لا يكرم * وان دوى لا يرحم
كم أسكن الترابا * ذا قوة ذبابا
وكم فتى من ذره * أصبح مفضى الثقبه
جازوه من جنس العمل * وصار فى الخلق مثل
ليس له من آسى * كمثل بعض الناس
كفته تلك شهره * ومثله وعبره
اياك والتطفيلا * وشامة الوبيلا
ثبالها من محنة * وثلمة وهجنة
لا تقرب الطاعه * فانها دلاعه
ولا تكن مبذولا * ولا تكن ملولا
وان دعاك الاخوه * الى ارتشاف القهوه
فلا تصقع ذقنكا * ولا تزرهم باينكا
ولا بجار الدار * ولا بشخص طارى
ولا تجل تألفه * ولا صديق تصدفه
ولا تقل لمن تحب * ضيف الكرام يصطحب
فهذه أمثال * غالبها محال
سيرها الاغراب * السادة السغاب
قد وضعوها فى الورى * طرا بأولاد الخرا
وان حللت مشربه * مع سوقه لا كتبه
فأقلل من المدام * فى مجلس العوام
فكثرة المجون * نوع من الجنون
والامر فيه يحتمل * وكل من شاء فعل
وآخر الامر الرضى * وكل مفعول مضى
فعصبة العوام * ضرب من الانعام
وان صحبت تركى * فاصبر لا كل السكك
هذا اذا تلطفا * ولم يكن فيه جفا

وان يكن ذا عربده * ونزغة منكده
يقوم للجلوس * بالسيف والدبوس
أبشر بقتل القوم * ونحس ذاك اليوم
فاقبل كلامى واعتمد * وصيتى واوص وفد
ولا تخالف تندم * ولا تعزز تعدم
فالشؤم فى اللجاج * والحر لا يلاجى
فهاكها وصيه * تصحبها التحيه
يحملها الكرام * اليك والسلام

(الفصل الرابع فى استهدائها واستدعاء الاخوان)

كتب ابن العميد الى بعض أصحابه يستهديه خمرا قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاء سيدى ومولاى رقدة عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابى كالثريا فان لم تحفظ علينا ما نحن فيه من النظام باهدائك المدام عدنا كبنات نعش والسلام (وقال) جحظة البرمكى يستهدى نبيذا (توفى سنة ست وعشرين وثلثمائة رحمه الله)

قد زارنى اليوم نور عينى * وكان بالامس صدّ عنى
وليس عندى له نبيذ * وليس يرضى بذاك منى
فجد علينا بنصف دن * بربع دن بثلث دنى
لا تنكرن كدى وشحى * فانى شاعر مغنى
حالان لو خافا مليكا * اذا لكدى بكل فن

(وكتب) عبد الرحيم بن أحمد القارىء خوى الى أخيه الاكبر

بلغ جمال الدين عبد الواحد * صدر الانام الماجد بن الماجد
برد الهوا زاد فى قلبى الهوى * فانعم على بقلب ضد البارد

(وأنشدنى) الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس من لفظه لنفسه

براح ورمان بعثت اليكم * وبسر وتفاح تضوع كالند
كما حليت بكر على الشرب ناهد * مقمعة الاطراف قانية الخد

(الاستدعاء) قال بعضهم

تفضل

تفضل بحق الكاس والراح والهوى * وترجيل أصداغ غدون على خد
وكن غير مأمور جواب كتابنا * ولا توحشنا بالتعلل والوعد

ولآخر

جعلت فداك قد حضر الطعام * وضجت من تأخرك المدام
فاما جئتنا عجلا والا * أخذنا في اغتيابك والسلام

(وكتب) أحمد بن يوسف الى صديق له هذا يوم رقت حواشيه وبدت تباشير الحبور فيه والمرء باخيه كبير وبمساعدته جدير وأنت قطب السرور ونظام الامور فلا تتأخر عنا فنقل ولا تتفرد منا فنذل (وقال) عبيد الله بن طاهر (توفي سنة ثلثمائة)

القدر قد هدرت والدن مبذول * والروض قد درش والريحان مبلول
وقرت العين قد جاءت بزهرها * يصيح في يدها والناي مشغول
ولا يتم لنا عيش ولا طرب * حتى نراك فانت القصد والمسؤل
وكل عيش بلا راح ومسمعة * ولا نديم ولا أنس فتعليل
يوم التلاق قصير كيف طال لنا * وغيره فيه مع ابعاده طول

وقال آخر نحن في مجلس قد أبت راحته أن تصفو أو تتناولها يمناك وأقسم غناءه لاطاب ان لم تعه أذناك فاما خدود تاريخه فقد احمرت خجلا لابطائك وأما عيون نرجسه فقد حدقت تأميلا للقائك ونحن لغيبتك كمد قد ذهبت واسطته وشباب قد اخذت حدته فاذا غابت شمس السماء عنا فلا بد أن تدنو شمس الارض منا فان رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد ويحصل بقربك في جنة الخلد فكن الينا أسرع من السهم الى ممره والماء الى مقره (وقال) الوزير أبو القاسم بن السقاط يوما أعزك الله يوم بقيت شمسه بقناع الغمام وذهبت طاسه بشعاع المدام ونحن في قطار الوسمي في رداء هدى ومن نضير النوار على نضائد الخضار ومن نواسم الزهر في لطائم العطر ومن غرر الندمان بين زهر البستان ومن سقاة الكؤس ومعاطي المدام بين مشرقات الشموس وعواطي الارام فرأيك في مصافحة الاقمار ومنافحة الانوار واجتلاء غرر الظباء الجوارى واتقاد رب الغناء المجازى موفقا ان شاء الله تعالى وقال محمد بن أبي محمد بن الفياض كاتب سيف الدولة بن حمدان

وقد أجلتنا ومين وهذا ثالث وأعطيتناعهدين وكنت الناكث فهل
ابتدعت ما أتيت أوكان لك عليه باعث فياقسيم روحي ويا نسيم صبوحي
هاقدآن الغبوق الأأنه يعز بمرشف شفتيك وكأس عينيك ووالله لاشربت
الاعلى آس عذارك ووردخديك فابررقسمي وردالجواب من فكك الى فمي
وقال القاضي السعيد بن سناء الملك وقدانتظمنا انتظام الجمان واجتمعنا على
رغم أنف الزمان وعندنا فلان وما أدراك ما فلان تارة ينظرفيملأ علينا البيت
سحرا وتارة يبسم فيفرق علينا درا وقال أبوالوليد بن الحبان الشاطبي نحن في
روض أغصانه الندماء وغمامته الصهباء فبالله الاما كنت لروض مجلسنا
نسيما ولزهر حديثنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها
خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامه أوشمس حجبتها غمامه
اذاطاف بهامعصم الساقي فوردة على غصنها أوشهر بهامقهقهة فحمامة على فننها
طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فأنت وحياتك اكليلنا وقدآن
حلولها في الاكليل (وقال) بدرالدين بن صاحب وكتب بها الى الصاحب فخر
الدين ابن مكانس تغمدهما الله برحمته وسامحنا واياهم بمحمد وآله هل لك
بسط الله آمالك وضاعف نعيمك ودلالك في عذراء مصونه كالدرة
المكنونه فتانة مفتونه كأن على خدها فوق ورده ياسمينه مخدرة تدهش
العقول لمجتلاها وتغشى العيون لضوء سناها مظلومة الريق في تشبيهها
بالضرب وفي اللثات وفي أنيابها شنب لها من ذاتها طرب يغني عن المزامير
بلقيسية الجمال لها صرح ممرد من قوارير ضرة للشمس تلبس زي البدور
ليلين ويرطب بها عيش السرور ليلها من حسنها نهار وضوء وجهها اليد
لامسها سوار عجوز الاسم صبية الاستمتاع بكر تستخف الحليم بكشف القناع
تعصبت بالدجى طيبا وتلثمت بالصباح وتلطفت حتى مازجت الارواح كريمة
الاصل والفعال حسنة المعاني والخصال أديمها كلما يعتق يغلو ووردها
كلما مر يحلو يخلع الوقور في حبها العذار ويطيعها بالسعد فلك اللهو والمدار
ثملة المعاطف تقهقه قهقهة الرعونه كأنما خلقت نشوانة من الطينه يزداد
ثغرها طيبا في ساعة السحر وتعرف عينها المخفية بحسن الاثر حديثها السحر
الحلال وعتيقها خلع الدلال أيامها اعياد وأوقاتها أقوات القلوب والاكباد

تطيب

تطيب عيش الجلاس وتفرك أذن الوسواس من القاصرات الطرف فى كل قصر وهى على الاطلاق مليحة ذهبية العصر رومية لها بالكيميا معرفه مع أنها بادراك المطالب متصفه فتارة تقلب الاحزان أفراحا ومرة تكال لك الذهب أقداحا نديمها يجد فى نفسه تخاييل المملكه ويكاد أن يعد على الدنيا من لؤلؤ حباتها شبكه قينة كأنما غنت الفلك فنقطتها بالنجوم قارية تخلقت بعد أن تقمصت بياض الغيوم تجمع شمل الاحباب وتهذب الاخلاق الصعاب لو خالطها حبل لماس أو قابلها جماد لقيل انه كاس أو قتلت ندمائها لما نسبت الى اياس ولقال لسان حالهم وفيها منافع للناس وتلطف حتى كأن رائيها اسامع يطيب ويطرب وحتى يكاد يأكل بالضمير ويشرب تغايرت الاستقصا آت على شكلها النوراني وما نفثت فى خلقها الجثماني الروحاني فلم يجد الطير له فيها مدخلا لكن قنع منها بالتلطيخ تطفلا على أنه وارثها بالتعصيب وقل جدها للام بلا تثريب أنفاسها مسكيه وطبائعها برمكيه ومكارمها خاتميه وانسانها قيصريه بكر بخاتم ربها وهى ترضع أباها من حلبها فتعيد الشيخ صبيا والمشغول خليا فكأنها استعارت الارضاع من أمها التى لها ندى كالنجوم عده وتعلمت منها المكارم لما رأت أكفها بالندى ممتده غانية طعم الحياة فى ريقها وضيق الموت فى مباينتها وتطليقها لا تنزل الحوادث ساحتها ولا يعرف التعب من صافح راحتها حمراء تخلع ثوبها على الندمان بل تكاد تطبق عينها على الانسان لا ينهض البليغ بوصفها فالعجز عن ادراك لطفها ادراك لطفها (أخبرنى) الجناب المجدى سلمه الله تعالى أن والده أجاب عن هذه الرساله جوابا معجزا الى الغايه وأن مسودتها عدمت وقال أبو الحسين بن بسام ليستنهض همة نديم (توفى سنة ثلاث وثلثمائة رحمه الله)

الا بادر فلا تأن سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام
ولا يكسل برؤيته ضبابا * يظن به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم المى * ان توافيه فينحط اللثام

(وقال) الشهاب الاعزازى من موشحة أولها (توفى سنة عشرة وسبعمائه)

كأس رويه * جلا علينا النديم * أم سنا مصباح

أم شمس حسن * قد توجتها النجوم * فى سماء الاقداح

(ومنها)

وأجاد لنا خليل * نراه منذ ليالى
غائبا عنا * وماء الشمول * لذيذه وهو سالى
أيش منا * قل يارسول * نائبا فى ظلالى

(غيره) دوحه غنى زير جديه * ونم شادورنم * وبقايا راح
ويوم دجن * وقد دعاك النديم * فأجب ياصاح

(وقال) الحكيم شمس الدين بن دانيال يداعب

شمس الدين قد أبطأت عنا * لامر قل لنا ماذا الجفاء
وقلت اليوم بعد العصر تأتى * و بعد العصر يأتينا الجزاء

(ونقلت) من خط الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس ماصورته كتبت الى صاحبنا الاديب الفقيه العالم الحافظ الراوية أبى حفص سراج الدين عمر السكندرى الشهير بالقوصى استدعيه وفيها بعض مداعبه

الحمد لله المجيب لمن دعاه

ياذا الذى فكره مثل اسمه يقد * فندت عنا وما من شأنك الفند
بما اعتذارك عن هذا الصدود وما * هذا وقد ضمنا بالحيرة البلد
عافاك ربك من داء القطيعة بل * شفاك من كل داء أمره نكد
فيم التوانى وشهر الصوم مقتبل * عن خمرة ضوءها فى الكأس يتقد
وفتية مخلصين الود قد جبلوا * على المحبة لاحقد ولا حسد
ان ذاع وصفك فى ناديهم طربوا * أوجال ذكرك فيما بينهم سجدوا
ان لم تشرف بناديهم فما شرفوا * أولم تنفق لهم آدابهم كسدوا
لم ذا هجرت بنى الآداب فابدلنا * فما اعتذارك لاأهل ولا ولد
قد صرت توحشهم بعدا وان قربوا * وكنت تؤنسهم قربا وان بعدوا
تركت عشرتهم لما رغبت الى * جاه طويل عريض زانه مدد
ماهكذا تفعل الدنيا بصاحبها * فالناس بالناس والاخوان تنتقد
وبعد فاحضر فذنب العبد مغتفر * ولو تطاول من هجرانك الامد
أولا فعصبة فسق كلهم سبق * سود غلاظ شداد مالهم عدد

لهم

لهم ايور قيام طول دهرهم * من حين ادراكهم بالحسين مارقدوا
كأنهم من حديد جعوا زبرا * يستوثبون فلا يقواهم الاسد
من كل ابر تحث السحب هامته * يهيج كالبحر اذ يبدو له زبد
مرتفل مكهر معضب شرس * لظهره جلونات بها عقد
مسكرج الرأس فى عرنينه شمم * معشر الدوم فى حلقومه غدد
تلك الايور تراهم فى نكورهم * كأنهم تحت فسطاط السماء مد
ومن قرى رقعتى هذى وليس يرا * عقيبه حاضرا لم يثنه أحد
مولاى انى محب فاتخذ كلى * نصيحة فعليها الخل يعتمد
بادر لنا فبنو الآداب كلهم * تجمعوا من فجاج الارض واحتشدوا
وأنت أدرى بقوم ان قلوا سلقوا * بألسن مالقتلى حربها قود
فأوعدوك وان لم تأت نحوهم * فكل منحر فى الحال مايعد
لازلت ترقى على زهر النجوم علا * ماحلت الريح أقوام ومارصد

(وكتب) اليه يداعبه

يوم عليك سعيد * يبدى الهنا ويعيد
يابحر علم خضم * تأتى اليه الوفود
ياناقض الود يامن * شوقى اليه يزيد
ويا رقيق الحواشى * ماذا الجفا والصدود
ياجامع الشمل يامن * بما لديه يجود
قد غيرتك الليالى * والجاه وهو شرود
فكيف تبدى نفارا * منا ونحن عبيد
لم لا تتيه وتعلو * على الورى وتسود
وأنت خلف لك قوم * كل قوى شديد
والناس شكوا وقالوا * ماشاب منه الوليد
والشعر فيك توالى * طويله والمديد
أصبحت كالبدر مراء * وهو القريب البعيد
ياأكثر الناس نحبا * قل لى لماذا العقود
وقد أتى الصوم فالمم * بنا فقربك عيد

واغتنم شغاءك واشرب * فقد أتتك السعود
واحضر الينا اذا ما * وافاك دن النضيد
فعندنا ان تزرنا * ما نشتهي ونريد
راح وطبي وشاد * يشجي الانام وعود
تزوج الماء بالراح * والملاح شهود
وأنت جوهر فضل * به تحلى العقود
لازال عزمك والرأي مفلح ورشيد
يستخدم الدهر فيما تقره وتبيد
أيامه خدم وبيض والليالي سود

وقال آخر نحن قوم من شيعة الخمر نحب العتيق قد فرضنا عنا يد الهم بسماع الوتر وأقمنا من ناصب الغم وعدك المنتظر

(الفصل الخامس في من وصفها من الشعراء الاعيان)

القول في الكرمة الكرم أكرم الشجر جوهرا وأشرفها محتدا وعنصرا منافعها عظيمة وعوائدها جسيمة وثمرها يزهى على جميع الثمار طيبا ومنفعة ومواد الشرب فيما يستخرج منه مستجمعة وينبغي أن يختار لها أرض معتدلة رطبة لا مفرطة الرخاوة ولا صلبة ولا يكثر سقيها فيصير ما يعصر منها رقيقا مائيا ولا يفرط في تعطيشها فيكون يابسا ناريا ويعتمد تزبيل أرضها باخثاء البقر فانها حافظة لما استودعته دون غيرها من الشجر وان لا يغرس ما يضادها في أقرب مواضعها ولا يلاصقها الا ما يقاربها في طبائعها فيجتنب الدفلى والدلب والخروع وما يشاكلها وتجاور الورد والتفاح واللوز والخوخ وما يماثلها والتفاح أشبهها به (نكتة حسنة) قال أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة لسليمان بن كثير بلغني أنك كنت في مجلس قد جرى بين يديك فيه ذكري فقلت اللهم سود وجهه واقطع عنقه واستقني من دمه فقال نعم قلته ونحن في الكرم الحصرم لما نظرت اليه فاستحسن قوله وعفا عنه لسداد جوابه (القول) على ثمرها أجمع العجم والعرب على أن رأس الفاكهة التين والعنب لانهما يهديان الخصب الى الجسوم ونفذوا أنهما غذاء غير مذموم وعقيد

العنب

العنب اذا طبخ نفع من بعض الخوانيق وقطع ازطوبات المضرة بالحلوق وقد ورد فى الخبر المأثور ماهو عند أصحاب الحديث مشهور وهو كلوا الزبيب فانه يطفئ الغضب ويذهب الوصب ويشد العصب ويرضى عن الرب وأطيب العنب ما اخضر عوده وتسلسل عنقوده وتدفق ماؤه ورق لحاؤه وقل عجمه واستجلاه مستطعمه وأفضل الاشربة ما اتخذ منه وهو الخمر لما فيها من الفضائل ولما انفردت به من شريف الخصائل فالالسنة منبسطة بنشر محاسنها والمدايح مشوقة اليها من أفضل معادنها والنفوس بمحبتها كلفه والقلوب الى ما تجتنيه منها متشوفه من اعتاد شربها لم يصبر عنها ومن لم يذقها ورآها دعاه نسيمها ولونها الى الاخذ بحظ وافر منها وما أحسن قول ابن المعتز فيها

معتقة صاغ المزاج لرأسها * أكاليل در ما لمنظومها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وأدرك منها الآخرون بقية * من الروح فى جسم أضربه النهك
وقد خفيت من صوفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

وقال القاضى الفاضل رحمة الله عليه

لها من تصفو على الشرب أربع * وواحدة لولاسماحتها تكفى
سرور الى قلب وتبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف
ولما رأينا ياسمين حبابها * مددنا يمين القطف قبل فم الرشف

وقال القاضى مجير الدين بن عبد الظاهر

خمرة للشقيق أمست شقيقة * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من لطفها هى فى الكأ * س مجاز والكاس قالت حقيقه
كيف تغدو عتيقة لدنان * وهى فى قبضة الندامى رقيقه
أنتجت فرحة وجاءت بكاس * صبغت جمرة فنعم العقيقه
هى مخلوقة من الماء فاعجب * كيف نار من عزنة مخلوقه
كم تبدت بها معانى سرور * بسوى الماء لم تكن مطروقه
سلفتنا على العقول وقالت * يتولى الجناب كتب الوثيقه
حملت همنا فحمدا وشكرا * لعجوز على بنيها شفوقه

كم بكت بالدموع منها الرواوي ـــق وجاءت جيوبها مشقوقه
أتراني أعصى الهوى فيها ثم أخشى من أن يقول الخليقه

وما أحسن قوله ملغزا في شمله وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشئ بالشئ يذكر بلوازمه

ومشمولة رقت وراقت فأصبحت
على الشرب تزهى حين تهدى الى الكاس
معتقة ما شمست بعد عصرها * لائم وكم فيها منافع للناس
ولا عصرت يوما بر جل ولا لها * اذا ما أديرت من صعود الى الراس

وقال ديك الجن عبد السلام بن رعبان الحمصي (مولده سنة احدى وستين ومائة وتوفي سنة ست وثلاثين ومائتين)

بها غير معذور فداوخمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
فقم أنت واحثث كأسها غير صاغر * ولا تشق الا خمرها وعقادها
فقام يكاد الكاس تحرق كفه * من الشمس أو من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتعتع روحها * فيأخذ من أقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها

(قلت) أحسن ما ضمن هذا العجز الشيخ بدر الدين حسن العربي الشهير بالزعاري

وبي سامري مربي في عمامة * قد اكتسبت من وجنتيها احمرارها
موردة دارت بوجه كأنما * تناولها من خده فأدارها

(وقال) مجير الدين بن تميم مضمنا

لو كنت شاهدنا وقد جليت لنا * في كأسها لما انتشى الندماء
لرأيت أحسن ما يرى بزجاجة * سال النضار بها وقام الماء

(وقال) صدر الدين بن غنوم

قم نفترغ بكر المدامة بكرة * في روضة حسنت وراقت منظرا
فالراح سيف قاطع لهمومنا * أو ما تراه بالحباب مجوهرا

(وقال) شرف الدين راجح الحلي

أعجب شئ رأته عيني * ما بين عود وحقق نائي
زحف سرور بجيش هم * وقتل خمر بسيف ماء

وقال

(وقال) محيي الدين المغربي حافي رأسه (مولده سنة خمس وثمانين وستمائة وتوفي سنة اثنين وستين وسبعمائة)

لم يبتدر بدر الحباب بكأسها * الا الصعيد بلابل الارواح
مزجت فأنجزت الذي وعدت به * من نفخ روح الله في الاشباح

وقال الناشئ

صفت وأحداق نورها بزجاجها * فكأنما جعلت اناه اناتها
وتكاد أن مزجت لرقة لونها * تمتاز عند مزاجها من مائها
تزداد من كرم الطباع بقدرما * تؤدى به الازمان من أخوانها

وقال البديع الهمداني قال ابن خلكان (كانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما بمدينة هراه)

وفتيان كأقران الثريا * على طرق من العيش الرخيم
بساقيهم من الغزلان أحوى * كأن بطرفه داء الطليم
تنادوا للمدام وعنفوني * وقالوا هاك حظك من نعيم
فقلت أخاف عقباها ولكن * أشيعكم الى باب الجحيم

وقال أبو تمام الطائي (توفي سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة) وفي وفاته ثلاثة أقاويل

بمدامة تعدو المنا لكؤسها * حولا على السراء والضراء
راح اذا ما الراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق في الاحشائي
صعبت وراض المزج بيني خلقها * فتعللت من سنن خلق الماء
جوفاء تلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافيال بالاسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * فبكت كذلك قدرة الضعفاء

وقال أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي ضمني وايا يحيى الكاتب مجلس أنس فتذاكرنا ما قيل في معاقرة الشراب في المشيب فأنشدني لنفسه

لاموا على حب الصبا والكاسي * لما بدا زهر المشيب براسي
والغصن أحوج ما يكون لشربه * أيان يبدو بالازاهر كاسي

ثم قال هل سمعت في هذا المعنى شيأ لغيري فقلت لا ثم أعملت حتى عملت فيه وهو معنى غريب قلت

يلومونني ان شبت في المخر صلة * وانني اذا وافى المشيب بها أحق

اذا شاب رأس الليل بالفجر قربت * له أكؤس الصهباء من خمرة الشفق

آخر

صب في الكاس عقيق فجرى * وطفا الدر عليه فسبح
نصب الساقي على حافاتها * شبك الفضة فاصطاد الفرح

وقال أبو نواس رحمة الله عليه

يطوف بها ساق أغن يرى له * على مستدار الاذن صدغا معقربا
اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا

وقال ابن المعتز رحمة الله عليه

قد أظلم الليل يا نديمي * فاقدح لنا النار بالمدام
كأننا والورى رقود * نقبل الشمس في الظلام

وقال ابن حديس المصنفلي رحمة الله عليه

قم هاتها من كف ذات الوشاح * فقد نعى الليل بسير الصباح
من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الاقاح

وقال ابن رشيد رحمة الله عليه أيضا

خليل النفس لا تخلي الزجاجا * اذا بحر الدجى في الجو ماجا
مشعشعة كأن الشمس ألقت * على أيدي السقاة به محاجا
اذا مزجتها اتقد احمرارا * سكبن المشتري فيه مزاجا

وقال ابن حجاج رحمة الله عليه

ويحكم يا كهول أو شيوخ الفسـ * ـق أويا معاشر الفتيان
اشربوها خمرا مما اقتناها * آل دير الفنون للقربان
بكؤس كأنها ورق النسـ * ـرين فيها شقائق النعمان
اشربوها وكل اثم عليكم * ان شربتم بالرطل في ميزان
في ليال لو أنها دفعتني * وسط ظهري وقعت في رمضان

وقال ابن سناء الملك

الكاس لم تذنب فكيف حبستها * أوحشتها من طول ما أنسيتها
لا بل هممت بشربها ورأيتها * ألقت عليك شعاعها فلبستها

وقال وجيه الدين بن الدروى

يفيض على كسرى غلالة قهوة * ويسلمه عمدا لراحة سالب
ونص على دين المجوس لهيبها * فشق الدجى عن صدره مسيح راهب

وقال القاضى الفاضل رحمه الله

يلوح عليها نجلة اذ أدارها * فمن عرق يبدو والحباب لذى المزج
أتانى بها والصبح من تحت ذيله * كما استل سيف أو كما ابتسم الربى
حبيب كأن كأسه من صبابتى * فظاهرها برد يزر على وهجى

وقال أبو نواس رحمة الله عليه

وخمار الحب عليه ليلا * قلائص قد تعبن من السفار
فترحم والكرى فى مقلتيه * كمخمور شكى ألم الخمار
أين لى كيف سرت الى حريمى * وجفن الليل مكتحل نفار
فقلت له ترفق بى فانى * رأيت الصبح فى خال الديار
فكان جوابه أن قال كلا * وهل صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسدفاها * فعاد والليل منسدل الازار

وقال آخر

جلوها على الندمان فاجر وجهها * بخجلتها عند البروز من الخدر
وألقوا عليها الماء فاصفر لونها * وتحسن عند الملتقى وجل البكر

وقال يزيد بن معاوية

ولى وله اذا الكاسات دارت * رقاسحرا يحل عرى الهمومى
محادثة ألذ من الامانى * وأبث جوى أرق من النسيم

وقال البحترى رحمة الله عليه

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء
ولها نسيم كالرياض تنفست * فى أوجه الارواح والابداء
وفواقع مثل الدموع تحدرت * فى صحن خد الكاعب الحسناء

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى ملغزا فى مدام

وماشئ حشاه فيه داء * وأوله وآخره سواء
اذا مازال آخره فجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان أهملت أوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

وله

حيينا ها مشعشعة تلالا * وثوب الليل فضفاض الذيول
فخلسها اذا الساقي جلاها * تقنش بالسراج على العقول

ولآخر

أدير بلحيتي البيضاء كأسي * بكيس زائد مني وفطنه
ألم يرني وعفو الله راج * ومن شرهي أصفيها بقطنه

وقال الشيخ يحيى الخبان (توفي سنة سبعين وسبعمائة)

بعيشك هاتها حمراء صرفا * صباحا واطرح قول النصوح
فهذي الشمس قد بزغت بعين * تغامزنا على شرب الصبوح

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

مورد الخد أدار الطلا * فقال لي في حبها عاتبي
عن أحمر المشروب ما تنتهي * قلت ولا عن أخضر الشارب

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي

قم هاتها في الظلام صافية * تورث جسمي وقبضتي بسطه
أضحت عليها الافراح دائرة * يا صدق من قال انها نقطه

وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس

للراح بالكيميا شبه فان لها * للقلب والرأس تقطيرا وتصعيدا
قالوا هي الشمس اشرافا وقد جهلوا * ماذاك الا شعاع الشمس معقودا

وقال بدر الدين بن الصاحب

يا حابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغتنم مزاجا له طيفا * يورثه الانتظار صفره

وقال من لفظه لنفسه سيدنا القاضي بدر الدين محمد بن الدماميني

قم بنا نركب طر * ف اللهو سبقا للمدام
وائتني يا صاح عنانى * للكميت وللجامي

وللشيخ شهاب الدين بن حجر أبقاه الله تعالى لنفسه الكريمة

أطيل الملال لمن لامني * وأملأ في الروض كأس الطلا
وأهوى الملاهي وطيب الملا * ذ فيها أنام نهاري في الملا

ومن

ومن لفظه لنفسه الكريمة الجناب المجدى بن مكانس

نزل الطل بكرة * وتوالى تجددا
والندامى تجمعوا * فأجلى كاسى على الندا

وقال شهاب الدين بن أبى حجلة

أمعطل الكاسات عن عشاقها * يكفيك بالتعطيل عيب عائبا
ذهبت كؤسك بالمدام فقد أرى * للناس فيما يعشقون مذاهبا
فمتى سلكت من الهموم مهالكا * صادفت فى فتح الدنان مطالبا
ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشىّ أنس ديرها * لم تلق الا راغبا أوراهبا

وقال الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه تغمده الله برحمته

لان شبه الساقى المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صنعة الادب
ولكن رآها جوهرا مميت طلا * فحوّه لما حلت الكاس بالذهب

(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين البشتكى لنفسه

وخمار هدية فى الدباجى * بجذوة كأسه وسنا النديم
سألنا منه عن خمر حديثنا * فاخبرنا عن العصر القديم

(قلت) وعلى ذكر الحديث قال أبو بكر بن عياش كنت وسفيان الثورى وشريك نمشى بين الحيرة والكوفة فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية حسن السمت فقلنا هذا شيخ جليل قد سمع الحديث ورأى الناس وكان سفيان أطلبنا للحديث وأشدنا بحثا وأعلمنا به وأحفظنا له فتقدم الى الشيخ وسلم عليه ثم قال له أعندك شئ من الحديث فقال له أما الحديث فلا ولكن عندى عتيق سنين قال فنظرنا فاذا الشيخ خمار (نادرة) قيل لخالد بن صفوان أتحل الحديث قال انما العتيق يحل (رجوع) وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تداوينا بشرب الما
نعاف مزج الماء فى كأسها * لا آخذ الله السكارى بما

وقال بدر الدين بن الصاحب

يا ايها العاصر بادر الى * عنقود ذاك الفاخر فى كرمه
اياك ان تتركه ساعة * تزيب النحس على أمه

وقال مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ولما تمثلت فى أواخر سنة خمس وتسعين وسبعمائة بين يدى سيدنا ومولانا أوحد العصر من غير مدافع ولا منازع أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى بكر المخزومى الشهير بالدمامينى أسبغ الله ظلاله تذاكرنا بين يديه الكريمة الكتب وحسن أسمائها فأخبرنا أنه فى زمن الصبا جمع مقاطيع من الخمريات وسماها مقاطع الشرب تأمل ما ألطف هذه التسمية (القصائد) قال الشيخ العالم المفنن البارع صدر الدين محمد بن المرحل و يعرف فى الشأم بابن وكيل بيت المال تغمده الله بالرحمة (مولده سنة خمس وستين وستمائة و وفاته سنة ست عشرة وسبعمائة رحمه تعالى)

ليذهبوا فى ملامى أية ذهب * فى الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب
لا تأسفن على مال تمزقه * أيدى سقاة الطلا والخرد العرب
والمال أجمل وجه فيه تصرفه * وجه جميل وراح فى الدجى لهب
فما كسوا راحتى من راحها حللا * الا وعرّوا فؤادى الهم واستلبوا
راح بها راحتى فى راحتى خصلت * فمنى عجبى بها وازداد بى العجب
اذ ينبع الدر حلو من مذاقته * والتبر منسبك فى الكأس منسكب
وليست الكيمياء فى غيرها وجدت * وكلما قيل فى أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا و ينقلب
عناصر أربع فى الكأس قد جمعت * وفوقها الفلك السيار والشهب
ماء ونار هواء أرضها قدح * وطوقها فلك والانجم الحبب
ما الكاس عندى بأطراف الانامل بل * بالخمس تقبض لا يخلوها الهرب
شججت بالماء منها الرأس موضحة * فحين أعقلها بالخمس لا عجب

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى لو لم يقل الشيخ صدر الدين من الشعر الا هذا البيت لكان قد أتى بشئ غريب نهاية فى البديع لقد غاص فيه على المعنى ودق تحيله فيه

وما تركت بها الخمس التى وجبت * وان رأوا تركها من بعض ما يجب

وان

وان أقطب وجهى حين تبسم لى * فعند بسط الموالى يحسن الادب

هذا البيت أيضا بديع المعنى دقيقه وقد اعتذر عن اقتضابه بأحسن عذر وأوضحه وما أحسن قول ابن رشيق

أحب أخى وان أعرضت عنه * وأقل على مسامعه كلامى

ولى فى وجهه تقطيب راض * كما قطبت فى وجهه المدام

وتتمة الابيات

عاطيتها من بنات الترك عاطية * لحاظها للاسود الغاب قد غلبوا

هيفاء جارية للراح ساقية * من فوق ساقية تجرى وتنسكب

من وجهها وثنيها ومقلتها * تخشى الاهلة والقضبان والقضب

يا قلب أردافها مهما مررت بها * قف بى عليها وقل لى هذه الكتب

وان مررت بشعر فوق قامتها * بالله قل لى كيف البان والعذب

تريك وجنتها ما فى زجاجتها * لكن مذاقته للريق تنتسب

تحكى الثنايا التى أبدته من حبب * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة المصرى

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات

ما فاض من جفنه يوم الرحيل دم * الا وفى قلبه منكم جراحات

أحبابنا كل عضو فى محبتكم * كليم وجد فهل للوصل ميقات

غبتم فغابت مسرات النفوس فلا * انستم زعمى ولا تلك المسرات

يا حبذا فى الصباعن حبكم خبر * وفى بروق الفضا منكم اشارات

وحبذا زمن اللهو الذى انقرضت * أوقاته الغر والاعوام ساعات

أيام ما شعر البين المبيت بنا * ولا خلت من مغانى الانس أبيات

حيث المنازل روضات مدبجة * وحيث جاراتها غيد وقينات

وحيث لى بديار اللهو سلطنة * ولى على ثغر من أهوى ولايات

وحيث أسعى لاوطان الصبا مرحا * ولى على حكم من أهوى ولايات

ورب حانة خمار طرقت وما * حانت ولا طرقت للقصف حانات

سبقت قاصدا مغناها وكنت فتى * الى المدام له بالسبق عادات

أعنو الى ديرها الاقصى وقد لمعت * تحت الدجى فكأن الدير مشكات

وأكشف الحجب عنها وهى صافية * لم يبق فى دنها الا صبابات
راح زحفت على جيش الهموم بها * حتى كأن سنا الاكواب رايات
وبت أجلو على الندمان رونقها * حتى لقد أصبحوا من قبل ما باتوا
مصونة السر ماتت دون غايتها * حاجات قوم وللحاجات أوقات
تجول حول أواويها أشعتها * كأنما هى للكاسات كاسات
ويصبح الشرب صرعى دون مجلسها * وهى الحياة كأن الشرب أموات
تذكرت عند قوم دوس أرجلهم * فاسترجعت من روث القوم تارات
واستضحكت فلها فى كل ناحية * هبات حسن وفى الانام هبات
كأنها فى أكف الطائفين بها * نار تطوف بها فى الارض جنات
من كل أغيد فى دينار وجنته * توزعت من قلوب الناس حبات
يميل الصدغ طوع الوصل منعطف * كأن اصداغه للعطف واوات
ترنحت وهى فى كفيه من طرب * حتى لقد رقصت تلك الزجاجات
وقمت أشرب من فيه وخمرته * شربا تشن به فى العقل غارات
وينزل اللثم خديه فينشدها * هى المنازل لى فيها علامات

(وقال) الاديب الفاضل الكامل أبو الفتح بن قلاقس السكندرى

الحق بنفسج فجرى وردتى شفق * كافورة الصبح فتقت مسكة الغسق
قم هات جامك شمسا عند مصطبح * وخل كأسك نجما عند مغتبق
واقسم لكل زمان ما يليق به * فان للزند حليا ليس للعنق
هب النسيم وهب الريم فاشتركا * فى نفحة من نسيم المندل العبق
واسترقصتنى كاسترقاص حاملها * مخضرة الورق فى محضلة الورق
وظلت بالكأس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والكاس من ورق

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل برهان الدين ابراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بالقيراطى رحمة الله عليه

قسما بروضة خده ونباتها * وياسها المخضر فى جنباتها
وبسورة الحسن التى فى خده * كتب العذار وبخطه أياتها
وبقامة كالغصن الا أننى * لم أجن غير الصد من ثمراتها
لاعزرن غصون بان زورت * أعطافه بالقطع من عذباتها

ولاصبحن

ولاصبحن للذى متيقظا * مادامت الايام فى غفلاتها
وابا كرن رياض وجنته التى * مازهرة الدنيا سوى زهراتها
كم ليلة نادمت بدر سمائها * والشمس تشرق فى اكف سقاتها
وجرت بنادهم الليالى للصبا * وكؤسنا غرر على جبهاتها
فصرفت دينارى على دينارها * وقضيت أعوامى على ساعاتها
خالفت فى الصهباء كل مقلد * وسعيت مجتهدا الى حاناتها
فتخير الخمار أين دنانها * حتى اهتدى بالطيب من نفحاتها
فشممتها ورأيتها ولمستها * وشربتها وسمعت حسن صفاتها
وتبعت كل مطاوع لايختشى * عند ارتكاب ذنوبه تبعاتها
يأتى الى اللذات من أبوابها * ويحج للصهباء من ميقاتها
عرف المدام بجنسها وبنوعها * وبفصلها وصفاتها وذواتها
ياصاح قد نطق المزار مؤذنا * أيليق بالاوتار طول سكاتها
فخذار تفاع الشمس من أقداحنا * وأقم صلاة اللهو فى أوقاتها
ان كان عندك ياشراب بقية * مما تزال به العقول فهاتها
الخمر من أسمائها والدرمن * تيجانها والمسك من نسماتها
واذا العقود من الحباب تنظمت * اياك والتفريط فى حبباتها

(وقال) الصاحب العالم المفنن فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس

خليلى هيا للصبوح وبكرا * وحثا أوانى لهوها تحمد السرا
ولاتركبا الليل البهيم اركامدا * ماكينا أومن الصبح أشقرا
وصيدا بنات الكرم من دنها * فان أوانى راحها عندى القرا
اذا ماأديرت فى حشا عسجدية * بها كل ذى ملك وتاج تصورا
فسبك نبلا فى السيادة أن ترا * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا
مدام حوت معنى السرور وأفرطت * فمنها سرى فيها السرور وأثرا
لذلك قد تزهى بوجه مخلق * وجللها ثوب النعيم مزعفرا
اذا ضرحتها الريح تحت حبابها * تخال بها فى الكاس سيفا مجوهرا
وبرهانه ذبح الهموم الاترا * على جانبيها ذلك الدم أحمرا

(وقال) الاديب الفاضل الكامل فخر الترك أيدمر الجنوى من قصيدة مطولة

تقدمت أوائلها فى باب الروضات والبساتين

وسلافة باكرتها فى فتية * من مثلها خلق لهم وتخلق
شربت كثافتها الدهور فاترى * فى الكأس الا جذوة تتألق
يسعى بها ساق يهيج به الهوى * وترى سبيل العشق من لا يعشق
تتنادم الالحاظ منه على سنا * خد تكاد العين فيه تغرق
راق العيون غضاضة وغضارة * فهو الجديد ورق فهو معتق
ورنا كما لمع الحسام المستضـ * ـى ومشى كما اهتز القضيب المورق
وأطلنا فى فرعه وجبينه * ليل تالق فيه صبح مشرق
وكأن مقلته تردد لفظه * لتقولها لا كنها لا تنطق
واذا العيون تجمعت فى وجهه * فاعلم بأن قلوبنا تتفرق

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل كمال الدين على بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهاك وهات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والشباب مطاوع * والدهر سمح والحباب موات
قم فاصطبح من شمس كأسك واغتبق
بكواكب طلعت من الكاسات
صفراء صافية توقد بردها * فجعت للنيران فى الجنات
ينسل من قار الظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات
وتريك خيط الصبح مفتولا اذا * صبت من الراووق فى الكاسات
عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقات
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
يدرى منازل نيران كؤسه * ما بين منصرف وآخر آت

(وقال) الاديب الفاضل الأوحد أمين الدين جوبان القواس

اذا افتر جنح الليل عن مبسم الفجـ * ـر ولاح به ثغر من الانجم الزهر
وفاحت لنا من عابق الروض نكهة * رشفنا بها برد الرضاب من الخمر
وعهدى بوجه الارض مبتسما فلم * يغرغر منها الدمع فى مقل القدر
اذا أرجف الماء النسيم لوقته * كساه شعاع الشمس درعا من التبر

وبحر

وبحر الرياض الخضر بالزهر مزبد * كأنا به فى فلك مجلسنا نسير
ومن شهب الكاسات بالنجم نهتدى * اذا ظل سار العقل فى لجة السكر
نصون المحيا بالقناني وانما * نصون القناني بالمحيا وما ندر
ولما حكى الراووق فى العين شكله * وقد علق العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى
عجبت لها والراح تبكى به فلم * غدت بحباب الكأس باسمة الثغر
اذا ما أتانى كأسها غير مترع * تحققت عين الشمس فى هالة البدر
يناولنيها مخطف الخصر أهيف * فلله ذاك الاهيف المخطف الخصر
ينادمنا نظما ونثرا ولفظه * ومبسمه يغنى عن النظم والنثر
فلم يسقنى كأس المدامة دون أن * سقانى بعينيه كؤسا من الخمر
وناجوز ثم انثنى غصن بانة * وعنّ مها لما تبسم عن درر
وقال وفرط السكر يثنى لسانه * الى غير ما يرضى التقى وهو لا يدرى
ردوا من رضابى ما يعيض عن الطلى * اذا كان وجهى فيه مغنى عن الزهر
ومن كان لا تحوى ذراعاه مئزرى * فدون الذى تحوى أنامله خصرى

(وقال) الشيخ الامام الفاضل البارع صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى رحمه الله

أدار التبر فى كأس اللجين * رشا بالراح مخضوب اليدين
وطاف على الصحاب بكأس راح * فطافت مقلتاه باحمرين
رخيم من بنى الاتراك طفل * يجاذب خصره جيلى حنين
يبدل نطقه ضادا بدال * ويشرك عجمة قافا بغين
اذا يحلو المحيا والمحيا * شهدنا الجمع بين النيرين
يطوف على الرفاق من المحيا * ومن خمر الرضاب بمسكرين
وآخر من بنى الاعراب حفت * جيوش الحسن منه بعارضين
الى عينيه تنتسب المنايا * كما انتسب الرماح الى ردين
يلاحظ سوسن الخدين منه * فيبدلها الحيا بوردتين
ومجلسنا الانيق تضىء فيه * أوانى الراح من ورق وعين
فاطلقنا فم الابريق فيه * وبات الزق مغلول اليدين
وشمعنا شبيه سنان تبر * تركب فى قناة من لجين

وقهوتنا شبيه شواظ نار * توقد فى أكف الساقيين
اذا ملئ الزجاج بها وطارت * حواشى نورها فى المشرقين
عجبت لبدر كأس صار شمسا * يحف من السقاة بكوكبين

(وله)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال درعلى مهد من الذهب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
باكرتها فى رفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والادب
بكل متشح بالفضل مئتزر * كأن فى لفظه ضرب من الطرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تضىء فيه كؤس الراح كالشهب
بدلت عقلى صدا فاحين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من مبدء الطرب
بعث أتانا فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور ام من نفخة القضب
بروضة ظل فيها الظل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب
بكت عليه أساليب الحيا فغدا * خدلان يرفل فى أثوابه القشب
بسط من الروض قد حاكت مطارفها * يد الربيع وجادتها يد السحب

(وقال) الوأواء الدمشقى رحمة الله عليه

اسقيانى ذبيحة الماء فى الكأ * س وكفا عن شرب ما تسقيانى
اننى قد آمنت بالامس اذ مت * بأنى أموت بكرة ثانى
قهوة تطرد الهموم اذا ما * سكنت فى مواطن الاجزان
نثرت راحة المزاج عليها * حدقا ما تدور فى أجفان
فهى تجرى من اللطافة فى الار * واح مجرى الارواح فى الابدان
يتهادى بكأسها من هدايا * مظنى من ظرائف الاشجان
آنها الرايح الذى راحتا * بخضاب الكؤس مخضوبتان
عج بضحك الاقداح فى رهج القص * ف اذا ما بكت عليها القنانى
واسقنى القهوة التى تنبت الور * د اذا شئت فى خدود الغوانى
لا تدغ صدر المدام بأيدى المز * ج ما دغدغت صدور المثانى

وقال

(وقال) أبو الفتوح بن قلاقس رحمه الله

كم مقلة للشقيق الغض رمداء * انسانها سابح فى بحر دمع انداء
وكم ثغور اقاح فى مراشفها * رضاب طائفة بالرى وطفاء
فما اعتذارك من عذراء جامحة * لانت كما لامستها راحة الماء
نضت عليها حسام المزج فامتنعت * بلامة للحباب الجم حصدائى
أما ترى الصبح يخفى فى دجنته * كأنما هو ساقط بين أحشائى
والطير فى عذبات الدوح ساجعة * تطابق اللحن بين العود والناء
فى بالكأس كسرى تحى رمته * بروح راح سرت فى جسم سراء
وعذ بمعجز آيات المدامة من * نوافث السحر فى أجفان حوراء
فما الفصاحة الا ما تكرره * منازل الدن من ترجيع فأفاء
فاعكف على جلس اللذات مغتنما * فالدهر فى حربه تلوين حرباء

(قيل) أتى عبد الملك بن مروان بسكران فقال له ماذا شربت فقال

معتقة كانت قريش تعافها * فلما استحلوا قتل عثمان حلت

فقال مع من فقال

سقونى مع الشعرى بكأس روية * وأخرى مع الجوزاء لما استقلت

قال فما غنيت فقال

سقونى وقالوا لا تغن فلو سقوا * جبال حنين ما سقونى لغنت

فعفى عنه وأطلق سبيله ومن كلام الشيخ برهان الدين القيراطى
يوم أنيق وغيم دفيق * وروض اذا سلسل ماؤه المطلق تهلل وجهه الطليق * فاذا دعى الندامى فيه بالصبوح جاءت قينة فى يدها ابريق * واذا نحرت السقاة فيه دماء الرقاق صارت أيامهم كلها أيام تشريق * واذا خاط من الشرب ثياب سروره غار من أرجه المسك الفتيق (قلت) قوله أيام التشريق مأخوذ من قول أبى الحسن الجزار يفتخر

انى لمن معشر سفك الدما لهم دأب * وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

وقال برهان الدين القيراطى أيضا

زوج الماء براحك * وأجلها بين ملاحك

لاتعطل يوم لهو * من صبوح فى صباحك
واذا خفت افتضاحا * كل عيش فى افتضاحك
أوترى فيها جناحا * قم ودعنى من جناحك
وصل اليوم اغتباقا * من كؤس باصطباحك
صاح هذا وقت راحى * واقتراحى واقتراحك
فاطرح من لام جهلا * فى اطراحى والطراحك

وقال شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة هذه الابيات تحبب فى الحبيب وتقلب اكسير راحها الجين الزجاج الى الذهب قد امتزجت بالقلوب امتزاج الماء بالراح ولم يفتح بمثلها على صاحب مفتاح الافراح * كم رقصت على سماعها الاحبه ونقط الحبيب دينارها من خده وشامته بدينار بقيراط وحبه وقال الشيخ بدر الدين البشتكى أبقاه الله تعالى

أقول كلما والله نظرت الى هذه الابيات * والكلمات الجميلات * أكاد أسكر بلا راح * وأطير من الادب بلا جناح هذه عبارة الشيخ بدر الدين ومن خطه نقلت (قلت) ولو قال بدر الدين وأطير من الادب وأطير من الفرح لكان أحسن فتأمله وأنشد عن لفظه لنفسه سيدنا القاضى المفنن البارع صدر الدين على بن سيدنا ومولانا القاضى أمين الدين بن الآدمى سلمه الله تعالى ونقلتها من خطه

سجع القمرى فى الدوح وغرد * فحسبنا انّ فى الروضة معبد
والند فاض على زهر الربا * فسرت بين الندامى نفحة الند
انما الزهر ثغور فتحت * باسمات بجميل المزن تحمد
فاسقنى القهوة حتى انثنى * مثل غصن البان لما يتأود
من يدى ظبى عزيز أهيف * مخطف الخصر رقيق مايس القد
كامل الاوصاف لكن ثغره * ولما ريقه حلو مبرد
جامع الحسن لوصل مانع * طرفه الهندى قد بالغ فى الحد
ضيق العين اذا ماسمته * قبلة سل من اللحظ مهند
وحمى فاه بلحظ فاتر * فهو تركى على الثغر مجرد
ياله من عجب فى لحظه * سكر العشاق منه وهو عربد

لينت

لينت أعطافه الخمرة لى * فأعادت أسد الخليه أغيد
بنت كرم عشقوها زمنا * طال حتى أنه لم يحص بالعد
تسلب العقل من الرأس كما * سلبت قدما من الكرمة باليد
قل لساقينا اذا طاف بها * سحرا بين الندامى يتردد
أترع الكأس واسرع واغتنم * جمع شملى واخشش أن يتبدد
ماترى الانجم كانت زمرا * لم يدع ذا الصبح منها غير فرقد
فهى مثلى حين غابت سادتى * عن عيانى بعد جمع صرت مفرد

(قلت) واذ ذكرنا مدحها أيضا وأوسعنا المجال فى ذلك فلا بأس بايراد نبذة من ذمها فى الحديث المرفوع جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر وفى كتاب المبهج الخمر مصباح السرور ولكنه مفتاح الشرور (وقيل) لبعضهم تركت النبيذ وهو رسول السرور الى القلب فقال نعم ولكنه بئس الرسول يبعث الى القلب فيذهب الى الرأس وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس بيده يقول لها أما المال فتتلفين وأما المروءة فتخلفين وأما الدين فتفسدين فيسكر ساعة ثم يقول أما النفس فتسخين وأما القلب فتشجعين وأما الهم فتطردين أفتراك متى تقتلين ويشربها (قيل) لاعرابى لم لا تشرب النبيذ قال لا أشرب ما يشرب عقلى (وقيل) لبعضهم لم لا تشرب فقال عقلى لا أقدر على جمعه فكيف أفرقه وما أظرف من قال شعرا

تقول أتوابى لما رأت * شيبى وتكعيبى على صدرى
بالله ياشيخ أما تستحى * الى متى تصبغنى بخمرى

وقال آخر

قد هجرت الراح حتى * ليس لى فيها نصيب
وعلى الراووق منى * طول ماعشت صليب

(وقيل) مهر الخمر العقل والدين والدرهم سئل بعض الشيوخ عن الخمر فقال تضييع مال وعقل وزيادة بول وجنون واذ قد ذكرنا الخمر ومنافعها ومضارها ومدحها وذمها فلا بأس بايراد نبذة من المفرحات المركبة نقلتها من كتاب مفرح النفس تأليف الحكيم الفاضل الرئيس بدر الدين مظفر بن القاضى مجد الدين عبد الرحمن قاضى بعلبك وولى رياسة الطب بدمشق (وتوفى سنة تسعمائة

وخمسة وسبعين بدمشق) رحمة الله عليه (صفة) مفرح حار للملوك والكبر الاوائل كان الخلفاء المتقدمون من بني العباس وغيرهم يستعملونه وله منافع كثيرة يطول شرحها والحاصل انه يبرئ جميع الامراض السوداوية عاجلا ويفرح تفريحا مفرطا حسنا * خولنجان وزراوند مدحرج وسنبل وسلخة وجعدة وزنجبيل وقاقلة كبار وصغار ودار صيني الصين وقرنفل وزرنب وذرساذ من كل واحد ثلاثة دراهم قفاح الاذخر وغاريقون وحاشا وترنجبين وقسط حلو وسادج وبسفانج محكوك وجاماما من كل واحد خمسة دراهم وعرق ذهب وياقوت أحمر رماني وزمرذ من كل واحد مثقال وزعفران مثقالان يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل مادي ويوضع في اناء من صيني أو فضة ويرفع ويستعمل الشربة منه مثقالان بشراب تفاح شامي وماء لسان ثور نافع ان شاء الله تعالى (صفة) مفرح حار للمتوسطين من الناس سعد خمسة دراهم زرورد منزوع الاقماع عشرة دراهم قرنفل وسنبل الطيب ومصطكى وأسارون وزرنب وزعفران من كل واحد درهمان بسباسة وقاقلة كبار وصغار وجوزبو من كل واحد درهم عود ثلاثة يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل منزوع الرغوة ويرفع ويستعمل الشربة وزن مثقال بشراب تفاح حلو وماء لسان ثور نافع ان شاء الله تعالى

مفرح حار للفقراء وهو شراب الابريسم وله منافع كثيرة منها التفريح المفرط وقوة الاحشاء خصوصا الكبد وينفع من جميع الامراض الباردة ويقوى الانعاظ يؤخذ ابريسم خام ينقع في الماء أياما عشرة في قدر من حديد فان لم يتيسر من حديد فينقع في الماء المطفى فيه الحديد دفعات كثيرة ويغلى غليانا جيدا ويصفى ويضاف اليه بوزن الماء سكرا وعسلا ويعقد ويرفع ويطيب بشئ من زعفران وخولنجان ومصطكى روح ويستعمل نافع ان شاء الله تعالى (صفة) مفرح بارد للملوك والكبراء طباشير عشرة دراهم لسان ثور خمسة دراهم زرورد منزوع الاقماع أربعة دراهم طين أرمني سبعة دراهم شيرا ملج خمسة عشر درهما خشب صندل أبيض وأحمر وأصفر من كل واحد درهمان زعفران نصف درهم عرق ذهب جيد وفضة من كل واحد مثقال ابريسم محرق على ما وصفنا درهم يدق الجميع ناعما وينخل ويعجن بجلاب قد عقد من

عسل وسكر بماء الورد وماء التفاح وماء السفرجل وماء الرمان ويحرك ويرفع الشربة ثلاثة دراهم بشراب حماض وتفاح شامي وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح بارد للمتوسطين من الناس يؤخذ اهليلج كابلي وأملج من كل واحد خمسة دراهم وزرورد منزوع القماع وخشب صندل أبيض وأصفر وأحمر من كل واحد ثلاثة دراهم وورق فضة مثقالان واؤلؤ كبار نقي البياض غير مثقوب مثقال يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل الاهليلج الكابلي الشربة مثقالان بشراب حماض وتفاح شامي بماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح معتدل للمتوسطين من الناس بهمنين أحمر وأبيض من كل واحد خمسة دراهم عسل اهليلج كابلي منزوع القوة عشرون درهما شاهترج ولسان ثور وترنجان من كل واحد عشرة دراهم طباشير وكسفيرة يابسة وطين مختوم من كل واحد ثلاثة دراهم ابريسم خام محرق على ما وصفنا قشر الفستق الخارج من كل واحد درهمان بسد واؤلؤ كبار غير مثقوب وكهربا من كل واحد درهم عود هندي خام نصف مثقال يدق الجميع نعما وينخل ويعجن بجلاب قد عقد من سكر وعسل ويرفع في اناء من صيني أو فضة الشربة مثقالان بشراب حماض وتفاح شامي وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف وماء نيلوفر نافع ان شاء الله تعالى (نادرة) دخل رجل على بعض أصحابه يعوده من مرض بالقلب وكان له غلام يدعى ياقوت شديد الافتتان به وكان متهما به فقال له حاشاك يا سيدنا تشكو وجع القلب وعندك المفرح الياقوتي

(الباب التاسع عشر في الصاحب والنديم)

قال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من الاخوان فان ربكم حي كريم يستحي أن يعذب عبده بين اخوانه وقال علي رضي الله عنه أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منهم من ضيع ما ظفر به منهم وقال عمر رضي الله عنه ثلاث يثبت لك الود في صدر أخيك أن تبتدأه بالسلام وأن توسع له للمجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه وقال الخليل بن أحمد الرجل بلا صديق كاليمين بلا

شمال وقال رجل لابن المقفع أنا بالصديق آنس من الاخ فقال صدقت الصديق نسيب الروح والاخ نسيب الجسم وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب (اعرابى) المودة بين السلف ميراث بين الخلف (اعرابى) دع مصارعة أخيك وان حث التراب فى فيك اعتذر رجل الى صاحب من تعذر اللقاء فقال أنت فى أوسع عذر عندى تلقى وفى أضيق عذر عن شوقى (المأمون) الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء لا يحتاج اليه الا فى الاحايين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى الله وأقربكم منى مجالسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه الغريب من ليس له حبيب وقال أيضا لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس بأخ من ضيعت حقه وقال علقمة بن لبيد العطاردى لابنه اذا نازعتك نفسك صحبة الرجال فاصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان نزلت بك مؤونة مانك اصحب من اذا مددت يدك بفضل مدها وان بدت بك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها أصحب من يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه قال لابى داود السجستانى صاحب له أستمد من محبرتك قال لا فاحترك الرجل حياء فقال أعلمت انه من شرع فى مال أخيه بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان قرع باب بعض السلف صديق له بالليل فنهض اليه وبيده كيس وسيف وهو يسوق جارية له ففتح الباب وقال قسمت أمرك بين نائبة فهذا المال وعدو فهذا السيف وأيمة فهذه الجارية (كان) على بن الجهم يمدح أبا تمام ويطيب فيه فقيل له لو كان أخاك مازدته على هذا المدح فقال ان لم يكن أخا بالنسب فانه أخ بالادب (مر) بخالد ابن صفوان رجلان فعرج اليه أحدهما وطواه الآخر فقال عرج علينا هذا لفضله وطوانا ذاك لبغيه (الاعمش) أدركت أقواما لا يلقى الرجل أخاه الشهر والشهرين فاذا لقيه لم يزده على كيف أنت وكيف حالك ولو سأله شطر ماله أعطاه ثم أدركت آخرين اذا لم يلق الرجل منهم أخاه يوما سأله حتى عن الدجاجة فى البيت ولو سأله حبة من ماله منعه وأحسن من قال من رضى بحبه من

لاخير فيه لم يرض بصحبة من فيه خير (كان) يقال ان الكيس الذى لا يمل مناجات الصديق (الهند) من كتم الاحبة نصحه والاطباء علته والاخوان بثه فقد خان نفسه كان الخليل ابراهيم صلوات الله عليه اذا ذكر زلته غشى عليه وسمع اضطرابه من ميل فقال له جبريل ياخليل الله الجليل يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله قال ياجبريل كلما ذكرت الزلة نسيت الخلة قال العتبى لقاء الاخوان نزهة القلوب قال سليمان بن وهب غزل المودة أرق من غزل الصبابة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق وقال يونس النحوى يستحسن الصبر عن كل واحد الا عن الصديق وقال ابن المعتز اذا قدمت المودة شبهت بالقرابة وقال عمرو بن العاص من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعنى فى قضاء الحقوق (عمرو) ابن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وكان بعضم يقول اللهم احرسنى من أصدقائى فاذا قيل له فى ذلك قال انى أقدر أحترس من أعدائى ولا أقدر على الاحتراس من أصدقائى وقال ابن الرومى

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

واعلم انه لا يتناهى فى حسدك الا الاصدقاء والندماء فانهم متى رأوك بحال وهم بأنقص منه انغرس فى قلوبهم حسدك فلو خولتهم أضعاف نعمتك لم يزالوا يحسدونك حتى تفتقر ويستغنون والحسد داء الابد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال معاوية بن قرة نظرت فى المودة والاخاء فلم أجد أثبت مودة من ذى أصل قال أبو الحسن بن جبير الاندلسى البلنسى

تغير اخوان هذا الزما * ن فكل خليل عراه الخلل
وكانوا قديما على صحة * فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

ولله در ناصر الدين بن النقيب

فأين الصديق الصدوق الذى * مودته من قرى صافيه
فمالى صديق سوى درهمى * ولالى حبيب سوى العافيه

وقال أبو العلاء المعرى

جربت دهرى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرء غرضا

وقال القاضى ناصح الدين الارجانى والثانى يقرأ معكوسا وهو غاية

أحب المرء ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم
مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال صلاح الدين الصفدى

عذيرى فى الليالى من صديق * على مالى وعرضى قد تسلط
تأول اذ تأخر عنه خيرى * فهل ألقاه يوما قد توسط

وقال الشريف العقيلى وأجاد

الذ مودات الرجال مذاقة * مودة من ان ضيق الدهر وسعا
فلا يلبس الود الذى هو سادجا * اذا لم يكن بالمكرمات مرصعا

وقال مخارق أنشدت المأمون قول أبى العتاهية (مولد أبى العتاهية سنة ثلاثين ومائة وتوفى سنة احدى عشر ومائتين)

وانى لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

قال لى أعد فأعدت سبع مرات فقال لى يا مخارق خذ منى الخلافة واعطنى هذا الصاحب لله در أبى العتاهية ما أحسن ما قال وأحسن من قال

بروحى من صاحبته فوجدته * أرق من الشكوى وأصفى من الدمع
يوافقنى فى الهزل والجد طائعا * فينظر من عينى ويسمع من سمعى

وقال الجاحظ كان أبو دؤاد اذا رأى صديقه مع عدوه قلا صديقه وقال ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال ابن عائشة قال هشام بن عبد الملك ما بقى على شئ من لذات الدنيا الا وقد نلته وما اشتهى الا شيأ واحدا أخا أرفع مؤنه التحفظ بينى وبينه وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه صحبة العاقل فى المفاوز والاسفار خير من صحبة الجاهل بين الرياض والانهار ولله در القاضى الفاضل

وما برح الاخوان اخوان الزمان فاذا أحسن كانوا من التابعين له باحسان واذا أساء كانوا من المهاجرين لا من الهجرة ولكن من الهجران وقال جعفر بن محمد لولده يا بنى من غضب عليك من اخوانك ثلاث مرات ولم يقل فيك سوءا فاتخذه خليلا ويجب على الصديق اذا رأى صديقه معسرا وهو موسر ان يواسيه ببعض ماله فقد حكى عن بعض الحكماء انه رأى رجلين لا يفترقان فسأل

فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ماهما بصديقين لانى أرى أحدهما موسرا والآخر معسرا ولو كانا صديقين لتواسيا وقال المأمون لندمائه أفيكم من يقدر يدخل يده فى كم صديقه فيأخذ منه نفقة يومه فقالوا لا فقال ما أنتم بأصدقاء والصديق الصديق معدوم وأما من تصادقه مجاز فيمثل بقول القائل

ارض من المرء فى مودته * بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لا يجد أحدا * تصح منهم له سرائره

(الهنداباك) والاغترار بمصادقة العدو فانهما أوجبها الا مروءة فع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فاذا رفع عن النار عاد باردا وصفة الصديق أن يعادى من تعاديه ويهوى من تهوى وقال بعض الحكماء صديق عدوى عدوى وقال الشاعر

تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب
اذا نحن أظهرنا لقوم عداوة * ولان لهم منكم جناح وجانب
فلا أنتم منا ولا نحن منكم * اذا أنتم سالمتم من نحارب
وليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

واعلم ان الخصال المحمودة والكمال لا يوجدان فى شخص أبدا ولا بد من عيب يشوبه فان اخترت صديقا ورضيته وكاشفته فبدت منه هفوة أو زلة فاغفرها فالسيف ينبو والجواد يكبو واذا صفى الصديق فلا تناقشه فى دينه ولا مذهبه فان ذلك يوجب القطيعة والعداوة وابرمعه فى هواه من دينه اذا جرى هو فى هواك من صداقتك قال أبو العلاء المعرى رحمة الله عليه

اذا ما الخل أصفانى وداده * فسقيا فى الحياة له ورعيا
ليقرأ ان أراد كتاب موسى * ويقرأ ان أراد كتاب شعيا

وأصلح ما صادقت حكيما أو أديبا عاقلا عالما فان عداوة هذا خير من صداقة الجاهل قال بعض الحكماء الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره ما يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومتى تغير الصديق عليك فاستنبط ذلك بقريحة حس منك كما قال الشاعر

واذا استبجمت مودة خل * فاعتبرها من أعين الغلمان

ان عين الغلام تنبيك عما * في ضمير المولى من الكتمان

(القول على النديم) النديم فعيل بمعنى مفاعل منادم والندمان أكثر منادمة وملازمة من النديم لان زيادة اللفظ توجب زيادة المعنى ويقال رجل رحيم ولا يقال رحمان لانه ثناء المبالغة وفي الدعا يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته في الدنيا عمت الكافر والمؤمن والفاسق والناسك ففي الآخرة يخص برحمته المؤمنين والمسلمين دونهم واشتقاق اسم النديم من المنادمة كأنه ينادم على مفارقته لوجود الراحة به والانس اليه (وينبغي) له أن يكون حسن المبرة بنيل الهمة مستوى الذيول واطراف الاكمام نظيف المخفي من الملبس كالقلنسوة والسراويل والتكة والجورب ومنديل الكم فاذا كملت فيه هذه الخصال كان محبوبا الى القلوب سهلا على الارواح واذا لم يكمل كان بالضد مستثقلا معيبا في العيون بغيضا على القلوب كما قيل في أبي يعلى الكاتب القرشي

نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استثقلت على أقوامي

لا يليق الغناء بوجه أبي يعلى * ولا نور بهجة الاسلامي

دنس الثوب والعمامة والبرذو * ن والنعل والقفا والغلامي

(وينبغي) له اذا جلس للشراب مع الملك أن يجلس في المرتبة التي لا يتجاوزها الى ما هو أعلى منها عنده ولا يحط نفسه عنها ولا يكثر الاتكاء بين يديه وليكن منتصب الجلوس خفيف الوطأة ان قام قام لقيامه وليحذر التبسيط والتمديد والتمطي والتثاؤب والتنخع والبصاق وتفريك اليدين وفرقعة الاصابع واللعب بالخاتم والعبث باللحية والعمامة ولا يكون من شأنه التعزية والتهنئة ولا التشميت عند العطسة ولا الاسراع بالتحية ولا العبث بالفاكهة والرياحين والازهار ولا التناول للشمامات ولا الاكثار من التنقل بعد الشرب ولا يرمي ثفل ما يمتصه بحيث يرى ولا يعض الفاكهة نهشا بل يقطع منها حاجته بالسكين قطعا ولا يكثر شم الريحان ولا ادارة اليد فيه ولا يقطع رؤسه ولا ينفضه عند أخذه ولا يفركه ولا يلتقطه بعد مضغه وليكن شربه مصا وكرعه جرعا ولا يشرب من الشراب ما لا يطيق فيزول عقله وليصب لنفسه ما يعلم أنه يقوم به ولا يرفع القدح قبل الملك ولا يصب فيه نبيذا من قبل صبه أو معه ولا يقترح صوتا ولا يظهر الطرب ولا يوقع على تلحين ولا يبدي منه هزلا ان ناوله الساقي قدحا

أخذه

أخذه بلا ازدياد ولا نقصان ولا مماسكة ولا مماراة فاذا أحس بنفسه سكرا أسرع القيام والانصراف وهو يملك نفسه ولا يلمس كف غلام عند مناولة كأس ولا يكثر ملاحظته عند معاطاته الراح ولا يشير اليه ولا يغمزه ويستحب منه أن يكون مفتنا فيجرى مجرى أبان اللاحقى بما وصف به نفسه للفضل بن يحيى البرمكى وذلك انه ورد الى بابه ليعرض نفسه وأدبه عليه فأتى الى محمد بن زيدان الثقفى فقال له ان رأيت أصلحك الله أن تعرض قصتى على الامير فقال وما فيها قال أعرض نفسى وأدبى عليه فقال عند الامير مثلك مائة ألف فأتى منصور بن هشام فقال له تعرض رقعتى على الامير فقال وما فيها فقال له أعرض نفسى وأدبى عليه فقال فهل لك فيمن دون الامير ليشاطرك الضياع والاموال والرقيق ماخلا الاهل والولد قال قد نازعتنى نفسى الى شئ لابد لى من أن أعطيها شهوتها منه فأخذ قصته فأدخلها الى الفضل بن يحيى فاذا فيها

أنا من بغية الامير وكنز * من كنوز الامير ذو ارباح
كاتب حاسب أديب خطيب * ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الر * يشة مما يكون تحت الجناح
لى فى النحو فطنة واتقاد * أنا فيه قلادة بوشاح
لو رمى بى الامير أصلحه الله * رماحا حطمت سمر الرماح
غير ماعاجز ولا مسكين * طوع أمر الامير أسى الجراح
لست بالضخم يا أمير ولا القدم ولا المدحرج الدحداح
لحيمة سبطة ووجه مليح * واتقاد كشعلة المصباح
وكثير الحديث من ملح النا * س بصير بخافيات ملاح
كم وكم قد نبأت عندى حديثا * هو عند الامير كالتفاح
فبمثلى تخلو الملوك وتلهوا * وماحى للمشكل القداح
أيمن الناس طائرا يوم صيد * فى غد وغدوة أو رواح
أعلم الناس بالجوارح والخيـ * ـل وبالخرد الحسان الملاح
كل هذا جمعت والحمد لله * على أننى ظريف المزاح
لست بالناسك المشمر كيـ * ـه ولا الفاتك الخليع الوقاح
لو دعانى الامير عاين منى * سمريا كالبلبل الصياح

(قال) فدعى به فلما دخل أتى كتاب من أرمينية فرماه اليه وقال له أجب عنه فأجاب من ساعته فى عرصته فأمر له بمائة ألف درهم وكان أول داخل وآخر خارج واذا ركب فى الموكب فركابه مع ركاب الفضل (ومن) صفات النديم أن لا يكون مجوجا ولا حسودا ولا مماريا ولا طامح العين ولا طايش اللب ويكون حمولا موا فقا لك فى علمك ومذهبك ودينك كتوما للسر ويكون أديبا عاقلا أو حكيما فاضلا ليس على طبيعتك منافرة طبيعية ولا عرضية بشر اذا حدثته وبشر اذا حدثك كلما ازداد سكره ازداد تواضعه لك ومودته وفضله فالخمرة تحرك ما يوجد من عقل وجهل وتبرزه فى الانسان من القوة الى الفعل وهى محك العقول (صافح) أبو العميثل عبد الله بن ظاهر عند قدومه من سفره فقبل يده فقال عبد الله خدش ثار بك كفى فقال شوك القنفذ لا يضر بتربن الاسد فتبسم عبد الله وقال كيف كنت بعدى قال اليك مشتاقا وعلى الزمان عاتبا ومن الناس متوحشا أما الشوق اليك فلفضلك وأما العتب على الزمان فلمنعه منك وأما الاستيحاش من الناس فلرضاهم بعدك فاحتبسه فلما حضر الشراب سقاه بيده وقال

نادمت حرا كأن البدر غرته * معظما سيدا قد أحرز المهلا
فعلمنى برحيق الراح راحته * فت سكرا فشكر اللذى فعلا

(بينا) أبو العباس السفاح يحدث أبا بكر الهذلى فعصفت الريح فأذرت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلى ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلى فقال ان الله تعالى يقول ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما لى قلب واحد فلما عمره السرور بقائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على البيضاء ما أحسست بها ولا وجدت لها فقال السفاح لئن بقيت لارفعن منك ضبعا لا يطوف به السماع ولا ينحط عليه العقبان ومن (الآداب) اللطيفة ما يحكى عن ابراهيم بن المهدى قال كنت عند الرشيد فأتاه رسول معه أطباق عليها مناديل ورقعة فأخذ يقرأ الرقعة ويقول وصلة الله وبره فقلت يا أمير المؤمنين من هذا الذى أطنبت فى شكره لشركك فى جميل ذكره فقال عبد الملك بن صالح ثم كشف عن الاطباق فاذا هى فواكه فقلت يا أمير المؤمنين ما يستحق هذا الوصف الا أن يكون فى

الرقعة

الرقعة مالا تعلمه فرمى بها الى فاذا فيها دخلت يا أمير المؤمنين الى بستان لى قد غمرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فحملتها فى أطباق قضبان ووجهت بها الى أمير المؤمنين ليصل الى من بركة دعائه مثل ما وصل الى من نوافل بره فقلت وما فى هذا الكلام ما يستحق الدعاء فقال أوما ترى كنى بالقضبان عن الخيزران وهى اسم امنا (وقال) الشعبى أخطأت عند عبد الملك بن مروان أربعا وهى حدثنى بحديث فاستعدته منه فقال أما علمت أنه لا يستعاد أمير المؤمنين وقلت حين أذن لى أنا الشعبى يا أمير المؤمنين فقال ما أدخلناك حتى عرفناك وكنيت عنده رجلا فقال أما انه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين وسألته أن يكتبنى حديثا فقال انا نكتب ولا نكتب (ولما) كان مجلس الشراب مؤهلا للاستكثار من اللذات والتقلب فى المسرات كان الاولى به أن يجمع من الندماء من فيه من الحذاق بالغناء ومن يكون حديثه يطرب سامعيه وملحه أحسن موقعا من الاغانى المعجبة فى قلوب منادميه كما وصفه بعض الشعراء فقال

حديث يشرب له الغوانى * ويأخذ كل سمع باستماعى

فيكون للحديث نوبة وللغناء أخرى (وحكى) عن بشار أنه قال لا تجعلوا مجالسكم حديثا كله ولا غناء كله ولا هزل كله ولا جد كله ولكن تنقلا فان العيش خلس (واعلم) أن فى النديم والخمرة لذات شتى فلذة الخمر زوال الهموم والغموم والافكار ولذة النديم المحادثة قال الشاعر

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا عدوا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(وأما) أوساط الناس فيجب أن لا يستكثر من الندماء ويقتصر على القليل فان الكثير سبب اذهاب المال ووجود العداوة وفقدان المروة وتعب القلب والجسم ولا يجب أن تصطفى نديما حتى تغضبه فى الصحو فان وجدته حولا مطاوعا قبولا لما تأمره به يصفيك وداده حاضرا وغائبا ساعدك فى الشدائد اذا وقعت فيها فاعتمد عليه فقلما تجد هذا النديم وقد قال الشاعر

اذا كنت مختارا لنفسك صاحبا * فمن قبل ان تبدئه بالود أغضبه
فان كان فى حال التعدى راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(قال) بعض الظرفاء شرط المنادمة قلة الخلاف * والمعاملة بالانصاف

والمسامحة بالشراب * والتغافل عن الجواب * وادمان الرضى * والطراح ماقضى واسقاط التحيات * واجتناب افتراح الاصوات * وأكل ماحضر * واحضار ماتيسر * وستر العيب * ولقد أحسن من قال

لاخير فى الشرب الامع أخا ثقة * ان سرغنى وان غنيته طربا
يعطيك صحبا اذا غنيته واذا * شربت حى وان حييته شربا
عف اللسان عفيف الفرج تحمده * فى كل حال اذا ثرى وان تربا
فاشدد يديك عليه ان ظفرت به * وأكثر مودته لاتكثر الرهبا

(كان) ابراهيم بن المهدى يقول لذة العيش فى ثلاث منادمة الاحباب ومعاقرة الشراب ومذاكرة الآداب (ويروى) ان أول من جعل لندمائه أمارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أراد ذلك كسرى وهو انه يمد رجله فيعرفون أنه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك فكان فيروز الاصغر يدلك عينيه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان فى الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك يلقى المروحة من يده وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما أمارته فقال اذا قلت ياغلام هات الطعام والناس يختلفون فى الشرب فمنهم من يرى كثرة الندماء ومنهم من يرى الانفراد وممن رأى هذا الرأى جماعة من أهل الادب قديما وحديثا ولهم فيه أشعار وأخبار ومنهم من رأى مطالعة الكتب عليها واعمال الفكرة فى تصنيف العلوم والآداب كما حكى عن الشيخ الرئيس ابن سينا انه قال كنت أستعين على مصنفات علومى باستعمال اليسير من الخمر المصلوح من الماء ومنهم الفارابى ودليل ذلك قوله شعرا

لما رأيت الزمان تنكسا * وليس فى العشرة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزمت بيتى وصنت نفسا * لها عن اللذة امتناع
أشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتى شعاع
لى من قراريرها ندامى * ومن قراقيرها سماع
واجتنى من حديث قوم * قد اقفرت منهم البقاع

(قال) بعضهم رأيت أعرابيا جالسا بالفلات تحت ظل شجرة ومعه ركوة وهو يشرب قدحا ويصب فى أصل الشجرة قدحا فقلت له ماهذا فقال هو نديم

لا

لا يعربد على يلحقني بظله ويحمل عني كله (وقال) بعضهم دخلت على بعض الرؤساء فلقيته يشرب وبين يديه كلب صيد وهو يشرب قدحا ويصب قدحا بين يدى الكلب ومهما أكل طعاما أو نقل رمى الى الكلب منه فقلت له أتنادم كلبا فقال نعم يكف عني أذاه ويحرسني من أذى سواه يشكر قليلي ويحفظ مبيتي ومقيلي وأنشد شعرا

وأشرب وحدى من كراهتي الاذى * مخافة شر أو سباب لئيم

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلي وأجاد

اذا لم أجد للراح خلا موافيا * فلي بي أنس كامل حين أشرب
لساني يغنيني وفكري منادمي * وكفاي تسقيني وقلبي يطرب

ومما يجب على ذوى السيادة والمروءة أن يسامحوا نديمهم اذا وقعت منه هفوة أو غفلة (وما أحسن قول خالد اليشكري)

ولست بلاح لي نديما بزلة * ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عزلت بجنبي قول خلي وصاحبي * ونحن على صهباء طيبة النشر
فلما تمادى قلت خذها غريقة * فانك من قوم سجاياتهم زهر
فما زلت أسقيه وأشرب مثلما * سقيت أخي حتى بدا وضح الفجر
وخصر يعا للجبين موسدا * فوسدته واخترت حلمي على الهجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه * فأغرق من شتمي وقال ولم يدر
وزال لسان كان اذ كان صاحيا * يقلبه في كل فن من الشعر

(وقال أبو نواس رحمة الله عليه)

ولست لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه
تناولها والا لم أذقها * فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكني آخذ الكأس عنه * وأصرفها بعبسة حاجبيه
وان رام الوساد لنوم سكر * دفعت وسادتي أيضا اليه
وهذا حيث له وانى * أبر له من والديه

(ولله در الصاحب بن عباد) قد حملت أوزار السكر على ظهور الخمر

(وتلطف من قال) وطويت بساط الشراب على ما فيه من خطأ وصواب

(وقال أيضا) تعلم في مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم

وعاشره بأخلاقى فانى * وحقك عبد رق للنديم
أعاطيه أحاديثى وكأسى * فيسكر بالحديث وبالقديم

(وقال ابن المعتز)

وندامای فی شباب وحسن * أتلفت مالهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر ومأساه كلام
وغناء يستجهل الراح بالرا * ح كما ناح فی الغصون الحمام
فكأن السقاة بين الندامى * الفات بين السطور قيام

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله)

بروحی ندیم يشهد العقل أنه * قضى العمر باللذات وهو خبير
تذكر مزج الكاس عند وفاته * فأوصى لها بالثلث وهو كثير

وأنشدنى من لفظه لنفسه أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمة فيها منای فجذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

(كتب) الى الحسن بن وهب صديق له من أهل الادب فصلا من كتاب قال فيه وقد قسمك الله بين طرفى وقلبى ففى مشهدك أنس قلبى برويه طرفى وفى بعدك لهو طرفه يذكر قلبى (فأجابه الرجل) فهمت كتابك الذى أخبرت فيه بما أخبرت فسيان عندك على هذا رأيتنى أم لم ترنى اذ كان بعضك يؤنس بعضا وحضور أعضائك تنوب لك عن حضورى لكننى أراك فيخشع قلبى وأغيب عنك فيدمع طرفى فسيان بين من سلا أبدا ومن حزن دهره (سئل) اسحق الموصلى عن عدد الندماء فقال واحدهم واثنان غم وثلاثة نظام وأربعة تمام وخمسة مجلس وستة زعام وسبعة موكب وثمانية سوق وتسعة جيش وعشرة نعوذ بالله من شرهم وضرهم (قال أبو العينا) رب وحشة أنفع من أنيس ووحدة أمتع من جليس (وقال الجاحظ)

أرى للكاس حقا لا أراه * لغير الكاس الا للنديم
هو القطب الذى دارت عليه * رحا اللذات فى الزمن القديم

(وكتب المرحوم فتح الدين محمد بن الشهيد الى القاضى أمين الدين ابن الانفى المالكى) تغمده الله برحمته وكان قد تأخر عن زيارته

تمام

حتام فى سجن الصدود * سرور عبدك يحتبس
معنى الجفاء فهمته * قد زدت فى المعنى قبس
وأغث بأنفاس الرضا * نفسى فما فيها نفس
يا مالكى بأبيك زر * نروى الزيارة عن أنس
أقرأ ألم نشرح فكم * نلقاك تقرأ فى عبس
العمر أنفس أن تعيش نهارهمك كالغلس
ان الحياة لغفوة * والعيش طيف يختلس

(الباب العشرون فى مسامرة أهل النعيم)

(الليلة) الاولى - حكى أنه كان بمدينة بغداد رجل من أولاد النعيم ورث من أبيه مالا جزيلا وكان يتعشق قينة فأنفق عليها شيأ ثم اشترها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها ماله وهو فى أكل وشرب الى أن لم يبق له شئ وأفلس فطلب معاشا يعيش فلم يقدر على شئ وكان الفتى فى أيام سعادته يحضر القينة فى صناعة الغناء لتزداد فى صناعتها فبلغت فى الصناعة الغاية التى لم يدركها أحد سواها وكان الفتى قد علم من صناعة الغناء مثلها وأوفى فاستشار بعض اخوانه ومعارفه فقال له ما أعرف لك معاشا اصلح من أن تغنى أنت والجارية فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب وأنت كل يوم طيب العيش فأنف من ذلك وعاد اليها فأخبرها بما أشير به عليه وأعلمها أن الموت أحب اليه من ذلك فصبرت معه على الشدة ثم قالت لقد رأيت لك رأيا قال ما هو قالت تبيعنى فانه يحصل لك من ثمنى ما ان تعيش فيه عيشا طيبا وتتخلص من هذه الشدة وأخلص أنا وأحصل لى نعمة فان مثلى لا يشتريه الا ذو نعمة وبه أكون السبب فى رجوعى اليك قال فحملها الى السوق فكان أول من أعرضها عليه فتى هاشميا من أهل البصرة ظريف أديب كريم النفس واسع الحال فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عينا فقال الرجل حين لفظت بالبيع وقبضت المال ندمت غاية الندامة وبكيت أشد بكاء وصارت الجارية فى أقبح من صورتى وجهدت فى الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيل وأخذت الدنانير فى الكيس ومضيت لا درى الى أين أذهب لان بيتى موحش منها وورد على من البكا واللطم والنحيب شئ لا أصفه قال

فدخلت بعض المساجد وجلست أبكى فيه وأفكر فيما نابنى وفيما عملت بنفسى فحملتنى عينى وتركت الكيس تحت رأسى كالمخدة ونمت فلم أشعر الا بانسان قد جذبه من تحت رأسى ومضى يهرول فانتبهت فزعا فطلبت الكيس فوجدته قد أخذ فقمت أريد أجرى وراءه واذا برجلى مربوطة فى حبل والحبل فى وتد فوقعت على وجهى والى حين أن أخلص رجلى هرب ذلك الرجل عنى فبقيت ألطم على وجهى ورأسى وقلت فارقت من أحب وذهب المال فكيف حالى فزادنى الامر الى أن جئت الى الدجلة ووضعت ثوبى على وجهى ورميت روحى فى الدجلة فقطن الحاضرون بى وأن ذلك لغيظ نالنى فرموا أرواحهم خلفى فشالونى وسألونى عن أمرى فأخبرتهم خبرى فصرت بين راحم ومستجهل الى أن جاءنى شيخ منهم فأخذ بغصتى وقال لى ياهذا ذهب مالك وتذهب نفسك وتكون من أهل النار فثق بالله العظيم قم معى فأرنى بيتك فما فارقنى حملنى الى منزلى وقعد عندى حتى رأى السكون فى فشكرته وانصرف فكدت أقتل نفسى فذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتى هاربا الى بعض أصدقائى القدماء فأخبرته بخبرى وماجرى على فبكى لى رحمة وأعطانى خمسين دينارا وقال اقبل رأيى واخرج الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى حيث تجد قلبك تشاغل وأنت من أولاد الكتاب وخطك جيد وأدبك بارع فاقصد من شئت من العمال فاطرح نفسك عليه فلعله أن يستخلفك فى شئ تنتفع به وتعيش معه ولعل الله عزوجل أن يجمع عليك جاريتك فعملت على هذا وجئت الى (الكتبيين) وقد قوى حالى وزال عنى بعض الهم واعتمدت على أننى أقصد واسط لانه كان لى بها أقارب فاذا زلال مقدم وجراية كبيرة وقماش فاخر ينقل الى الزلال فسألتهم أن يحملونى الى واسط فقالوا هذا الزلال لرجل هاشمى ولا يمكننا حملك على هذه الصورة فسألتهم أن يحملونى وأرغبتهم فى الاجرة فقالوا الى اذا كان ولابد اخلع هذه الثياب التى عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت من ثياب الملاحين وجئت الى الزلال بعد أن اشتريت خبزا وما يصلح للسفر وجلست معهم فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتى بعينها ومعها جاريتان يخدمانها فسهل على ما كان بى وقلت أراها واسمع غناءها من هنا الى البصرة واعتقدت أن أجعل قصدى البصرة وطمعت أن أداخل مولاها وأصير من ندمائه

وقلت

وقلت لعلها لا تخلينى من المراد وكنت واثقا بها فلم يكن أسرع من أن جاء الفتى الهاشمى راكبا ومعه عدة ركبان فنزلوا فى الزلال وانحدروا فلما صار عند كلوادى أخرج الطعام وأكل والجارية وأكل الباقون على وسط الزلال وأطعم الملاحين ثم أقبل على الجارية فقال لها كم هذه المدافعة عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ليس أنت أول من فارق مولا كان له محبا فعلمت ما كان عندها من أمرى ثم ضربت ستارة فى جانب الزلال واستدعى الذين يأكلون ناحية جلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذا هم اخوته ثم أخرج الصوانى فيها الخاسيات والحردادبات من المحكم مملوءة شرابا ففرقت عليهم وقدمت لهم الانقال وماشاكل ذلك ومازالوا يرفقون بالجارية الى أن استدعت بالعود وأصلحته واندفعت تغنى من البعيد الاول وهو

بان الخليط بمن عرفت فأدلجوا * عمدا بمن أهواه لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائبى نحرها * جمر الغضا فى ساعة تتأجج

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت عن الغناء وتنغص على القوم مشربهم ووقعت أنا مغشيا على فظن القوم أنى قد صرعت فصار بعضهم يقرأ فى أذنى وأفقت بعد ساعة فلم يزالوا يدارونها ويرفقون بها ويسألونها الى ان أصلحت العود واندفعت تغنى فى البعيد الثانى

فوقفت أندب للذين تحملوا * وكأن قلبى بالشفار يقطع
فدخلت دراهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

ثم شهقت شهقة كادت تتلف وارتفع بكاؤها وصرخت أنا ووقعت مغشيا على وتبرم الملاحون منى وقالوا كيف حملتم هذا المجنون فقال بعضهم اذا بلغتم بعض القرى فأخرجوه وأريحونا منه فجاءنى من ذلك أمر عظيم ثم وضعت على نفسى الصبر والتجلد وقلت أعمل الحيلة فى أن أعلمها بمكانى من الزلال لتمنع من اخراجى وبلغنا الى قريب ضيعة فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا الى الشط فطرحوا القماش وطلعوا وكان مساء فطلع الملاحون وخلا الزلال فقمت حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه الى طريقة أخرى وكانت تعلمها منى فرجعت الى موضعى من الزلال وفرغ القوم من حوائجهم فى الشط ورجعوا والقمر قد انبسط فقال لها مولاها بالله عليك لا تنغصى علينا عيشنا ولم يزالوا الى أن أخذت

العود وجسته وشهقت حتى ظنوا أن روحها قد طلعت وقالت والله مولاى معى فى الزلال فقال لها مولاها والله يا هذه لو كان معنا ما منعته من معاشرتنا ولعله كان يخف ما بك وتنتفع بغنائك ولكن هذا بعيد قالت هذا مما لا اسمعه مولاى معنا قال الهاشمى فسأل الملاحين قالت افعل فسأل الملاحين وقال هل حملتم معكم أحدا قالوا لا وأشفقت أن ينقطع السؤال فصحت نعم هو ذا انا فقالت كلام مولاى والله فجاءنى الغلمان فحملونى الى الرجل حملا فلما رآنى عرفنى وقال ويحك ما هذا الزى وما الذى أصابك الى أن صرت الى هذه الحالة قال فصدقته عن أمرى وبكيت وأعلى نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو واخوته بكاء شديدا رقة لنا ثم قال لى يا هذا والله ما وطئت الجارية ولا سمعت لها غناء الا اليوم وأنا رجل موسع على ولله الحمد وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاقى من أمير المؤمنين وقد بلغت الامرين مما أردت ولما علمت أنى أريد الرجوع الى وطنى قلت أسمع من غناء بغداد شيأ فاشتريت هذه الجارية لاصيرها عندى مغنية لى بالبصرة واذا كنتما على هذه الحالة فوالله لا نالن المكرمة والثواب فيكما وأشهد الله تبارك وتعالى على أن هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة أعتقتها وأزوجك اياها واجرى عليكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شريطة أننى اذا أردت الاجتماع تضرب لها ستارة وتغنى من خلفها ونحن مع بعضنا بعض لا تبخل علينا بذلك وأنت من جملة اخوانى وندمانى ففرحت بذلك ثم أدخل رأسه الى الجارية وقال يرضيك ذلك فأخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى غلامه فقال خذ بيد الغلام ومده بثياب وبخره وقدمه الينا بعد أن يأكل شيأ وفعل بى الغلام ما أمره به وعدت اليه فخط بين يدى مثل ما بين أيديهما من الشراب والنقل ثم اندفعت الجارية تغنى بانبساط وهو

عيروني بأن سفحت دموعى * حين هم الحبيب بالتوديع
زعموا أننى تهتكت فى الحـ * ـب ما أريد غير مطيع
لم يذوقوا طعم الفراق ولا ما * أحرقت لوعة الاسى من ضلوع
كيف لا أسفح الدموع على رسم * عفا بعد ساكن وجموع
هب ان كتمت حالى لا تخفى * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام لمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

فطرب

فطرب القوم من ذلك طربا شديدا وزاد فرح الفتى بذلك فلما رأيته على ما هو عليه من الفرح أخذت العود من الجارية وأصلحته وضربت به فى أحسن صنعة وغناء واندفعت أقول

اسأل العرف ان سألت كريما * لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسوآل الكريم يورث عزا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد * فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلالك الكريم بذل * انما الذل أن تجل الصغارا

ففرح القوم بى وزاد فرحهم وأنسوا بى غاية الايناس ولم نزل على مسرة وسرور وغبطة وحبور وأنا أغنى ساعة وهى تغنى ساعة كذلك الى أن جئنا الى بعض الشطوط فارسى الزلال وصعد من الزلال كل من فيه وقضوا حوائجهم وصعدت أنا أيضا وكنت سكرانا فقعدت أبول فأخذتنى عينى فنمت وطلع القوم وانحدر الزلال ولم يعلموا بى وهم سكارى وكنت دفعت النفقة التى معى الى الجارية ولم يبق معى حبة واحدة وأن القوم انحدروا ووصلوا الى البصرة ولم أتنبه انا الا من حر الشمس فجئت الى الشط فلم أرى حسا وقد كنت أجللت الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة فبقيت على شاطئ نهر معتلا كاول يوم بدأت فى المحبة وكأن ما كنت فيه مناما واجتازت بى سمارية فحملت فيها ودخلت الى البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت خانا وبقيت متحيرا لا أدرى ما أعمل ولم يتجه لى معاش الى أن اجتاز بى يوما انسان كنت أعرفه ببغداد فتبعته لا كشف له حالى وأسترفده ثم أنفت من ذلك ودخل منزله فعرفته وجئت الى بقال على باب الخان الذى نزلته فاعطيته دانقا وأخذت منه دواة وورقة وجلست أكتب اليه رقعة فاستحسن خطى البقال ورأى ثوبى دنسا فسألنى عن أمرى فاخبرته أنى رجل غريب فقير قد تعذر على التصرف وما بقى معى شئ فقال تعمل عندى كل يوم بنصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط لى حساب دكانى فقلت له نعم قال لى اصعد فصعدت وخرقت الرقعة وجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه فلما كان بعد شهر راى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فحمدنى وبقيت معه كذلك شهورا ثم جعل لى كل يوم درهما ولم يزل حالى يقوى معه الى أن حال الحول فناله منى الصلاح فدعانى الى أن

تزوجت بابنته وشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان والحال يقوى الا أني في خلال ذلك مكسور النفس ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال يشرب فربما جذبني الى مساعدته فأمتنع وأظهر ذلك حزنا مني واستمرت بي الحال على هذا سنتين وأكثر فبما كان في بعض الايام اذا قوم يجتازون بطعام وشراب وكل أحد على ذلك فسألت الشيخ عن القصة فقال لي هذا اليوم عيد الشعانين يخرج أهل الطرب واللعب والشراب والقينات الى نهر الابلة فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعتني نفسي الى هذا وقلت لعلي أقف لاصحابي على خبر فقلت للبقال كنت اريد النظر الى هؤلاء فقال لي شأنك وأصلح لي طعاما وشرابا وسلم الى غلاما وسفينة فخرجت فأكلت وبدأت بالشراب حتى وصلت الى الابلة وابتدأ الناس ينصرفون وعزمت على الانصراف واذا أنا بالزلال بعينه في وسط الناس سائرا في نهر الابلة فتأملت واذا بأصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم أتمالك فرحا وصحت بهم فلما رأوني عرفوني وأخذوني اليهم وقالوا الى أنت حي وعانقوني وفرحوا بي وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها على أتم شرح وقالوا انا لما فقدناك في الحال وقع لنا أنك قد سكرت ووقعت في الماء وغرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت عودها وقطعت شعرها ولطمت وجهها وأقبلت على البكاء والنحيب ولم نقدر نفعها من ذلك وردنا البصرة فقلت لها ما تحبين أن نعمل بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المروءة من استخدامك بعده وسماع غنائك قالت يا مولاي تملكني من القوت اليسير ولباس ثياب الشعر السوداء وأن أعمل قبرا في جنب من الدار وأجلس عنده وأتوب عن الغناء فملكناها من ذلك وهي جالسة عنده الى الآن فأخذوني معهم ومضوا بي فلما دخلت الى الدار ورأيتها على تلك الصورة ورأتني شهقت شهقة عظيمة ما ظننت أنها تعيش فاعتنقتنا عناقا طويلا ثم افترقنا ثم قال مولاها تأخذها قلت نعم أعتقها كما وعدت وزوجني بها ففعل ذلك ودفع الينا ثيابا كثيرة وفرشا وقماشا وآلة وحمل الي خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما اردت أجريه عليك في كل شهر منذ أول دخول البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة فخذه والجراية متسابقة في كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المنادمة وسماع الجارية من وراء الستارة وقد وهبت لك الدار الفلانية قال

فلما

فحملت الى الدار فاذا قد غمرت بالفرش والقماش وجميع ما أصاحبه وحملت اليها الجارية وجئت الى البقال فحدثته الحديث وسألته أن يجعلني في حل من طلاقه لابنته بغير ذنب ودفعت اليه مهرها وما يلزمني من أمرها وأقمت مع الهاشمي على ذلك الحال سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعادت حالتي الى قريب ما كنت فيه أنا والجارية وفرج الله الكريم عنا وسهل لنا الامور بالاحسان وهذا ما كان من حديثهم والحمد لله حمدا كثيرا (الليلة الثانية) حدث أبو العباس ابن يزيد النحوي المعروف بالمبرد قال حدثنا محمد بن عامر الحنفي وكان من سادات بكر بن وائل وأدركته شيخا كبير القامة مملقا وكان اذا فاض على املاقه شيأ جاد به وقد كان ولي قديما شرطة البصرة فحدثني هذا الحديث الذي نذكره ووقع لي من غير ناحيته ولا أذكر ما بينهما من الزيادة والنقصان الا أن معاني الحديث مجموعة فيما أذكر لك (ذكر) أن فتيانا كانوا مجتمعين في نظام واحد كلهم ابناء نعمة وكلهم شرد عن أهله وقنع بأصحابه فذكروا كرمهم قال كنا قد اكترينا دارا مشرفة على الطريق ببغداد المعمورة بالناس فكنا نفلس أحيانا ونوسر أحيانا على مقدار ما يملق الواحد من أهله وكنا لا نستنكر ان تقع مؤنتنا على واحد منا اذا أمكنه ويبقى الواحد منا لا يقدر على شيء فيقوم به أصحابه الدهر الاطول وكنا اذا أيسرنا أكلنا ودعونا الملهين والملهيات وكنا في أسفل الدار فاذا عدمنا الطرب فجعلنا غرفة لنا نتمتع منها بالنظر الى الناس وكنا لا نخل من نبيذ في عسر ولا يسر فانا كذلك يوما اذا بفتى يستأذن علينا فقلنا له اصعد فاذا رجل نظيف حلو الوجه سري الهمة يظهر عليه أنه من أبناء النعم فأقبل علينا وقال اني سمعت باجتماعكم والفتكم وحسن مناداتكم حتى كأنكم أدخلتم جميعا في قالب واحد فأحببت أن أكون واحدا منكم فلا تحتشموني قال فصادف ذلك منا اقتدارا من القوت وكثرة من النبيذ وقد كان قال لغلامه أول ما يأذن لي أن أكون كأحدهم هات ما عندك فغاب عنا غيبة كثيرة ثم اذا هو أتى بسلة خيزران وفيها طعام مطبوخ من جدي وفراخ ورقاق وأشنان ومحلب داخله فأصبنا من ذلك ثم أفضينا في شرابنا وانبسط الرجل واذا هو أحسن خلق الله اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحات اذا خولف ثم أفضينا في شرابنا وانبسط الرجل فاذا هو أحسن الناس خلقا وخلقا وكان مما امتحناه بأن

ندعوه الى الشئ الذى نعلم أنه يكرهه فيظهر لنا أن لا نريد غيره ونرى ذلك فى اشراق وجهه ونسبه فلم يمكن منا غير معرفة الكنية فانا سألناه عنها فقال أبو الفضل فقال لنا يوما بعد اتصال الانس الا أخبركم كيف عرفتكم قلنا انا نحب ذلك قال أحببت فى جواركم جارية وكان سيدها ذو عزائم وكنت أجلس لها فى الطريق التمس اجتيازها فأراها حتى أخلفنى الجلوس على الطريق ورأيت غرفتكم هذه فسألت عن خبرها فخبرت عن ائتلافكم ومساعدة بعضكم بعضا فكان الدخول فيما أنتم فيه آثر عندى من الجارية فسألناه عنها فخبرنا قلنا ما نحيد عنها لك حتى نظفرك بها فقال يا اخوتى انى والله على ما ترون منى من شدة المحبة والكلف بها ما قدرت فيها حراما قط ولا تقديرى الامطاوعتها ومصايرتها الى أن يمن الله بثروة فاشتريها وأقام معنا شهرين ونحن على غاية الاغتباط بقربه والسرور بصحبته ثم اختلس منا فنالنا الفراق كل ممض ولوعة مؤلمة ولم نعرف له منزلا لنلتمسه منه فكدر علينا من العيش ما كان طاب لنا به وقبح عندنا ما كان حسن بقربه وجعلنا لا نرى سرورا ولا غما الا اذا ذكرنا اتصال الانس والسرور بحضوره والغم بمفارقته فكافيه كما قال القائل

يذكرنيهم كل خير رأيته * وشرفنا أنك منهم على ذكرى

فغاب عنا زها عشرين يوما ثم بينا نحن مجتازون من الرصافة اذا به قد طلع فى موكب نبيل وزى جليل فحيث بصرنا به انحط عن دابته وانحط غلمانه ثم قال يا اخوتى انى والله ما هنا لى عيش بعدكم ولست أماطلكم بخبرى حتى آتى المنزل ولكن ميلوا بنا الى المسجد فلنا معه فقال أعرفكم أولا بنفسى أنا العباس ابن الاحنف وكان من خبرى بعدكم أنى خرجت الى منزلى من عندكم فاذا المسودة محيطة بى فمضى بى الى دار أمير المؤمنين فصرت الى يحيى بن خالد فقال لى ويحك يا عباس انما أخبرتك من طرفاء الشعر لقرب مأخذك وحسن مأتيك وأن الذى ندبتك له من شأنك وقد عرفت خطرات الخلفاء وانى أخبرك أن ماردة هى الغالية على أمير المؤمنين اليوم وأنه جرى بينهما عتب فهى بدلالة المعشوق تأبى أن تعتذر وهو يعز الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك وقد رمت الامر من قبلهما فأعيانى وهو أحرى أن تسقره الصبابة فقل شعرا يسهل عليه هذه السبيل فقضى كلامه ثم دعاه أمير المؤمنين فصار اليه وأعطيت دواة وقرطاسا فاعترانى الزمع

وأذهب

وأذهب عني كل قافية ثم انفتح لي شئ والرسل بين يدي فجاءتني أربعة أبيات رضيتها وقعت صحيحة المعنى سهلة الالفاظ ملائمة لما طلب مني فقلت لاحد الرسل أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات فان كان فيها مقنع وجهت بها فرجع الى الرسول بأن هاتها فقل منها مقنع وفي ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيتين من غير ذلك الروي وكتبت الاربعة الابيات في صدر الرقعة وعقبت بالبيتين فكتبت

العاشقان كلاهما متعتب * وكلاهما متوجد متغضب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا * فكلاهما مما يعالج متعب
راجع أحبتك الذين هجرتهم * ان التصبر قل ما يتجنب
ان التجنب ان تطول منكما * دب السلولة فعز المطلب

وكتبت تحت ذلك

لابد للعاشق من وقفة * يكون بين الصد والصرم
حتى اذا اليأس تمادى به * راجع من تهوى على رغم

ثم وجهت بالكتاب الى يحيى بن خالد فرفعه يحيى الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا والله لكأني قصدت به فقال له يحيى فأنت والله المقصود به هذا يقوله العباس بن الاحنف في هذه القصة فلما قرأ البيتين وأفضى الى قوله راجع من تهوى على رغم استغرب ضاحكا حتى سمعت ضحكه ثم قال اي والله أراجع على رغم يا غلام هات النعل فنهض وأذهله السرور عن أن يأمر لي بشئ فدعاني يحيى فقال لي ان شعرك قد وقع بغاية الموافقة وأذهل أمير المؤمنين السرور عن أن يأمر لك بشئ قلت لكن هذا الخبر ما وقع مني بموافقة ثم جاء فسار ره فنهض وثبت مكاني ثم نهضت بنهوضه فقال لي يا عباس أمسيت أملى الناس أتدري ما سار رني به هذا الرسول قلت لا قال قد ذكرني ماردة بلغت أمير المؤمنين لما علمت بمحبته فقالت يا امير المؤمنين كيف هذا فاعطاها الشعر وقال هذا أتى به اليك قالت فمن يقوله قال العباس ابن الاحنف قالت ما فعلت معه قال ما فعلت شيأ بعد قالت اذا والله لا أجلس حتى يكافئ قال فأمير المؤمنين قائم لقيامها وأنا قائم لقيام أمير المؤمنين وهما يتناظران في صلتك فهذا كله لك قلت مالي من هذا كله الا الصلة ثم قال هذا أحسن من شعرك فأمر أمير المؤمنين بمال كثير وأمرت ماردة بمال دونه وأمر

الوزير بمال دون ما أمرت به وحملت على ما ترون من الظهر ثم قال الوزير من تمام اليد قبلك أن لا ترجع من الدار حتى يؤتى لك بهذا المال ضياعا فاشتريت لى ضياع بعشرين ألف دينار ودفع الى بقية المال فهذا الخبر الذى عاقنى عنكم فهلموا حتى أقاسمكم الضياع وأفرق فيكم المال فقلنا له هناك الله بمالك وكلنا راجع الى نعمة من الله فأقسم وأقسمنا قال فامضوا بنا الى الجارية حتى نشتريها فمشينا الى صاحبها وكانت جارية جميلة حلواء لا تبخس شيأ أكثر ما فيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل وكانت تساوى على وجهها مائة وخمسين دينارا فلما رآنى مولاها أساومنى فيها خمسمائة دينار فأوحيناه بالعجب فحط مائة ثم حط مائة وقال العباس يا فتيان انى والله أقسم أحتشم بعد ما قلتم ولكنها حاجة فى نفسى بها يتم سرورى فان ساعدتم فعلت قلنا له قل قال هذه الجارية أنا عاينتها منذ دهر وأريد ايثار نفسى بها يتم سرورى فان ساعدتم فأكره أن تنظر الى بعين من قد ماكس فى ثمنها فاعطيه فيها خمسمائة دينار كما سأل قلنا فانه قد حط مائتين قال وان فعل فصادفنا من مولاها رجلا حرافأخذ ثلثمائة دينار وجهزها بالمائتين فما زال لنا محبا الى أن فرق الموت بيننا (الليلة الثالثة) حدث عبد الرحمن بن عمر الفهرى عن رجال سماهم قال أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة أناس من البصرة كانوا يرمون بالزندقه عنده فحملوا اليه فبينا أحدا الطفيليين جائزا اذ رآهم مجتمعين فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانتل معهم ودخل فى جملتهم ومضى بهم المتوكلون الى البحر فأطلعوهم فى زورق قد أعدلهم فقال الطفيلى كأنها نزهة فأصعد معهم فى الزورق فلم يكن بأسرع من أن قيد القوم فقيدوا الطفيلى معهم فعلم أنه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر ثم دفع الملاح وساروا الى أن وصلوا بغداد وحملوا على دخول المأمون فأمر بضرب أعناقهم فاستدعوا بأسمائهم رجلا رجلا وهو يقتل حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العدة فقال المأمون للمتوكلين بهم ما هذا قالوا يا أمير المؤمنين ما ندرى غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما قصتك ويلك فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من أقوالهم شيأ ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت أنهم يدعون الى مأدبة أو دعوة فالتحقت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفيل الى

ان

أن أدخل صاحبه هذا المدخل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب قال وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا يومئذ فقال يا أمير المؤمنين هبه لى واحدثك بحديث عن نفسى فى التطفيل عجيب قال قد وهبته لك هات حديثك قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما متنكرا أنظر الى سكك بغداد فاستهوى بى التفرج وانتهى بى المشى الى موضع شممت فيه روايح طعام وأبازير قد تاقت نفسى اليها ووقفت يا أمير المؤمنين لا أقدر على المضى فرجعت بصرى فاذا شباك ومن خلفه كف ومعصم ما رأيت أحسن منه فوقفت حائرا ونسيت روايح الطعام بذلك الكف والمعصم فأخذت فى اعمال الحيلة فى الوصول فنظرت فاذا بخياط قريب من ذلك الموضع فقدمت اليه وسلمت عليه فرد على فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال يا سيدى لرجل من البزازين قلت فما اسمه قال فلان ابن فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم وأظن اليوم عنده دعوة وليس ينادم الا تجارا مثله فبينا نحن فى الكلام اذ أقبل رجلان راكبان فقال هؤلاء ندماؤه فقلت ما أسماءهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتى فلحقتهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى أتيا الباب فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب المنزل معهما لم يشك فى أنى منهما بسبيل فرحب بى وأجلسنى فى أفضل المواضع ثم جىء بالمائدة ونقل اليها الالوان فكان طعمها يا أمير المؤمنين أطيب من رائحتها فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها يبقى الكف والمعصم ثم جىء بالوضوء فغسلنا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا هو أشكل منزل وأظرفه فى سائر أموره وجعل صاحب المنزل يلاطفنى ويقبل على فى الحديث لظنه أنى ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك يظنون أنا كرامه لى عن معرفة متقدمة وصداقة حتى شربنا أقداحا خرجت علينا جارية كأنها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت غير خجلة وأتيت لها وسادة فجلست وأتى بعود فأخذته وحبسته أحسن حبس واندفعت تغنى فغنت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها كفى فأسلم كفها * فمن لمس كفى فى أناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنين بلبالى وطربت لحسن شعرها وحذقها ثم اندفعت

فغنت ايضا

أشرت اليها هل عرفت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد
فحدت عن الاظهار حفظا لسرها * وحادت عن الاظهار حفظا على عهد

فجاءنى من الطرب مالم أملك معه نفسى وطرب القوم طربا شديدا ثم غنت

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لا تخلو ولا تتكلم
سوى أعين تبدى سرائر انفس * وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف تسلم

فحسدتها على حذقها يا أمير المؤمنين واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت فيه فقلت قد بقى عليك يا جارية شئ فرمت بالعود وقالت متى كنتم تحضرون فى مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان منى ورأيت القوم كأنهم تنكروا لى فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما أملت ان لم أتلافى قضيتى فقلت أثم عود قالوا نعم فأتيت بعود مليح الصنعة فأصلحت ما أردت ثم اندفعت فغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصم أم قدم الليل البلا قبلينا
روح الفتية دوحة مذكورة * ان مت متنا وان حييت حيينا

فما استتممت يا أمير المؤمنين حتى وثبت الجارية على رجلى تقبلها وتقول معذرة اليك والله ما علمت مكانك ولا سمعت مثل هذه الصنعة من أحد ثم زاد القوم فى اكرامى وتبجيلى وطربوا غاية الطرب وشربوا بالطاسات

فلما رأيت طربهم اندفعت فغنيت

أبى الله أن تمسين لا تذكرينى * وقد سمحت عيناى من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسلا منى وتبدى علقما
فردى مصاب القلب أنت قتلته * فلا تتركيه ذاهب العقل مغرما
الى الله أشكو أنها أجنبية * أكون لها ما عشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم شيأ خشيت أنهم فارقوا عقولهم فأمسكت عنهم ساعة ثم راجعت أمرهم لما هدئت نفوسهم واندفعت وغنيت

هذا محبك مطويا على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راجية * مماته ويد أخرى على كبده
يا من رأى كفه مستنهرا دفقا * كانت منيته فى طرفه ويده

فجعلت

فجعلت الجارية تصيح هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وشرب القوم وسكروا وبقي في صاحب المنزل مسكة لجودة شربه فأمر غلمانهم بحفظهم الى منازلهم وانصرفوا وخلوت معه وشرب أقداحا ثم قال يا سيدي ذهب ما مضى من عمري هدرا اذ لم أكن أعرف مثلك ولم أحاضر رئيسا يشبهك فبالله يا مولاي من أنت لأعرف نديمي فأخذت أورى عليه وهو يقسم علي الى أن أعلمته من أنا على الحقيقة فوثب قائما على قدميه وقال لقد عجبت أن يكون هذا الفعل الا لمثلك ولقد أسدى الزمان الي يدا الا أقوم بشكرها ومتى طمعت بأن يزورني ذو الخلافة في منزلي و ينادمني ما هذا الا في المنام فلا أتممت ليلتي الا قائما بين يديك اذ كنت أحقر أن أجالس ذا الخلافة فأقسمت عليه الى أن جلس ثم أخذ يسألني ما السبب في حضوري عنده بألطف معنى فأخبرته يا أمير المؤمنين بالقصة من أولها الى آخرها وما سترت منها شيأ ثم قلت أما الطعام فنلت منه بغيتي وأما الكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يا فلانة قولي لفلانة جارية له تنزل وجعل يستدعي واحدة واحدة ويعرضها علي وأنا لا أرى صاحبتي الى أن قال والله ما بقي غير أمي وأختي والله لينزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك ابدأ بالاخت فقال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فأراني يدها فاذا هي التي رأيتها فقلت حسبك هذه الجارية فأمر غلمانه لوقته واستدعى عشرة مشايخ سماهم لهم ثم قام فأخرج بدرتين عشرين ألف درهم وحضرت المشايخ فقال لهم هذا سيدي ابراهيم بن المهدي يخطب مني أختي فلانة وأشهدكم أني قد زوجتها له وأمهرتها له عشرة آلاف درهم فقلت له قبلت ورضيت النكاح فشهدوا علينا ثم دفع البدرة الواحدة الى أخته والاخرى فرقها على المشايخ ثم قال اعذروا فهذا ما حضر فشكروا ودعوا له وانصرفوا ثم قال يا سيدي أمهد لك بعض البيوت وتنام مع أهلك فاحتشمني ما رأيت من كرمه واستحييت أن أخلو بها في داره فقلت بل أحضر عمارية وأجهزها وأحملها الى منزلي فقال ما شئت فأحضر عمارية وحملها الى منزلي فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا على سعتها فأولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا أمير المؤمنين فعجب المأمون من كرم هذا الرجل فقال لله دره ما سمعت قط بمثله ثم أطلق الطفيلي بإجارة ابراهيم وأمر باحضار الرجل ليشاهده فأحضر بين

يديه فاستنطقه فأعجبه وصار من جملة خواصه ومحاضرته (الليلة الرابعة) حدث غير الهلالى قال كان من فتيان بنى هلال فتى يقال له بشر ابن عبد الله وكان يعرف بالاشتر وكان من سادات بنى هلال أحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان مغرما بجارية من قومه تدعى جيدا وكانت بارعة الجمال والكمال ثم اشتهر أمره وأمرها وظهر خبرهما بين أهليهما الى أن كانت بين الفريقين ثم افترقوا وأبعدت منازلهم فقال غير فلما طال على الاشتر الفراق وتمادى البعد جاءنى فقال ياغير هل لك من خبر ثم ما عندى الا ما اجبته فقال تساعدنى على زيارة جيد فقد أذهب الشوق روحى فقلت نعم بالحب والكرامة فانهض بنا اذا شئت وركبت وسرنا يومنا وليلتنا والغد حتى اذا كان العشاء اخترنا راحلتنا فى شعب قريب من الفريق فقال ياغير اذهب فتأنس بالناس واذكران لقيت أحدا أنك صاحب ضالة ولا تعرض بذكرى بين شفة ولا لسان الى أن تلقى جاريتها فلانة ترعى غنمهم فأقرئها منى السلام وسلها عن الخبر وأعلمها بموضعى قال فخرجت لاعدو الى ما امرنى به حتى لقيت الجارية وأبلغتها الرسالة واعلمتها مكانه وسألتها عن الخبر وأعلمتها بموضعى فقالت هى والله مشدد عليها تحفظ بها ولكن مواعدكم أوائل الشجرات اللواتى عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء قال فانصرفت الى صاحبى فأعلمته الخبر ثم نهضت أنا وهو نقود راحلتنا حتى أتينا الى الموضع فى الوقت المعهود فلم نلبث الا قليلا واذا جيد تمشى قريبا منا فوثب الاشتر فصافحها وسلم عليها وقمت أنا موليا عنهما فقالا نقسم عليك بالله الا ما رجعت فوالله ما نحن فى مكروه ولا بيننا ما يستر عنك فرجعت اليهما وجلست معهما فقال الاشتر ما فيك حيلة ياجيد تتعلل الليلة قالت لا والله ومالى الى ذلك من سبيل الا أن يرجع الذى عرفت من البلاء والشر فقال لها لابد من ذلك ولو كان ما عسى أن يكون قالت فهل فى صاحبك هذا من خير قلت قولى ما بدا لك فانى انتهى الى رأيك ولو كان فيه ذهاب روحى فخلعت ثيابها وقالت البسها وأعطنى ثيابك ففعلت ثم قالت اذهب الى بيتى وادخل فى سربى فان زوجى سيأتيك بعد فراغه من الحلبة والقدح مملوء فيقول هاك عيوقك فلا تأخذه منه حتى تطل ذلك عليه ثم خذه أو دعه حتى يضعه ويذهب فلست تراه حتى تصبح ان شاء الله تعالى قال فذهبت ففعلت ما أمرتنى به حتى اذا جاء بالقدح

لم

لم آخذه حتى نكد عليه ثم أهويت لاخذه منه وأهوى هو ليضعه فاختلفت أيدينا على الاناء فانكفأ القدح وانهرق اللبن فقال ان هذا لطماح جدا وضرب بيده الى مقدم البيت واستخرج سوطا ملويا مثل الثعبان ثم دخل فهتك الستر على ّ ومتع السوط منى تمام عشرين سوطا ثم جاءت امه واخته فانتزعاه من يده لا والله ما فعلا ذلك حتى زال عقلى وهممت أن أجيبه بالسكين وان كان فيها الموت فلما خرجوا شددت سترى وقعدت كما كنت فلم البث الا قليلا حتى دخلت ام جيداء فكلمتنى وهى لا تشك انى ابنتها واندفعت فى البكاء والنحيب وتغطيت بثوبى ووليتها ظهرى فقالت يا بنية اتق الله فى نفسك ولا تعرضى بمكروه زوجك فذاك أولى بك واما الاشتر فذاك آخر الدهر وخرجت من عندى وقالت سأرسل اليك أختك تونسك الليلة فما لبثت غير دقيقة واذا الجارية قد جاءت فجعلت تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا لا أكلمها ثم انضجعت الى جنبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فيها وقلت يا هذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى الليلة بسببها وأنت اولى بالستر عليها فاختارى لنفسك ولها وائن والله تكلمت بكلمة لاصيحن أنا بجهدى حتى تكون الفضيحة شاملتهم فلما سمعت ذلك دفعت يدى عن فيها واهتزت كما يهتز القضيب فلم أزل بها حتى انست بى فباتت والله معى أحسن رفيق رافقته ولم نزل نتحدث وتضحك منى ومانا انى وتمكنت منها تمكن من لو أراد زنية فعلها ولكن الله عصم فله الحمد ولم نزل كذلك حتى طلع الفجر واذا جيد قد دخلت علينا فلما رأتنا ارتاعت وقالت ويحك من هذه فقلت أختك قالت وما الخبر قلت هى تخبرك فانها والله نعم الاخت وأخذت ثيابى ومضيت الى صاحبى فركبت أنا وهو وحدثته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه ضرب رمى الله ضاربه بالنار كل ضربة يخرج منها الدم فلما رآنى كذلك قال لقد عظم صنعك ووجب شكرك وطالت يدك فلا أحرمنى الله مكافأتك ولم يزل لى شاكرا معترفا (الليلة الخامسة) قال الواقدى كان ابراهيم بن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه بالرى وأقام بها كها سنة واحدى عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندى ما حكاه لى قال لما دخل المأمون الرى وطلبنى أشد الطلب وجعل لمن أتاه بى مائة ألف درهم خفت على نفسى وتحيرت فى أمرى

فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدري أين أتوجه فررت على وجهي حتى وقعت في زقاق لا ينفذ فقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثري يرتاب بي فرأيت في صدر الزقاق عبدا أسود وهو قائم على باب دار فتقدمت اليه فقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى دار نظيفة فيه حصيرة نظيفة ومخدة جلدا لا انها نظيفة ثم أغلق الباب علي ومضى لسبيله فتوهمته قد جعل الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبقيت على مثل النار قلقا فبينا انا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الحمال والتفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا أعلم انك تتقذرمني لما أتولاه من معيشتي فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان لي حاجة الى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر أني أكلت مثله فلما قضيت أربي من الطعام قال لي هل لك من شراب فانه يسلي الهم ويطيب العيش ويدفع عن النفس الغم قلت ما أكره ذلك رغبة في أن أؤانسه فأتى بقطر من جديد لم تمسه يد وجاءني بذتين من شراب مطيبة وقال لي روق نفسك فروقت شرابا نهاية في الجودة وأحضر لي قدحا جديدا وفاكهة ونقلا مختلفة في طسوت فخار جدد ثم قال لي بعد ذلك اتأذن لي جعلت فداك أن أقعد ناحية عنك وآتي بنبيذ لي فأشرب منه سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثلاثا ثم دخل الى خزانته فأخرج عودا مصلحا ثم قال يا سيدي ليس من قدري أن أسألك تغني ولكن قد وجب على مروءتك وحرمتي فان أردت بأن تشرف عبدك بأن تغني لنفسك ففعل فقلت ومن أين لك أني أحسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظمت هيبته ومروءته عندي وعلمت أن نخوته أجل من المال الذي بذله في فتناولت العود فأصلحته وغنيت وقد مر بخاطري فراق أهلي وولدي

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله * وأعزه في السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

فقال يا سيدي اجعل الذي تغنيه ما يقتضيه حالك فقلت نعم فقال غن لي

ان

ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة * ولعلها ان تنجلى ولعلها

فغنيته ولم أكن أحسن لحنه ولكنى لحنته وتفاءلت به وحسن عندى ايراده فشرب وشربت وقال غن لى ياسيدى فقلت

فلا تجزع وان اعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغنى عن قليل
ولا تظن بربك غير خير * فان الله أولى بالجميل

وكنت أعرفه فغنيت وشربت فقال لله درك على الله يداذ آنسنى بمثلك وما كنت أحسب أن الزمان يسمح لى بكونك فى منزلى فان رأيت أن تغنى لى فقلت

واذا تنازعنى أقول لها اصبرى * موت بريحك أو على المنبر
ما قد قضى الرحمن فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر

فغنيته وحسن فى روحى اقتضاءه وآنست به واستظرفته ثم قال لى ياسيدى أتأذن لى أن أغنى ماسخ وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت له زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما بدا الليل المضر بذى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا رنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسنت بالبيت قد سرنى وذهب عنى كلما كنت فيه من الهلع وسألته أن يغنى فغنى

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلنا لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وأنا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فدا خلنى من الطرب مالا مزيد عليه الى أن عاجلنى السكر فلم أستيقظ الا بعد المغرب فعاودنى فكرى فى نفاسة هذا الجام وحسن أدبه وظرفه وكيف

اقتضانى من الغناء ما أراد أن يسلينى به فقمت وغسلت وجهى وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير كثيرة لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعك الله فانى ماض من عندك وأسألك أن تصرف ما فى هذه الخريطة على بعض مهماتك ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى فأعادها الى متنكرا وقال لى يا سيدى ان الصعلوك مالا قدر له وليس عندكم من ذوى الرياسات و يظن به الظنون الرديئة عن الاخذ آخذ على ما وهبنيه الزمان من قدرك وحلولك عندى ثم انى ألححت عليه فأومى الى موس وقال والله لئن راجعتنى فيها لاقتلن نفسى فخشيت عليه وأخذت الخريطة فأعدتها الى كمى وقد اثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره معولا الى المضى قال لى يا سيدى ان هذا الموضع أخفى لك وليس فى مؤنتك ثقلة فأقم عندى الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن يكون منفقا من الخريطة فلم يفعل وكان يفعل فى كل يوم مثل ما فعله فى يوم حلولى عنده فأقمت اياما فى ألذ عيش فتبرمت من الاقامة فى منزله واحتشمت من التثقيل فتركته وقد مضى يجدد لنا حالا لنا فقمت وتزينت بزى النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بالموضع قد رش وصار زقاقا فأبصرنى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما فى ذلك الزلق وتبادر الناس لينقذوه فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت باب دار وامرأة فى دهليزه فقلت يا سيدة النساء أحقنى دمى فانى رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتنى الى غرفة وفرشت لى وقدمت لى طعاما وقالت يهدى روعك فما يعلم بك مخلوق عندى ولو أقمت سنة وهى معى فى ذلك واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت فتحت الباب فاذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما بالك فقال لها ان حديثى عجيب ظفرت بالفتى وانفلت منى ولو كنت حملته الى المأمون لتعجلت لى مائة الف درهم قالت وما هو قال ابراهيم بن المهدى لقيته وتعلقت به فدفعنى والفرس فأصابنى ما ترين قال فانحرت اليه خرقا فعملتها فى جرحه وعصبته وأسقته شرابا ونام علينا وطلعت الىّ فقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم

فقالت

فقالت لا بأس عليك ثم جددت الكرامة فأقمت عندها ثلاثا ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على أمرك فيتم بك فانج بنفسك فسألتها امهالى الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لى فلما رأتنى توجعت لى وبكت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كأنها تريد السوق والاهتمام فى الضيافة وظننت خيرا فما شعرت الا باسحاق بن ابراهيم الموصلى بنفسه فى خيله ورجله والمولاة معه فسلمتنى له فرأيت الموت عيانا وحملت الى المأمون فجلس مجلسا عاما وادخلنى اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا رعاك ولا حباك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان أولى الناس بحكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناولته أيدى الاغترار بما أمدله من اسباب الرجا لم يأمن من غائلة الدهر وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذنب تحت عفوك فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم انشدت

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فرفع رأسه الى فيدرته وقلت

أذنبت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

فرق لى المأمون واستروحت رواح الرحمة فى وجهه ثم أقبل على أخيه أبى اسحق وابنه العباس وجميع من حضر فى خاصته وقال ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه ينكث بأصبعه فى الارض ثم قال متمثلا

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلان عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهين عظمى

فكشفت المقنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة فقلت عنا والله عفى أمير المؤمنين فقال لا بأس عليك يا عم فقلت يا أمير المؤمنين ذنبى عظيم أعظم من أن اتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن انطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذى خلق المكارم حازها * فى صلب آدم والامام الشافعى
مائت قلوب الناس منك مهابة * وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع
رد الحياة على بعد ذهابها * كرم الملك العادل المتواضع

فقال لى المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك ضياعك فقلت رددت مالى ولم تبخل على به وقبل ردك مالى قد رددت دمى

نأيت عنك وقد خولتنى نعما * هما الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمى أبغى رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدم
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعدها كنت لم تلم
وان جحدتك ما أوليت من نعم * انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وأمر لابراهيم بمال وخلع عليه وقال يا ابراهيم ان ابا اسحق وابا العباس اشارا بقتلك فقلت انهما نصحا لك يا أمير المؤمنين ولكن ابيت الا ما أنت أهله ودفعت عنى ما خفت بما رجوت فقال المأمون قدمات حقدى عليك بحيات عذرك وعفوى عنك واعظم من عفوى عنك أنى لم أجرعك مرارا متنان النافعين ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه وقال يا ابراهيم أتدرى لم سجدت فقلت شكرا لله الذى أظفرك بعدوك وعدو ولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله على ما ألهمنى من العفو عن مثلك فحدثنى الآن حديثك فشرحت له صورة أمرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة والمولاة التى أسلمتنى فأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع انعامه عليك فقالت رغبة فى المال فقال لها هل لك من ولد أو زوج فقالت لا فأمر بضربها مائة سوط وخلدها فى السجن ثم قال أحضروا الجندى وامرأته والمزين فأحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون أنت أولى أن تكون حجاما من أن تكون من أوليائنا ووكل به من يلزمه الجلوس فى دكان الحجام ليتعلم الحجامة واستخدم زوجته قهرمانة فى قصره وقال هذه امرأة عاقلة أديبة تصلح للمهمات ثم قال للحجام لقد ظهر من مروءتك ما يجب

معه المحافظة عليه وسلم اليه دار الجندى ودابته وخلع عليه وأثبته برزقه وزيادة ألف دينار فى كل سنة ولم يزل بخير الى أن مات (الليلة السادسة) قال الامير بدر الدين يوسف المهمندار بن الامير سيف الدين ابى المعالى ابن رماح المعروف بمهمندار العرب حكى لى الامير شجاع الدين محمد الشرزى متولى القاهرة فى الايام الكاملية سنة ثلاثين وستمائة قال بينما انا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فضيفنا وأكرمنا وكان الرجل أسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وحضر له اولاد حسان فيهم صفاء لون فقلنا يا فلان هؤلاء اولادك بيض وأنت شديد السمرة فقال هؤلاء امهم فرنجية اخذتها فى ايام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب نوبة خطين فقلنا وكيف اخذتها فقال لها حديث عجيب فقلت أتحفنا به فقال زرعت كنانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار فلم يجب أكثر من ذلك فأشير على بحمله الى الشأم فحملته فلم يجب أكثر من ذلك فقيل لى بعه صبرا لعله يرجع لك حق الطريق فبعت بعضه صبرا الى ستة اشهر والبعض تركته عندى واكتريت حانوتا أبيع فيه على مهل الى حين انقضاء الستة أشهر فبينما أنا أبيع وقد مرت بى امرأة فرنجية زوج بعض الخيالة ونساء الفرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فأتت تشترى منى كنانا فرأيت من جمالها ما أبهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الى بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من الكرة الاولى فتكررت الى عندى وعلمت أنى أحبها فقلت للعجوز التى معها انى قد تعلقت بحبها فكيف تحيلين لى فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو فقلت لها اذا ذهبت روحى باجتماعى بها ما هو كثير وحكت لى كلاما كثيرا جرى بينهما واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين دينارا صورية وتجئ اليه قال فوزنت خمسين دينارا صورية وسلمتها للعجوز فقالت هيئ لنا موضعك ونحن الليلة عندك قال فهيئت وجهزت ما قدرت عليه من ماكول ومشروب وشمع وحلوى وكانت دارى مطلة على البحر وكان الصيف ففرشت لى على سطح الدار وجاءت الفرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل فمنا تحت السماء والقمر يضئ علينا والنجوم تنظر فى البحر فقلت فى نفسى أما تستحى من الله وأنت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصى الله مع نصرانية فتستوجب عذاب النار وعذاب الدنيا اللهم انى أشهدك أنى قد

عفت عن هذه النصرانية فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم مت
الى الصبح فقامت فى السحر وهى غضبى ومضت ومضيت الى حانوتى فجلست
فيه واذا هى قد عبرت على وهى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت
وقلت فى نفسى من هو أنت حتى تترك هذه الجارية أنت الجنيد أو السرى
السقطى ثم لحقت العجوز وقلت ارجعى فقالت وحق المسيح ما نرجع اليك
الا بمائة دينار فقلت نعم ومضيت الى حانوتى ووزنتها وجاءت الى ثانى دفعة
فلحقتنى تلك الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضت ومضيت
الى موضعى ثم عبرت على وكلمتنى وكانت مستغربة وقالت وحق المسيح ما بقيت
تفرح بى عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت أنى
أغرم ثمن المكان جميعه وأفدى نفسى فبينما أنا كذلك والمنادى ينادى معاشر
المسلمين ان الهدنة التى بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين
الى جمعة ليقضوا أمورهم وينصرفوا الى بلادهم فانقطعت عنى وأخذت أنا فى
تحصيل ثمن المكان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه وأخذت معى بضاعة
حسنة وخرجت من عكا وأنا فى قلبى من الفرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق
وبعت البضاعة التى لى بأوفى ثمن لانقطاع وصولها بسبب فراغ الهدنة ومن
الله سبحانه وتعالى على بكسب جيد وأخذت أتجر فى الجوارى عسى أن يذهب
ما بقلبى من الفرنجية ولازمت التجارة فيهن فمضى على ثلاث سنين وجرى للسلطان
الملك الناصر ما جرى من وقعة خطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل
باذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر وكان عندى جارية حسنة
فاشتريت له بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يجدوها
فى الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق الاموال جميعها فشاوروه على ذلك فقال
امضوا به الى الخزانة التى فيها السبى من نساء الفرنج فخيروه فى واحدة منهن
يأخذها بالعشرة دنانير التى له فأتيت الخزانة فنظرت اليها فعرفت الجارية
الفرنجية غريمتى فقلت أعطونى هاتين فأخذتها ومضيت الى خيمتى وقلت لها
أتعرفيننى قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر فى المكان الذى جرى له معك
ما جرى واخذت منى الذهب وقلت ما بقيت تبصرنى الا بخمسمائة دينار وقد
أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مديدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا

رسول

رسول الله فأسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضى فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فعجب وعقد لى عليها وباتت تلك الليلة فحملت ثم دخل العسكر فأتينا الى دمشق فما كان الا شهور قلائل وأتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردمن كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا امرأة الفارس التى عندى فسألوا عنها وألحوا فى السؤال والكشف فوشى بها أنها عندى فطلبت منى وحضرت وأنا فى شدة وقد تغيرلونى فقالت مابدالك وما الذى أصابك قلت جاء رسول الملك وأخذوا الاسارى جميعهم وطلبونى فقالت لا بأس عليك أحضرنى اليهم وأنا أعرف الذى أقول لهم قال فأخذتها وأحضرتها قدام السلطان الملك الناصر والرسول جالس عن يمينه فقلت هذه المرأة التى عندى فقال لها الملك والرسول ترومين الى بلادك أم الى زوجك فقد فك أسرك أنت وغيرك فقالت للسلطان أنا قد أسلمت وحبلت وهابطنى كما ترونه وما بقيت الفرنج تنتفع بى فقال لها الرسول يخيرها أيما أحب اليك هذا المسلم أم زوجك الفارس فلان فقالت له كما قالت للسلطان فقال الرسول لمن معه من الفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول خذ امرأتك وامض فوليت بها وقد أرسل الى عاجلا وقال ان أمها أرسلت لها معى وديعة وقالت ان ابنتى أسيرة وهى عريانة شعثة واشتهى أن ترسل لها هذا الجدان وتسلمه لها قال فتسلمت الجدان ومضينا الى الدار ففتحته فوجدت قماشها بعينه وقد صرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هما بربطتى لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهى تعيش وهى التى عملت هذا الطعام (الليلة السابعة) قصة أريب بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام القرشى وكان عبد الله بن سلام هذا واليا لمعاوية على العراق وكانت أريب هذه من أجل النساء وقتها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد سمع بجمالها وبما هى عليه من الادب وحسن الخلق والخلق ففتن بها فلما عيل صبره استهاج فى ذلك مع أحد خصيان معاوية وكان ذلك الخصى خاصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شغفه بها وأنه ضاق ذرعه بأمرها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبعث له شأنه فقال معاوية مهلا يا يزيد قال له على م تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الامل قال له معاوية فأين

جمالك ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجا ونفد الصبر ولو كان أحد ينتفع به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به قال له اكتم يا بني أمرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ أمره فيك ولا بد مما هو كائن وكانت أريب بنت اسحق مثلا في أهل زمانها الجمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه فيها فكتب معاوية الى عبد الله ابن سلام وكان استعمله على العراق ان أقبل حين تنظر كتابي لامر فيه حظك ان شاء الله تعالى ولا تتأخر عنه وأجد السير وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله ابن سلام الشام أمر معاوية أن ينزل منزلا قد هيأه وأعد فيه نزله ثم قال لابي هريرة وأبي الدرداء ان الله قد قسم بين عباده نعما أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها فحباني منها عز وجل بأتم الشرف وأفضل الذكر واوسع على رزقه وجعلني راعي خلقه وأمينه على بلاده والحاكم في أمر عباده ليبلوني أأشكر أم أكفر وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقده وينظر فيه من استرعاه الله أمره ومن لا غناية عنه وقد بلغت لي ابنة أريد أنا كحها وأنظر في تجهيل من يباعلها العل من يكون بعدي يقتدي بي في هديتي ويتبع فيه أثري فانه قد يلي هذا الملك بعدي من يغلب عليه زهو الشيطان ويزينه الى تعطيل بناتهم ولا يرون لهن كفؤا ولا نظيرا وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشي لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه فقال أبو هريرة وأبو الدرداء ان أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما خصه منها لانت أنت صاحب رسول الله وكاتبه وصهره وقال معاوية فاذكروا ذلك عني وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى غير أني لارجو أن لا تخرج من رأي ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه فاحرصي على المسارعة الى هواي وقولي لهما عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب جميم غير أن تحته أريب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فأنال منه ما يسخط الله فيه فيعذبني عليه ولست بفاعلة حتى يفارقها فلما ذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام وأعلماه

بالذي

بالذى أمرهما معاوية فردهما الى معاوية خاطبين منه فقال قد تعلمان رضاى به وحرصى عليه وقد كنت أعلمتكما الذى جعلت لها فى نفسها من الشورى فادخلا عليها وأعرضا الذى رأيت لها عليها فدخلا عليها وأعلماها ذلك وأعلماها بالذى ارتضاه أبوها فقالت كالذى قال أبوها فأعلما عبد الله ابن سلام بذلك فلما ظن انه لا يمنعها منه الا افتراق أريب أنشدهما على طلاقها وبعث بهما اليها خاطبين وأعلما معاوية الذى كان من فراق عبد الله بن سلام امرأته طالبا رضاها فأظهر معاوية كراهيته لفعله وقال لهما ما أستحسن له طلاق امرأته ولا أجيبته فانصرفا فى عافية ثم عودا الينا فيها ونأخذ ان شاء الله رضاها وكتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لاريب بنت اسحق فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها تبريا من الامر ونظرا فى القدر ويقول لم يكن لى أن أكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا وأعلماها بطلاق عبد الله امرأته ليسراها وذكرا من فضله وتمام مروءته وكريم محمدته فقالت جف القلم بما هو كائن وانه فى قريش لرفيع القدر وقد تعرفان ان التزويج جده جد وهزله جد والاناة فى الامور ممن لا يخاف فيها من المحذور فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرء فيها بحسن العذر خليقا وبالصبر عليها حقيقا وانى سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لى بالذى أريد علمه من أمره وان كنت أعلم أن لا اختيار لاحد فيما هو كائن ومعلمتكما بالذى يرتئيه الله فى أمره ولا قوة الا بالله قالا وفقك الله وخار لك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولها أنشأ يقول فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب وتحدث الناس بالذى جرى من طلاق عبد الله بن سلام امرأته وخطبته ابنة معاوية وقالوا لم يطلق حتى فرغ من طلبته له الذى كان من بغيته واستحث عبد الله أبا هريرة وأبا الدرداء فاتياها فقالا لها اصنعى ما أنت صانعته واستخيرى الله فانه يهدى من استهداه قالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد خار فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه وقد اختبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فنهم الناهى عنه والآمر به واختلافهم أول ما كرهت فلما أبلغاه كلامها علم أنه مخدوع فان المرء وان كمل له حلمه واجتمع

له عقله واستبد برأيه ليس يدافع عن نفسه قدرا برأى ولا كيدولعل ما أسروا به
واستحلوا به لا يدوم لهم سروره ولا يصرف عنهم محذوره قال وذاع أمره وفشا
فى الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه بئس
ما صنع فلما بلغ ذلك معاوية قال لعمرى ما خدعته فلما انقضت اقراءها
وجه معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها
وبها يومئذ الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فقال أبو الدرداء اذ
قدم العراق ما ينبغى لذى نهى أن يبدأ بشئ و يؤثره على مهم أموره قبل
زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة فاذا دخلت موضعا هو فيه وأديت حقه
والسلام عليه انقلبت الى ما جئت اليه فقصد الحسين فلما رآه الحسين عليه
السلام قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته من جده صلى الله عليه وسلم ولموضعه من
الاسلام وقال له ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهنى معاوية خاطبا على ابنه يزيد
أريب بنت اسحاق فرأيت على حقا أن لا أبدأ بشئ قبل السلام عليك فشكر له
الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها
اذا انقضت اقراؤها فلم يمنعنى من ذلك الا تخير مثلك فقد أتى الله بك فاخطب
رحمك الله على وعليه ليجرى من اختاره الله لها وهى أمانة فى عنقك حتى تؤديها
اليها وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله
فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل
لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستخلص ولا
للخروج عن علمه مستناص فكان ما سبق لك وقدره اليك من فراق عبد الله بن
سلام اياك ولعل ذلك لا يضرك و يجعل الله فيك خيرا كثيرا وقد خطبك أمير
هذه الامة وابن ملكها و ولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية
والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من أقر به من أمته
وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما جئتك خاطبا
عليهما فاختارى أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو كان هذا
الامر جاءنى وأنت غائب لا شخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم
اقتطعه دونك فاما اذ كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى بعد الله اليك
وجعلته

وجعلته فى يديك فاختر لى ارضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض فى قصدى بالتحرى ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس أمرهما عليك خفيا ولا انت عما طوقتك غبيا قال أبو الدرداء أيتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لاغنا لها عنك ولا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك أداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعى وخف انه بنا خبير لطيف فلما لم يجد بدا من القول والاستشارة قال يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى لك وأرضى عندى والله أعلم بخيرهما لك وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتى الحسين فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترت ورضيته فتزوجها الحسين بن على عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما وبلغ معاوية الذى كان من فعل أبى الدرداء فى ذلك نكاح الحسين اياها فتعاظمه جدا ولامه شديدا وقال من يرسل ذا بله وعمى يركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة ذهبا وكان ذلك أعظم ماله لديه وأحبه اليه وقد كان معاوية أطرحه وقطع عنه جميع رواتبه عنده لسوء قوله وتهمته انه خدعه فلم يزل يجفوه حتى عيل صبره وقل ما فى يده ولام نفسه على المقام لديه فرجع الى العراق وهو يذكر ماله الذى استودعه اياها ولا يدرى كيف يصنع فيه واين يصل اليه وهو يتوقع جحودها السوء فعله بها ولانه طلقها على غير شئ أنكره عليها فلما قدم العراق لقى الحسين فسلم عليه ثم قال له قد عرفت ما كان من خبرى وخبر أريب وكنت قبل فراقى اياها قد استودعتها مالا عظيما وكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها فى طول صحبتها فتيلا ولا أظن بها الا جميلا فذاكرها أمرى وأحضضها على رد مالى على فان الله يحسن عليه ذكرك ويحرك به أجرك فسكت عنه فلما انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو يحسن الينا عليك ويحمل النشر عنك فى حسن صحبتك وما أنسه قديما من أمانتك فسرنى ذلك وأعجبنى وذكر أنه كان استودعك مالا فأدالية أمانته وردى عليه ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقا قالت صدق استردعنى مالا لا أدرى ما هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه ما حول منه شئ الى يومه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى

عليها الحسين خيرا وقال الا أدخله عليك حتى تبرئ اليه منه كما دفعه اليك ثم لقى عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها وتوف مالك منها قال عبد الله أو تأمر من يدفعه الى قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أدته اليك فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأد اليه أمانته فأخرجت اليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت هذا مالك فشكر وأثنى وخرج الحسين عنهما وفض عبد الله ختوم بدره وحثى لها من ذلك وقال خذى فهذا قليل منى فاستعبرا جميعا حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذى سمع منهما فقال اشهدا نهاطالق ثلاثا اللهم قد تعلم أنى لم أستنكحها رغبة فى مالها ولا جمالها ولكنى أردت احلالها لبعلها فطلقها ولم يأخذ شيأ مما ساق لها فى مهرها فسألها عبد الله أن يصرف للحسين ما ساق لها فأجابته شكرا لما صنعه بهما فلم يقبله الحسين وقال الذى أرجوه من الثواب خير لى فلما انقضت اقراؤها تزوجها عبد الله بن سلام وبقيا زوجين متصافيين الى أن فرق الموت بينهما وحرمها الله يزيد بن معاوية نقلتها من تاريخ ابن بدرون

(الباب الحادى والعشرون فى الشعراء المجيدين وهو مقدمة ونتيجة)

أقول لابد من مقدمة ينتفع بها الطالب لهذا العلم لئلا يخلو كتابنا من ذلك الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى والمعنى للشعر بمنزلة المادة واللفظ بمنزلة الصورة وهو يشتمل على أربعة أشياء لفظ ومعنى ووزن وقافية وتهذيبه أن يكون اللفظ سمحا سهل المخارج حلوا عذبا وتهذيب الوزن أن يكون حسنا تقبله النفس والغريزة غير منكسر ولا متزحف وتهذيب القافية أن تكون سلسلة المخارج مألوفة فان القوافى حوافر الشعر وأن يقصد الكلام الجزل دون الرذل ولا يعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والخواطر ينابيع واذا رفق بها جمت واذا عنف عليها مرجت وليترنم بالشعر وقت عمله فانه يعين عليه وقد يتخيل الشاعر الشعر الجيد فيمكنه

مرة ولا يمكنه أخرى واياك وتعقيد المعانى واجعل المعنى الشريف فى اللفظ اللطيف لئلا يتلف أحدهما الآخر ومتى عصى الشعر فاتركه ومتى طاوعك فعاوده وروح الخاطر اذا كل واعمل فى أحب المعانى اليك وفى كل ما يوافقه طبعك فالنفوس تعطى على الرغبة ولا تعطى على الاكراه واعمل الابيات متفرقة على ما يجود به الخاطر ثم انظمها فى الآخر وحصل المبدأ والمقطع والخروج فهو أصعب ما فى القصيدة فاذا فعلته سهل عليك واشعرها أولا وهذبها أخرا فقد قيل عن زهير انه كان يعمل القصيدة فى شهرين ويهذبها فى حول ولذلك سمى شعره الحولى المنقح قال الخوارزمى من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجى الحطيئة وهاشميات الكميت وقلائص جرير وخمريات أبى نواس وتشبيهات بن المعتز وزهريات أبى العتاهية ومراثى أبى تمام ومدايح البحترى وروضيان الصنوبرى ولطائف كشاجم ولم يخرج الى الشعر فلا شب الله قرنه واذا نثرت منظوما فغيره قوافى شعره عن قرائن سجعه واذا سرقت معنى فغير الوزن والقافية ليخفى ذلك واذا أخذت شعرا فزد على معناه وانقص من لفظه واحترز مما يطعن به عليك فحينئذ تكون أحق من قائله به وأن لا يكاتب العامة بكلام الخاصة ولا بالعكس وأكثر من حفظ النظم والنثر فعلى قدر ما يحفظ منه يقوى فيه واعلم أن الشعر يسخى البخيل ويشجع الجبان ويفرج الهموم ويرضى الغضبان وكذلك قالوا الشعر بعد من السحر وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا (وقال الشافعى) فى كتاب الام والشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام أنه سائر فى الناس يبقى على الزمان فينظر فيه وان كان حسنا كان كغيره من الكلام الحسن انتهى (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى فى خطبة ديوانه ويكفى من تفضيله أن النبى صلى الله عليه وسلم استنشد بعض الصحابة من شعر أمية فأنشده مائة قافية وكانت الصديقة تحفظ للبيد ألف بيت وافية وكان الشعبى يقول لو شئت أن املى عليكم من انشادى شهر الأعيد بيتا لفعلت وكان الاصمعى يحفظ اثنى عشر الف ارجوزة ومازال السلف يحفظون الشعر قديما ويتخذونه فى الخلوات نديما وينشدونه فى مواطن المؤانسه ويوردون دقائقه فى ساعات المجالسة ولو أوردنا ما ورد فى فضله من الآثار المسندة والاخبار

الممهدة لوقف الناظر منها على حجج قوية ومحجة ضوية ولقد كان جماعة من العلماء الراسخين والائمة الورعين لهم فى صناعة الشعر الغاية وانتهوا فى الاجادة فيه الى النهاية يعرف ذلك من وقف على تراجمهم واحصاها وطالع أخبارهم واستقصاها (وحديث) أحنوا فى وجوه المداحين التراب فالمراد به الغلو والاطراء واستقباح المدح المفرط كلاما وشعرا ونظما ونثرا ولا يختص ذلك بالشعر وحده لما يخشى من افتتان سامعه عنده (وقال أبو بكر الهذلى) قال لى الشعبى أتحب الشعر قلت نعم قال انما تحبه فحول الرجال ويكرهه مؤنثوهم ثم ان الناظمين لارواح الالية أفراد والظافرين بفرائده ذوو انفراد والسالكين للمناهج الفاصلية أضمرتهم البلاد والمقتفين لمنار السراج والمتحلين بحلية الجمال قلت منهم الاعداد والمؤلفين لعقودها المتواتر مدحها أجادوا بما اذعانه اغماد وجهال ملهم بالاشعار اشعار راموا الوصول الى معانيه اللطيفة بطباع كثيفة وحاولوا أسبابه الخفيفة بنفوس ثقيلة وأسبابه الثقيلة بعقول خفيفة لا يظفر أحدهم بأبيات أوتاده وان كان فى عتوه ذو الاوتاد ولا يتجملون من ملابسه بما يسترهم وان تعصبوا أو نقبوا فى البلاد ولا يحيبون من ألفاظهم اليابسة الا بما يقال لهم اذا قطعوه جابوا الصخر بالواد فيقال لجيدهم اذا أتى بلفظ وزنه وأخلاه من المعانى الحسنة اذا كنت لا تدرى سوى الوزن وحده فقل أنا وزان وما أنا شاعر ثم ان منهم من يظفر بمعنى ولكن يقلبه تركيبا ويركبه مقلوبا ويأتى بجمل غير مفيدة وقد قلت فى ذلك من قصيدة

وشاعر بالمعانى لا شعور له * مركب الجهل يبدى سوء تركيب
موكل بمعانيه يحرسها * فما يركب معنى غير مقلوب

فما أولاه بأن يركب على نفسه مقلوبا ويضرب بأذنه على سوء الادب تأديبا انتهى كلام القاضى برهان الدين (وقال) الشيخ الامام العالم المفنن النحوى العروضى القاضى زين الدين عمر بن الوردى فى خطبة الكلام على مائة غلام ولعمرى ما أنصفنى من ساءنى الظن أو قال عنى كيف رضى مع درجة العلم والفتوى بهذا الفن فالصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (وقال أبو بكر الخوارزمى) فى مدحهم ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود

الامنهم والكذب مذموم الافيهم اذا ذموا أثبتوا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا أفتروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ فى الاعراض اذا بثت سهامهم عند الاعراض وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد عليها عدل سرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل هم أمراء الكلام يقصرون طويله ويقصرون مديده ويخففون ثقيله (وقال الحسن ابن سهل) لا تكسد صناعة الشعر الا فى شر زمان وأخس سلطان (ومن حيلهم) اللطيفة ماذكره أبو الفتح كشاجم فى كتابه المصائد والمطارد وهو ان بعض الملوك كان كثير الاشتغال بالصيد منهمكا فيه وكان بعض الشعراء قصده فتعذر ما أمله وحال بينه وبينه الحجاب لكثرة الفه بالصيد فعمد الشاعر الى رقاع لطاف وكتب فيها ما قاله من الشعر فى مديحه وصاد عنده من الظبا والارانب والثعالب وشد تلك الرقاع فى أذناب بعضها وآذان بعض ورامى خروجه الى الصيد فلما خرج كمن له فى مظانه ثم أطلقها فلما ظفر بها ورأى تلك الرقاع استبشر وزاد فى استظراف الرجل واستلطفه وزاد فى رعى ذمامه وأمر بطلبه فأحضر ونال منه خيرا كثيرا (وقريب) منها سأل رجل فخر الملك وزير بنى بويه حاجة وأمله فلم يعطه شيأ فمضى الرجل الى القاضى واستدعى على بن نباتة الشاعر فلما جاءه الرسول قال والله ما لاحد على دين ولا بينى وبين أحد معاملة ولا محاكمة فمن خصمى أحضره حتى أرضيه فلما جاءه الرجل قال ما حقك حتى أوفيك قال له أنت قلت فى شعرك حيث مدحت فخر الملك بقولك

لكل فتى قرين حين يسمو * وفخر الملك ليس له قرين
أناخ بجنابه وانزل عليه * على حكم الرجا وأنا الضمين

فأنت قد ضمنت لى ونزلت عليه فلم يفعل والضمين غارم فما أعطانى شيأ فقال أمهلنى حتى أصل اليه فلما دخل على فخر الملك أخبره بالقصة فقال له وكم أملت

منه فقال مائة دينار فقال ادفعوها اليه ثم قال لابن نباتة اذا مدحتنى فلا تضمن عنى (توفى ابن نباتة المذكور سنة خمس وأربعمائة ومولده سنة سبع وعشرين وثلثمائة) وقال فخر الترك أيضمر المجنوى يمدح السلطان الملك الصالح أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل تغمدهم الله برحمته ويذكر بنيانه للجزيرة المسماة بالروضة وجلوسه بالمقياس وأولها

الروض مقتبل الشبيبة مؤنق * خضل يكاد عصارة يتدفق

وقد ذكرت اوائلها فى باب الروضات والبساتين ثم ذكرت منها الخمريات الى مبتدا هذه الابيات

ايه مديحى لانفصال قصيدة * يوم الرهان ولا محولك ضيق
هذا مقام الملك حيث تقول ما * تهوى وتطيب كيف شئت فتصدق
فى حيث لا شرف الصفات بمعوذ * فيه ولا باب المدايح مغلق
ملك يلوذ الدين منه بمعقل * أسس سطاه سورة والخندق
لوان سر الملك فيه محنف * قامت شمائله عليه تنطق
هدأت بسيرته الرعية واغتدى * قلب الحسود من المهابة يخفق
فالدين بعد تفرق متجمع * والكفر بعد تجمع متفرق
الصالح الملك الذى آياته * عقديه جيد الزمان مطوق
عرق الرعية بمن دولته التى * فيهم تأكد عهدها والموثق
جمعت كما اقترح الرجاء الى الغنى * امنا فقد رزقوا الذى لم يرزقوا
فالله نحمد ثم أيوب الذى * أمن الغنى به واثرى المملق
تطل بهم عداته بسنائه * عشقا وقد لمح مما يعشق
فيضمه ضم الحبيب قلوبها * يوم الوغى وهو العدو الازرق
أيات ملكك معجزات كلها * ومدى اهتمامك غاية لا يلحق
شيدت أبنية تركت حديثها * مثلا يغرب ذكره و يشرق
من كل شاهقة تطل تعجبا * من هول مطلعها الكواكب تسهق
ليس الرخام ملونا فكأنه * روض يفوقه الربيع المغدق
واحتال فى الذهب الصقيل شغوفه * فكأنه شفق الاصيل المشرق
يا حسنها والنيل مكتنف بها * كالسطر مشتمل عليه مهرق

فكأنما

فكأنما طرف اليه ناظر * وكأنه جفن عليه مطبق
وافاه مصطفقا عليه موجه * فكأنما هو للسرور مصفق
وتجاذبت أيدى الرياح رداءه * عنه فظل رداؤه يتمزق
وسرى النسيم وراهن برفقه * فرقى الذى عذب الرياح يمزق
تلك المنازل لاحديث يفترى * عما سمعت ولا العراق وجلق
لله يوم كان فضلك باهرا * فيه ومنك جماله والرونق
يوم تحلى الدهر منه برونق * لما غدا المقياس وهو مخلق
هو ثالث العيدين الا انه * للهو ليس على العبادة يطلق
جمعت لمشهده خلائق غادرت * فيه رحيب البر وهو مضيق
وعلا عباب البحر من سباحه * أمم يغص بها الفضاء ويشرق
كادت تبين لهم على صفحاته * طرق ولكن يعيقون وترتق
لم يمش مركوب بهم فنفوسهم * حشوا النحاك ما تحث الانيق
حفت جسومهم لفرط صبابة * هزت اليك فخاشوا ان يغرقوا
وفدوا اليك مموهين بأخذما * تعطى وأكثر سؤلهم ان يرمقوا
منجردين عن المخيط لانهم * حجاج بيتك غير أن لم يحلقوا
طافوا به سبعا على وجناتهم * سعيا وأرخى ستره فتعلقوا
والناس شاخصة اليك عيونهم * كل يحدد طرفه ويحدق
ظمئت نفوسهم اليك فلم يكن * صدر يقربه فؤاد شيق
متطلعين كما تطلع صائم * لبرى هلال العيد ليلة يرمق
حتى اذا قضيت مناسك كعبة المقياس وهى لكم عوائد سبق
وشكرت ربك فى الزيادة طامعا * ولشاكر النعماء المزيد محقق
ومددت للتخليق أكرم راحة * أضحى المخلوف بطيبها يتخلق
أقبلت تنظرك العيون فتثنى * حسرى وبلحظك القلوب فتطرق
تمشى الهوينا قد علتك سكينة * كادت قلوب القوم منها تصفق
متتوجا تاج الجلالة لابسا * حلل الوقار وأنت فيها أليق
وقد امتطى بمنى يديك مهندا * غصنا بروق النصر منه يبرق
حتى انتهيت الى مقر كرامة * بالنيرات مزخرف ومنمق

فجلست حيث جلست منه بزينة * شرفا وطاف بك الملوك وأحدقوا
كل يغض من المهابة طرفه * فتراه وهو لغير فكر مطرق
والنيل مضطرب الغوارب مزبد * صب اليك فؤاده متشوق
لو يستطيع سعى فقبل راحة * هو فى السماح بخلقها يتخلق
فرأيت منك ومنه تجرى رحمة * يتبارزان كلاهما يتدفق
أطعمتهم لما سقى فعليكما * رزق العباد كلا كما يسترزق
لكن بينكما على ما فيكما * من نسبة فى الجود فرقا يفرق
تحصى الاصابع جوده لحسابها * لكن حساب يداك ليس يحقق
ويفيض ذا فى كل عام مرة * وبحار جودك كل حين يدفق
ويخص ذا قوما وجودك يستوى * فيه الانام مغرب ومشرق
وندالك لامنّ يكدره وذا * يمنن فهو لاجل ذاك مريق
لما غدا المقياس مقسم راحة * يحيى الرعية فيضها المتدفق
أكبرت أن تعلو الملابس عطفه * فكسوته أنوار شمس تشرق
انسانه خلقا جديدا ما رأى * راءله شبها ولا هو مخلق
حرم الخلافة حله من ربه * ملك بمقلته الخلائق ترمق
ذو معنيين فللتمنع معقل * صعب المرام وللتمتع حوشق
أخذ الوقار عن المشيب وربه * لكن عليه للشبيبة رونق
أيوان كسرى حيث شئت رأيته * منه وأدنى ما هنالك خورنق
حصن تمرد صنعه لامارد * وعلا فعز مناله لا الابلق
دغنت به هوج الرياح فماجرت * فى كرة الا بقلب يخفق
وكأنما هو فى النجوم ملمح * وكأنما هو فى النجوم محلق
هذا الذى أعيى الملوك وجوده * من بعد ما حاموا عليه وحلقوا
أدركت بالتمكين ما لم يدركوا * ورزقت بالتوفيق ما لم يرزقوا
فانقض وواترهم فالقضاء مسدد * والسعد مكتنف وأنت موفق

(قال) شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبى الوفا الموصلى الشهير بابن الخلاوى (مولده سنة ثلاث وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وستمائة) يهنئ الملك الرحيم صاحب الموصل بدار بناها

يا

يادار نال العلا والجد يأتيك * حاشاك مما تمنيه أعاديك
عدنا اليك على رغم العداة فكم * بتنا نحث الاغانى فى معانيك
وكم جلونا عروس الراح مشرقة * وكم خلونا بمن نختاره فيك
أصبحت بالعين للذات منزلة * فكل عين لمن عداك تفديك

(قال) الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة يهنئ بدناء دار

ودار علت قدرا على الدور مثلما * علا ربها بالمكرمات على الورى
مطابقة الاوصاف أمانسيمها * فصح وأماماءها فتكسرا
تكرر فيها النبت دهنا وروضة * فلله ما أحلا نباتا مكررا
وشيدها رب الفضائل والندى * فيا حبذا دار القرا آه والقرا
تذكره دار النعيم بطيبها * فيسعى لجنات النعيم كما ترى
لقد زادها فى الحسن يوسف فاغتدت * تباع بمرآها القلوب وتشترا

(والمليح) فى هذا المعنى قول أسجع السلمى

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام
أجرى الامام عليه نهرا منعما * أعطى القيادوما عليه زمام

(ومنها) فى المديح وأجاد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

(قلت) الشئ بالشئ يذكر وما أحسن ماضمن هذه الابيات الشيخ برهان الدين القيراطى رحمة الله عليه وقال

ومشرف ان زاد تشريفا * فقد خلعت عليه جمالها الايام
هو جامع للحسن الا أنه * قصر عليه تحية وسلام
وعلى العدى من نقشه وطروسه * رصدان ضوء الصبح والاظلام

(وقال) على بن الجهم رحمة الله عليه

وفيه ملك كأن النجو * م يقضى اليها بأسرارها
تخر الملوك لها سجدا * اذا ما تجلت لابصارها
وفوارة نارها فى السما * ء فليست تقصر عن نارها
ترد على المزن ما أنزلت * على الارض من صرر أمطارها

(ونقلت) من كتاب رفع الحجب المنشوره على محاسن المقصوره من الجزء الاول تأليف العلامة قاضى الجماعه بحظيرة غرناطه الشريف المرحوم والخطيب بها أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسينى رحمه الله تعالى وهذا التأليف من العجائب المخترعه ألفه شرحا لمقصورة الامام الاوحد أبى الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم الانصارى العرطاجى تغمده الله بالرحمة (قلت) ذكر العلامة لسان الدين محمد بن الخطيب فى تاريخه المسمى بالاحاطة ان مولد الشريف الحسينى سنة سبع وتسعين وستمائة ووفاته سنة ستين وسبعمائة قال الشارح ويتعلق بذكر المقالة ماذكره أبو عبد الله بكر بن عباس كاتب المنصور أبى يوسف يعقوب قال كان لابى بكر بن مجير عادة على المنصور فى كل سنة فصادف المنصور فى احدى وفادات فراغه من احداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من ببابه المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوها اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتحريضه على الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجير فأنشده قصيدته التى أولها

أعلمتنى القى عصا اليسا * رفى بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها

طورا تكون بمن حوته محيطة * وكأنها سور من الاسوار
وتكون طورا عنهم نجيبة * فكأنها سر من الاسرار
وكأنما عملت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
تبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات بالاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها (ومن لطيف) بداية الشعر بحضرة ملوكهم ماذكره القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى كتابه مسالك الابصار فى ترجمة مجير الدين بن تميم (حكى) ان الملك المنصور استدعاه فى ليلة غفل رقيبها وحضر ربيبها وسحبت من سود الذوائب ظفائرها وسجنت من بيض الايام ضرائرها الى مجالس مزخرف وفواكه لم تخرق واما مه جدول قد خرماه

فتكسر وأن عليه كل بارق وتحسر والكؤس دائره والشموس فى أيدى البدور سائره فلما رأى الجدول وقد أصابته من العين نظرة فتعثر وسقط عقد لؤلؤه وتنثر نظر اليه وقال رحمة الله عليه

ياحسنه من جدول متدفق * يلهى بروقق حسنه من أبصرا
مازات أبذره عيونا حوله * خوفا عليه ان يصاب فيعثرا
فأتا و زاد تماديا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

فسر المنصور بأبياته وأحب استطلاع خبا ياته وأمره بالجلوس اليه وجعله أرفع القوم لديه ولم يستقر به المكان ولا قعد ولا استكان حتى تحرك المجلس لغلام ورد كالغمام يبسم عن برد فقال له المنصور بصوت يخفيه ماتقول فيه فقال

بأبى أهيف تبدى وحى * بابتسام عدمت منه اصطبارى
فأرانى بوجهه وثنايا * ه نجوما طلعن وسط النهار

فقال له سرا وقد أسفر وجهه وتسرا الا انه شديد النفار من المدام وله قرع بالملام فهل تقدر على استلانته وتسهيل بأسه واستهانته فما قطع المقال حتى التفت اليه بن تميم وقال

اتهجرها صرفا لاجل خمارها * وذلك شئ لو جرى غير ضائر
فلا تخش من داء الخمارى وعاطها * هنيئا مريا غير داء مخامر

(فكاد) الغلام يسطو عليه كالعائب وقال له كالعابث ماهذه فقال

صفراء لو لاحت لشمس الضحى * من قبل أن تطلع لم تطلع
أحسن مافى وصفها أنها * لم تجتمع والهم فى موضع

فقال بل أشرب خيرا منها وأدع المنهى عنها نم انه أتى بركة فعب من مائها وأرى وجهه خيال قمره فى سمائها فقال

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشرعا
أبدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

ثم لم يزل به حتى شرب ولذ معه ليلة وطرب فلما طلع ابن ذكا وأنار الصبح وأضاء شكر له المنصور حل عقدة الغلام وقال مثلك من سحر بالكلام ثم أحسن له الجائزه وغدا ابن تميم ويده لها جائزه (وحكى) عنه أنه استدعاه فى صبيحة يوم أبيض

ونوبات ياسمينه على الارض تنغض والثلج قد نثر كافوره والجليد قد كسر بلوره والسحائب قد أصحبت ذيولها مجروره والبرق قد تلون طول ليلته حتى أخرجها من صورة الى صوره وأوانى الزجاج قد شقت من وراء مدامها والدنان قد فك عنها ختام قدامها ورجال الراح قد زادت فى اقدامها والساقى بعذار كأنما كتب بالريحان أو نسج بالزمرد نبت ألحان وتحت عذاره خيلان قد خبأت مسكها فزاد تضوعا وكثر طيبه تنوعا قد تأرج نشرها وفاح وعلم بنقطها فى خده أنه قديم وصف التفاح فلما دخل عليه فى بكرة ذلك اليوم الاغر ورأى الدنيا ضاحكة تغتر أنشده

يا أيها الملك الذى بسطت له * بالجود كف دهرها لم تقبض
دنياك مذ وعدت بأنك لم تزل * فى نعمة وسعادة لا تنقضى
كأن الدليل على وفاها أنها * أضحت تقابلنا بوجه أبيض

فأجزل له الصله ولم تكن عوائده بمنفصله (ذكر) ابن ظافر فى بدائع البداية ان المعتمد بن عباد كان جالسا فمر عليه بعض خطبائه فى غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها فسكب عليها اناء ماء ورد فعجب من حسنها وجمالها فقال

وهو يت سالبة النفوس عزيزة * تختال بين أسنة وبواتر

واستجان النحلى وهو على الباب فقال

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى ورق الندى * يلتف فى ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد عنبر شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن حديثها * زهو المؤيد بالثناء العاطر

فلما قرأها استحسنها وقال له أو كنت معنا جالسا (وقال) محاسن الشوى

وحولك من كماة الارض شوس * غلا ئلها الجواشن والدروع
قد اعتقلوا ذوائب كالافاعى * اذا اضطربت عوامله تروع
تلوك اللجم تحتهم جياد * سلاهب ما بها عطش وجوع
صدمت بهم فريق الترك حتى * تهدم ركن جمعهم المنيع
فكروا والصوارم تستضاء * بأيديهم فعلقها النجيع

(وقال) الصليحى الداعى رحمه الله

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم * فرؤسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها * الا بحيث تطلق الاعمار

(وقال) ابن رشيق الازدى

لو أورقت من دم الابطال سمر قنا * لاورقت عنده سمر القنا الذبل
اذا توجه فى أولى كتائبه * لم تفرق العين بين السهل والجبل
فالجيش ينفض حوليه اسنته * نفض العقاب جناحيها من البلل

(العلامة) ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (مولده سنة ثلاثة عشر وسبعمائة وتوفى تقريبا سنة خمس وسبعين وسبعمائة)

لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل
لله قومك عند مستجر القنا * اذ ثوب الداعى المهيب واقبلوا
قوم اذا الفج الهجير وجوههم * جبوا برايات الجهاد وظللوا

وقال السيد الفاضل شمس الدين محمد بن الصاحب موفق الدين الآمدى

واذا سرى يلقى السنابك ضعف ما * يراه فوق الطروس من الجفا
مزاج كأس الراح من ماء الظبا * كما أسال من النجيع القرقفا
كأس العجاج ترى الكماة شخوصها * والبيض فوقهم حباب قد طفا
خضب النجيع لكل سيف معصما * ولكل رمح أصبعا قد طرفا

(وقال) عبد العزيز بن نباتة

وولوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
كتبنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(وقال) الشهاب محمد يمدح الاشرف خليل بن قلاون

فصبحتها بالجيش كالروض بهجة * صوارمه انهاره والقنا الزهر
وأبدعت بل كالبحر والبيض موجه * وجرد المذاكى سفن جودك الدر
وأغربت بل كالليل عوج سيوفه * أهلته والنبل أنجمه الزهر
وأخطأت لا بل كالنهار فشمسه * جيوشك والآصال راياتك الصفر

(وقال) الاسعد بن مماتى يمدح الظاهر غازى

أسكران نديم العدو غاز * وأسماء الملوك لها حلاها
كأن السمر ريشها طوال * فكم نفس بهن قد استقاها
اذا اكتحلت عيون من عداة * بغير حيلة وجدت عماها
وأطمع نفس أسمره وأضحى * يفتش عن نفوس ماخباها
كأنك خلتها سترت كمينا * فتطعنها لتبصر ماوراها
سل البيت المقدس عنه يخبر بسورة فتحه لما تلاها
محا الناقوس والصلبان عنه * وأثبت هل أتى فيه وطاها

وقال التهامى رحمة الله عليه

ودحوا فويق الارض أرضا من دم * ثم أثبتوا فثنوا سماء غبار
قوم اذا لبسوا الدروع حسبتها * سحبا مزررة على أقمار
وترى سيوف الدار عين كأنها * لجج تمد بها أكف بحار
حشوا الجياد من المطى وراوحوا * بين السروج عناك والاكوار
وكأنما ملؤا عباب دروعهم * وعمود نصلهم شراب قفار

(وقال) سبط بن الجوزى لما صالح الكامل الفرنج على دمياط وعاينوا الهلاك أرسلوا اليه يطلبون الصلح والرهان ويسلمون دمياط فحن حرص الكامل على خلاص دمياط منهم أجابهم ولو أقاموا يومين أخذوهم برقابهم فبعث اليهم الكامل ابنه الصالح أيوب وابن أخيه شمس الملوك وجاءت ملوكهم الى الكامل فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ووصل المعظم والاشرف فى تلك الحال الى المنصورة وذلك فى ثالث رجب سنة ثمان عشرة وستمائة فجلس الكامل فى خيمة عظيمة كبيرة عالية ومد سماطا واحضر ملوك الافرنج والخيالة ووقف فى خدمته اخوته المعظم والاشرف وغيرهما وقام شرف الدين زاج الحلى وأنشد

هنيأ فان السعد راح مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا بدا لنا * مبينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله * الطغاة وأضحى بالمراكب من بدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام مجردا

فلم

فلم ينج الا كل سلوجندل * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكفر فى الارض رافعا * عقيرته فى الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا يخدمون محمدا

(وقال) الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغنى أنه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمدا الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق (وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى فى شرح لامية العجم أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدنى من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن محمد بن يوسف المهمندار فى السلطان الملك الظاهر لما خاض الفرات

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تطفح فى العجاج الاكدر
وسنا الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير
وقد اطرخم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجتر
لرأيت سدا من حديد مائد * فوق الفرات وفوقه نار ترى
ظفرت وقد منع الفوارس ردها * تجرى ولولا خيلنا لم تشكرى
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الربا * ومن الفوارس أبحرا فى أبحر
لما سبقنا أسهما طاشت لنا * منهم الينا بالخيول الضمر
لم يفتحوا للرمى منهم أعينا * حتى كحلن بكل لدن أسمر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
ما كان أجرى خيلنا فى اثرهم * لولا انها برؤسهم لم تعثر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة * ولكم ملأنا محجرا من محجر
ملأوا الفضاء فعن قليل لم ندع * فوق البسيطة منهم من مخبر
سدت علينا طرقنا قتلاهم * حتى جنحنا للمكان الاوعر
من كل أشهب خاض فى بحر الدما * حتى بدا لعيوننا كالاشقر
وجرت دماءهم على وجه الثرى * حتى جرت منها مجارى الانهر
والظاهر السلطان فى آثارهم * يدوى الرؤس بكل عضب أبتر
ذهب العجاج مع النجيع بصقله * فكأنه فى غمده لم يشهر

(وقال) الاديب الفاضل الكامل الترحال جواب الآفاق برهان الدين

ابراهيم الساحلي الشهير بالطوبخي المغربي ذكره العلامة لسان الدين ابن الخطيب في الاحاطة وأثنى عليه الثناء البالغ وذكر ان وفاته سنة سبعمائة وتسعة وثلاثين من قصيدة مطولة مدح بها أحد ملوك اليمن وأولها

خطرت كمياد القنا المتناظر * ورمت بألحاظ الغزال الاعفر
تسجى على الخد النقاب وانما * ترخى الغمام على الصباح المسفر
فتخال فوق الروض ظل أراكة * وعلى ثرى الكافور رملة عنبر
وبملمع الصدغين مطرز وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر
من أمره زحفوا بعسكر تبع * وتقلدوا بعزائم الاسكندر
السائمين الرمح من خلل الظبا * والنجم من طرف السنان الازور
والمطعمين الاسد من أمثالها * أسلا كل مجندل ومعفر
والمخالعين على الزمان ملابسا * نظمت مفاخرهم كنظم الجوهر
سلوا أسنته الضحى يوم الوغى * فيعيدها بالليل أين العثير
وجياده بالعاديات وبيضه * بالقارعات وكفه بالكوثر
قابل برعبك جيش صدك تثنى * واضرب بعزمك قبل سيفك تنصر
فرؤس من عاديت أغماد الظبا * ودماء من ناويت زى السمهرى
جرع عدوك فضل كأس قدستى * منها أبوه فان أبى فليجبر
أعمد ذؤابته التى لم تستتر * وحمام مزنته التى لم تمطر
أرسل عليه عقاب عزم صادق * يستاق روح لعامه المستشر
مزق ثياب العز عنه وخل فى * عطفيه حاشية الرداء الاحمر
هذى قواعد ملكه مدت الى * عليك جيد اللائذ المستنصر
ضاقت يداه بها وقل نصيره * فيها فطلقها طلاق المعسر
خذها اليك محاجة من شاعر * غاصت اليك بأبحر لم تسجر
مرضى العيون كليلة أجفانها * ان لم تتر انسانها لم تبصر
وقف ابن أوس دونها وتخضبت * فى نسج حلتها أكف البحترى
واسحب ذيول العز فى أرض الندى * واركب ظهور الشهب يوم المفخر
واضرب رواق العز فى أرض العلى * وارفع سماك الفخر فوق المشتر

(وقال) القاضى الفاضل تغمده الله برحمته

اهذه

أهذه سير فى المجد أم سور * وهذه أنجم فى السعد أم غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها فى الجهادرر
وأنت فى الارض أم فوق السماء ففى * يمينك البحر أم فى وجهك القمر
يقبل البدر تربا أنت واطئه * فللتراب عليه ذلك الاثر
نأى به الملك حتى قيل ذا ملك * دنا به الجود حتى قيل ذا بشر
فى كل يوم لنا من مجده عجب * وكل يوم لنا من ذكره سمر
نظرت فى نجمه فالسعد طالعه * لا ينقضى وعلى أمواله سفر
أبو الفوارس والابطال مشفقة * وهم بنوك فما تبقى ولا تذر
يلقى عروس المنايا وهى حاسرة * وخدها فيه من فيض الدما حفر
والضرب بالبيض من آثاره عكن * والطعن بالسمر من آثاره سعر
ورب ليلة خطب قد سريت بها * وما سرى كوكب فيها ولا قمر
سمت الغويص بعزم ماله ضجر * ولبعيد ببساع مابه قصر
وأنت فى جيش رأى لاغبار له * ترمى العداة بقوس مالها وتر
هى الحروب التى لا السيف منثلم * فيها ولا الذابل اللحظى ينتظر
فى كعبة للندى لوحلها ملك * هب النطاق حتى قيل ذا حجر
وسائل لى ما العليا فقلت له * فى فعله الخير أو فى قوله الخبر
ما أنصفت مجده نظام سيرته * ان الذى سطروا فوق الذى سطروا
نال السما بأطراف القنا فبدت * من النصول عليها أنجم زهر
لا يحدث النصر فى أعطافهم مرحا * حتى كأنهم بالنصر ما شعروا
أجر وادما العدا بين الرماح فما * يقال ما عندهم ماء ولا شجر
نرى غرائب من أفعال مجدهم * يردها الفكر لو لم يشهد النظر
خلائق فى سموات العلا زهر * منها تنير وفى روض الثنا زهر
الناس أضيافكم والارض داركم * فهو المقام فلم قالوا هوا السفر
ما أنصف الشكر لولا ان تسامحنا * فأنت تطنب جودا وهو يختصر

(الباب الثانى والعشرون فى الحذاق المطربين)

قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الطيبة فان النفس اذا حزنت

خمدنورها واذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد (وكان) حكماء الهند يسمعون الغناء للمريض ويزعمون أنه يخفف العلة ويقوى الطبيعة والغناء غذاء الارواح كما أن الاطعمة غذاء الاشباح (وقال) معاوية وقد سمع عنده مغن حرك رأسه وصفق بيده ودخلته أريحية ثم لما تاب رأيه اليه اعتذر منه ان الكريم طروب ولا خير فى من لا يطرب (وقال) أبو الحسن بن مقلة يعجبنى من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا ويغنى تطربا لا تطلبا * الشئ بالشئ يذكر وما ألطف قول الشيخ برهان الدين الغيرطى من قصيدة

بابى غنى ملاحة أشكوله * فقرى فيصيح بالغنا يتطرب

(وكان) مروان بن أبى حفصة اذا تغذى عند الموصلى يقول له الغناء غذاء الارواح كما أن الشراب غذاء الاشباح (يقال) السماع كالروح والخمر كالجسد والسرور ولدهما (اعلم) ان بين الخمر والغناء مناسبة فى أكثر الاحوال ومضارعة فيما يجمعانه من محمود الخصال لان فيه ما يصير الجبان اذا سمعه شجاعا ومنه ما يكون للهم دفاعا ونغمه يبعث الشحيح على السخاء ومقابله سؤال السائل بالعطاء وفيه ما ليس فى الخمر من الخصائص العجيبة الامر وذلك أن الرجل الواحد يغنى له فى طريقه فيلين خلقه ويغنى له فى غيرها فتظهر شراسته وترفه واذا سمع ضربا منه استنفره واذا غنى بصوت آخر لم يمكن العواصف ان تهزه وفيه ما يبكى سامعه ولممازجة الاصوات الحسنة للارواح واهدائها الى القلوب ظرائف الافراح كانت البهائم اذا سمعتها تحن اليها والطير يشغف بها ويطرب عليها والابل يكسبها الحداء مثل ما يكسب الانسان الغناء والخيل والبغال والحمير تلذ شرب الماء اذا تواصل من ساقيها الصفير والحمامة المطوقة والشحاريز والبلابل والزرازير والهزار دستانات وغيرها من الطيور المستحسنة الاصوات تسمع أصواتها فيبين منها الطرب وذلك داعيها الى تكريرها ولاجل ذلك يتخذها الملوك فى قصورهم ويجعل أماثل الناس كثيرا منها فى دورهم وان كانت أصواتها لا تدل على معنى رائق يعلم ولا تتضمن ما يعرب عنه الكلام الذى يفهم فما ظنك بالالفاظ التى يسمعها السامع فيعيها ويفهم ما يفيده اياه من معانيها اذا أدركها لحنة ممن خصوا بصفاء الخلق والنغمات المستحسنة ولهذه العلة صار من سمع غناء المحسن يشرب من النبيذ عليه أزيد مما يحتمله حاله اذا لم يصغ اليه

اليه ويستمرئ الكثير منه مع سماعه وان كان يثقل عليه قليله اذا خلا من استماعه وقد علم ان الصبي الطفل اذا انزعر خلقه واتصل بكاؤه لوجع يناله أو ضجر يجده وصوتت له دادته بكلام تلحنه وتراجعه سكن قلقه أو سمع من منومته مثل ذلك زال أرقه (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي عيش الدنيا بعد الصحة والشباب في الطلاء والغناء والنساء والآلات التي اتخذت للغناء بها واستعملت على ترتيب أمكن معه ان يظهر منها ما يظهر من الحيوان الذي يرجع صوته بالحان فان الحكمة فيها مطلوبة والمنافع المكتسبة منها جليلة جسيمة والعود أجلها خطرا وأحسنها في القلوب أثرا وقد كان داود عليه السلام أحذق الناس بصوغ الالحان في تسبيحه ويعرف الفاسد من ذلك من صحيحه وبه كان يضرب المثل في حسن ايقاعه في عوده وارتياح القلوب لصوته وتغريده وكان قبل افضاء الملك اليه واجتماع بني اسرائيل عليه يحضره ملكهم طالوت اذ غلب عليه خلط ردي كان يعتريه فيأمره أن يوقع له بالعود ويسمعه من أصواته ما يستلذه فيفعل فيسكن ما هاج به ولما صار الملك اليه نصب من أعظم الحذاق بتلحين المزامير والتسبيح بها على العيدان والطنابير وغيرها من الدفوف والطبول والصلصل وما يجري مجراها جماعة وكانت العدة التي تحضر من هذه الطائفة عنده أربعة آلاف في كل ليلة ذكر ذلك جميعه الثعالبي في مؤانس الافراح وحدود الغناء أربعة لا يستغنى عن واحد منها وبها يتم وعليها يبنى فأقلها النغم ثم تأليفه ثم قسمته ثم ايقاعه فما اشتمل من الشعر على هذه الحدود فهو غناء وان نقص منه فليس بغناء (وذكر) اليونانيون ان الاوتار الاربعة شبهت بالطبائع الاربع وان البم مشاكل للارض والسوداء والمثلث بالماء والمبلغم والمثنى بالهواء والدم والزير بالنار وان النار لما كانت في الطرف الاعلى في العالم والارض في الجهة السفلى منه جعل ما بين البم والزير كذلك وزعمت الاعاجم أنه مشتق من صرير باب الجنة وما قدم أحد من الامم على العود من الملاهي الا لما جمع من الفضائل التي استبد بها وقصر سواه عن اللحاق فيها والحاذق به في الغناء مقدم على كل حاذق (وذكر) ان عبد الملك أتى بعود قد أخذ مع شارب بالليل فقال وعنده قوم ما هذا ولاى شئ يصلح هذا وأى شئ يعمل به فسكت جلساؤه فقال عبد الله بن مسعدة الفزاري هذا عود يؤخذ

خشبه فيشقق و يرقق و يلصق ثم يعلق عليه هذه الاوتار وتحركها الجارية الحسناء فينطق بأحسن من وقع القطر فى البلد القفر وامرأتى طالق ان لم يكن كل من فى هذا المجلس يعلم منه مثل ما علمت وأولهم أنت يا أمير المؤمنين قال فضحك عبد الملك

(فصل) وينبغى أن يكون المغنى جميل الخلق صافى الخلق له حلاوه وعليه طلاوه مستعذب العباره نظيف الشارب يحفظ كثيرا من الملح والاخبار والنوادر والاشعار وشيأ صالحا من علم الاعراب ما يختلط معه بذوى الآداب غير غمام ولا مغتاب ولا فضولى ولا عتاب كامل الظرف بعيدا من الظئر متوقيا للهجين كتوما للاسرار مرتكبا طريق الاسرار ذوروايح ذكيه وبشره نقيه وجوارح سالمة من العيوب وشمائل يخفق بها على القلوب صناعته معجبه وأغانيه مطربه فمن اجتمعت فيه هذه الصفات والمناقب وسلم مما تقدم ذكره من المعائب والمثالب كان حقيقا من الملوك بالاختصاص وخليقا منهم بأن يشرفوه بالاصطناع والاختصاص ومنهم من يكون حاذقا فى صناعته فيبلغ فى احكامه غاية استطاعته واجتمعت فيه الخلال الحميده وعرف بالاخلاق السديده غير انه لم يرزق صوتا يستعذبه و يحسن ممن يغنى له موقعه فتصطفيه الملوك لتعليم الغناء ممن يؤهلونه لذلك من الوظائف والاماء وتختلف أحوال الباقين فى أخلاقهم وخلقهم والمذهب من كل ذى علم وصناعه قليل وتعديد ما يوجد من أخلاق الرجال يطول (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى شر الغناء والشعر الوسط لان الاعلى منهما يطرب والرذل يضحك من صاحبه و يلهى به والوسط لا يطرب ولا يضحك (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى شرح العيون ما صورته و يقال ان أول من اتخذ العود الملك المتوشلخ على مثال فخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف (وقيل) بطليموس (وقيل) بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة كما تقدم ذكره (وذكر) ان أول من غنى على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى فى الاسلام بألحان الفرس سعيد بن مسجح وقيل طويلس وذلك ان عبد الله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها

صناع

صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربى ثم دخل الى الشام فأخذ عن ألحان الروم ثم رحل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدأ هذا العلم ببطليموس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلى (وذكر) القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه البحائب والظرف أنه وجد للاسعد المرتضى أحمد بن عبد الواحد لما قبض عليه المستنصر فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة ما يجوز حد الحصر لكثرته وجلالته وعلو همته وفيما وجد له عدلان كبيران أوتار ابرسم عيدان الغناء وعدلا مخزوما مضارب العيدان وثلثمائة طبل شبرى وغير ذلك من سائر أصناف الملاهى ووجد له هاون فضة وزنه سبعون رطلا

(فصل) فيما ورد للفضلاء فى مدحهم قال الشيخ برهان الدين القيراطى

أقول اذ حبس عود مطرب حسن * يريك يوسف فى انغام داود
من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة
ومن بنانك يجرى الماء فى العود

وقال أطربنا العود الى أن غدا * مقاصنا يرقص مع صحبه
فشمعه قام على ساقه * وكأسه دار على كعبه

الشئ بالشئ يذكر أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ تقى الدين بن حجة الحموى فسح الله فى أجله من قصيدة حربية

ان حبس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

وشذا فى أصفها * ن بالاغانى المطربات
مسمع غنا فأغنا * بصفات الحسن ذات
قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنغمات
أنت مفتاح سرو * رى ياسعيد الحركات

(وقال) المرحوم فتح الدين بن الشهيد وقد أحضر له بدر الدين طائرا ينعى العواد بسفارة الحاجب توكل

نهارى ليس كله بمنادم * على عودة تعرو الحشا بالتفرك
وكنت أراه طائرا عز مطلبا * ولكننى حصلته بتوكل

وأنشدني من لفظه لنفسه اجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المالكي المخزومي الشهير بالدماميني أسبغ الله ظلاله

يا عزولي في مغن مطرب * حرك الاوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربا * عند ما يسمع منه وترا

(وقال) علاء الدين الوداعي في مغن يدعى الفصيح

وليلة مالها نظير * في الطيب لو ساعفت بطولي
كم نوبة للفصيح فيها * أطرب من نوبة الخليل

وممن برع في الالحان وعلمها أبو عامر محمد بن الحجارة الغرناطي اشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعر فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغني به ومن شعره قوله

اذا ظن وكري مقلتي طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

(ذكر) هذا الاديب نور الدين علي بن سعيد في كتابه المغرب في حلى المغرب

(وقال) سيف الدين المشد

ومطرب قد رأينا في أنامله * سبابة لسرور النفس أهلها
كأنه عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال محيي الدين بن قرناص

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيهه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(وقال) الشيخ بدر الدين ابن الصاحب

أطربنا مشبب من غير جعل سأله * بأحسن موصول له لم يفتقر الى صله

(وظرف) في قوله أيضا وان لم يكن في المعنى

يا مهدي الاقصاب من سكر * صفرا حكى سمر القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأطيب الاقصاب موصولها

(ومن) ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

اصغ

اصغ لما قال أحور فهنا * وخل قبل اليوم ما قيلا
واسمع مقاطيعا لنا أطربت * فلا تقل الا مواصيلا

وقال ابراهيم المعمار

ومشبب أبدى لنا * قولا بنغمته الشهيه
متعانم فكأنه * متكلم بالفارسيه

(وقال) زين الدين بن عبد الله مضمنا

ونائحة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما في الضمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعاداها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

(وقال) صلاح الدين الصفدي

لي مطرب كملت جميع صفاته * متأدب الحركات والتسكين
فاذا دعاه لمجلس حرفاؤه * يأتي ويجلس فيه بالقانون

(وقال) فتح الدين بن الشهيد

غنى على القانون حتى غدا * من طربه تزعطف الجليس
فمنت الارواح من شدوه * الى أنيس ياله من أنيس
داوى قلوبا من غليل الاسى * وكان فيه حوله رسيس
فصاحت الجلاس عجابه * ياصاحب القانون أنت الرئيس

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدي أنشدني القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي لنفسه ملغزا في الشبابة

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذي اللب العفيف
لكل فم لسان مستعان * يخالف بين تقطيع الحروف
يخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
فصيحة عاشق ونديم راع * وعزه موكب ومدام صوف

(وقال) الشيخ علاء الدين علي بن أيبك من لفظه لنفسه في مغن معذر (توفي المذكور سنة احدى وثمان مائة)

منهم العارض غنى لنا * أشياء بالسمع حلا ذوقها
كأنما في فيه قرية * تشذو ومن عارضه طوقها

(نادرة) شهد على امرأة أربعة بالزنا وكان فيهم مغن فقال له الوالي بما تشهد قال

أشهد أنى رأيته قد رفع رجليها مثل البنجك وبحر حتى كأنه يغنى وجعل مضرابه على التم وجعلت أسته ترقص ولا أدرى أتم الصوت أم لا

(فصل) فيما ورد فى ذم الغناء كتب البديع الهمذانى الى تلميذ له توفى أبوه وخلف له مالا يا مولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك الخارج من النأى هو فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار فى هذا العمل بضاعه وطلب بعض المغنيين جائزة من بعض المحصلين فقال له المملوك اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست اشترى الريح بالروح ومما ورد من النظم فى ذم المتحلفين من أهلها (حكى) بعضهم ان بعض الفلاسفة خرج مع تلميذه فسمع صوت عود فقال لتلميذه امض بنا الى هذا المغنى لعله يفيدنا صورة شريفة فلما قرب منه سمعا صوتا رديئا وتأليفا غير متقن فقال لتلميذه تزعم أهل الكهانة والزجر أن صوت البومة يدل على موت الانسان فان كان ذلك حقا فصوت هذا يدل على موت البومة ولبعضهم يهجو مغنيا

كنت فى مجلس فقال مغن القوم كم بيننا وبين الشتاء
فشربت البساط منى اليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء

ولبعضهم يذم صوت مغن

انك لو أصغيت يوما الى * الحانه تلك المقادير
لحلت فى الحلق أمراء جالسا * يعزك أذان السنانير

ولآخر فى المعنى قال

انك لو تسمع الحانه * تلك اللواتى ليس يعدوها
لحلت من داخل حلقومه * موسوسا يخنق معتوها

(ولآخر)

ومغن ان تغنى * أوسع الندمان هما
أحسن الفتيان حالا * كل من كان اصما

(وقال) المصيصى الخياط

واذا تربع لا تربع بعدها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكأن جردان المدينة كلها * فى عوده يقرضن خبزا يابسا

(وقال)

(وقال) آخر وأجاد

قلت اذ غنى عراقا * ليتنا فى أصفهانى

(وقال) آخر

غنى أبو الفضل فقلنا له * سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه * فاشرب فانت اليوم فى حل

(وقال) آخر وأجاد

ومغنى يتغنى * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فأبى ذاك وغنى
فشتمناه فغنى * فاشتفى القواد منا

(وقال) آخر فى مغن بالرباب

لاتبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة * يأتى على يده الرباب وزينب

(وقال) سيف الدين المشد يهجو عوادا

عوادنا قد طمست عينه * فصار بالتحيف قوادا
ماعاد الا لقياداته * لاجل ذا أصبح قوادا

قلت وان كان حصل له عمى فأحسن وأنشدنى المرحوم فخر الدين بن مكانس قال أنشدنى من لفظه لنفسه صاحبنا شمس الدين محمد الواسطى يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
يعقوب يضرب وهو ساكت * وأرقم ينفخ وهو خارج

ولا بأس بايراد نبذة من حكايات الحذاق فى الغناء (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلى بعث الى المأمون يوما وبين يديه ثمانية عشر مغنيا تسع عن يمينه وتسع عن شماله وعنده ابراهيم ابن المهدى فقال كيف تسمع يا اسحق فقلت اسمع يا أمير المؤمنين خطأ فقال لابراهيم ماتقول يا عم فيما قال قال باطل ماههنا خطأ ولكنه يريد أن يتزيد عندك فقلت له أتأذن لى أن أقفه على الخطأ وأناظره فيه قال نعم قلت على انه سيدى وأنا عبده أو على الانصاف قال بل على الانصاف قلت يأمرون الجوارى أن يغنين الصوت الذى غنينه أولا فغنين ثم قلت له أفهمت الخطأ قال لا قلت فانى ألقى عنك النصف والخطأ فى التسع البواقى

اللواتى عن الجانب الايسر قال فتفهم وقال ما أسمع خطأ قلت فانى أخفف عنك
أيضا وأملاء الاربع الاواخر فاجتهد فى التفهم وقال ما ههنا خطأ قلت فانه فى آخر
الجوارى كلهن فتفهم فلم يقف عليه فقلت للجارية اضربى وحدك وامسكن
البواقى وغنت فقلت ماترى فقال بل الخطأ ههنا فقال المأمون احسنت
فيهم الخطأ بين اثنين وسبعين وترا ولم تفهمه أنت الا من أربعة (وقال) أحمد بن
المرزبان حدثنى بعض كتاب السلطان ان الرشيد هب ليلة من نومه فدعا بحمار
كان يركبه فى القصر أسود فركبه وخرج فى دراعة متلثما بعمامة متلحفا بازار
وشى وبين يديه أربعة أربعة خادم سود سوى الفراشين وكان مسرور العوغانى
جرئا عليه لمكانة كانت له عنده فلما خرج من باب القصر قال له اين تريد
يا أمير المؤمنين فى هذه الساعة قال أردت منزل ابراهيم الموصلى قال مسرور
فمضيت معه حتى انتهى الى منزل الموصلى فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له
يا أمير المؤمنين افى مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرفك بى ثم نزل فى
طرف الايوان وأجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدى أتبسط لشئ تأكله
قال نعم (حاميرطى) فأتى به كأنما كان معدا له فأصاب منه شيأ يسيرا ثم دعا
بشراب حمل معه فقال الموصلى يا سيدى أغنيك أم تغنيك اماؤك فقال بل
الجوارى فخرجن جوارى ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانبيه فقال
أيضربن كلهن أم واحدة واحدة فقال بل يضرب اثنتان اثنتان وتغنى واحدة
واحدة ففعل ذلك حتى مر صدر الايوان وأخذ جانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت
لشئ من غنائهن الى أن غنته صبية من حاشية الصفة

يا موردى الزند قد أعيت قوادحه * اقبس اذا شئت من قلبى بمقباسى
ما أقبح الناس فى عينى وأسمجهم * اذا نظرت فلم أبصرك فى الناس

(قال) فطرب لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا وسأل الجارية عن
صانعه فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمرها فأقيمت بين يديه فأخبرته
بشئ أسرته اليه فدعى بحماره فركبه وانصرف ثم التفت الى ابراهيم وقال له
ماضرك الا ان تكون خليفة فكادت نفسه تخرج حتى دعا به بعد ذلك وأدناه قال
وكان الذى أخبرته ان الصنعة فى الصوت لاخته علية وكانت الجارية لها فوجهتها
الى ابراهيم يطارحها عنها لمكانته عندها قال قال لى الرشيد يا ابراهيم بكر حتى
نصطبح

نصطبح فقلت أنا والصبح فرسى رهان نستبق الى حضرتك فبكرت فاذا أنا به خال وبين يديه جارية كأنها خوط بان أو جذل عنان حلوة المنظر فغنت فى شعر لابى نواس

توهمه طرفى فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى خاطر فجرحته * ولم أر جسما قط يجرحه الفكر
وصافحه كفى فألم كفه * فمن غمزه كفى أنامله عقر

(قال) ابراهيم فذهبت والله بعقلى حتى كدت أفتضح فقلت من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه التى يقول فيها الشاعر

لها قلبى الغداة وقلبها لى * فنحن كذاك فى جسدين روح

ثم قال لها غنى فغنت

تقول غداة البين احدى نسائهم * لى الكبد الحرى فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عبرة فدموعها * على خدها بيض وفى نحرها صفر

(قال) فشرب وسقاها وقال غن يا ابراهيم فغنيت حسب ما فى قلبى غير متحفظ من شئ

تشرب قلبى حبها ومشى به * تمشى حميا الكأس فى جسم شارب
ودب هواها فى عظامى فشقها * كما دب فى الملسوع سم العقارب

(قال) ففطن لتعريضى فكانت جهلة منى فأمرنى بالانصراف ولم يدع لى شهرا ولا حضرت مجلسه فلما أن مضى شهر دس الى خادما معه رقعة مكتوب فيها

قد تخوفت ان أموت من الوجـــدولم يدر من هويت بمابى
يا كتابى أقرى السلام على من * لا يسمى وقل له يا كتابى
كف صب اليكم كتبتنى * فارحموا كاتبى وردوا جوابى
ان كفا اليكم كتبتنى * كفا صب فؤاده فى عذاب

فأتانى الخادم بالرقعة فقلت ما هذه فقال رقعة فلانة الجارية التى غنتك بين يدى أمير المؤمنين فأحسست بالقصة فشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضربا شفيت به نفسى وغيظى وركبت الى الرشيد من فورى فأخبرته بالقصة وأعطيته الرقعة فضحك حتى كاد يستلقى ثم قال على عمد فعلت ذلك بك لامتحن مذهبك وطريقتك ثم دعا بالخادم فلما رآنى قال لى قطع الله يديك ورجليك ويلك

قتلتنى فقلت القتل والله كان بعض حقك ولكنى رحمتك وأخبرت أمير المؤمنين حتى يأتى فى عقوبتك بما تستحقه فأمر لى بصلة سنية والله يعلم أنى ما فعلت ذلك عفافا لكن خوفا (قلت) وقريب من هذه الحكاية ما نقلته من خط الشيخ بدر الدين البشتكى سلمه الله تعالى وهو ان الوزير ابو عامر أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن عمر بن عيسى بن محمد بن شهيد كان أهدى له غلاما من النصارى لا تقع العيون على شبهه فلحظه الناصر فقال أنى لك هذا قال هو من عند الله فقال تحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر واحتفل فى هدية بعثها له مع الغلام وقال يا بنى كن من جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسى وكتب معه

أمولاى هذا البدر سار لافقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهى نفيسة * ولم أرى قبلى من بعثه يرضى

فحسن ذلك عند الملك وأتحفه بمال جزيل وتمكنت عنده مكانته ثم انه بعد ذلك أهديت اليه جارية من أجمل نساء الدنيا فخاف ان يفضى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون قضية الغلام فاحتفل فى هدية أعظم من الاولى وبعثها معها اليه وكتب له

أمولاى هذى الشمس والبدر أولا * تقدم كيما يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة ناطق * فدم منهما فى كوثر وجنان
فالهما والله فى الحسن ثالث * ولا لك فى ملك البرية ثانى

فتضاعفت مكانته عليه ثم ان أحد الوشاة رفع للملك انه بقى فى نفسه من الغلام حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشى بذلك لا تحرك به لسانك والاطار رأسك وأعمل الملك الحيلة فى ان كتب على لسان الغلام رقعة منها يا مولاى تعلم انك كنت لى على انفراد ولم أزل معك فى نعيم وأنا وان كنت عند الخليفة مشارك فى المنزلة مجاوز ما يدومن سطوة الملك فتحيل فى استدعائى منه وبعثها له مع غلام صغير السن وأوصاه ان يقول له هى من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على الرسالة واستخبر الخادم فعلم فى سؤاله ما كان فى نفسه من الغلام وما تكلم به فى مجالس المدام وكتب على ظهر الرقعة ولم يزد حرفا

امن

أمن بعد احكام التجارب ينبغى * لدى سقوط العير فى غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب عقله * ولا جاهل مايدعيه أولوا الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا * وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلى بالهوى غير مشترك * عن اسحق عن أبيه قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من أيام الجمعة لانبعث فيه بجوارى واخوانى فأذن لى فى يوم السبت وقال يوم أستثقله فأت فيه بما شئت قال فأقمت يوم السبت بمنزلى وتقدمت فى اصلاح طعامى وشرابى بما احتجت اليه وأمرت بوابى باغلاق الابواب وتقدمت اليه فى أن لا يأذن لاحد على فبينا أنا فى مجلس والحرم قد حففن بى يترددون بين يدى اذا أنا بشيخ ذى هيبة وجمال عليه خفان قصيران وقميص ناعمان وعلى رأسه قلنسوة لاطية وبيده عكازة مقمعة بفضة وروايح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق فدخانى لدخوله على مع ما تقدمت به غيظ عظيم وهممت بطرد بوابى ومن يحجبنى لاجله فسلم على أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ بى فى أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن مابى من الغضب وظننت أن غلمانى تحرموا مسرتى بادخال مثله على لادبه وظرفه فقلت له هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى فيه فقلت هل لك فى الشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا فسقيته مثله فقال يا أبا اسحق هل لك ان تغنى لناشيأ فنسمع من صنعتك ما قد فقت به عند الخاص والعام فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى وأخذت العود فجسته ثم ضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت مارضى بما فعله فى دخوله بغير اذن واقتراحه على أغنيه حتى سمعانى ولم يجمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيدنا فتقدمت وأخذت العود وغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما لقوله لى اكافئك فطرب وقال أحسنت يا سيدى وأوثق عددى ثم قال أتأذن لعبدك فى الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله فى أن يغنى بحضرتى بعد ما سمعه منى فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلت انه ينطق بلسان عربى واندفع يغنى

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

أراها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح
أان من الشوق الذى فى جوانحى * أنين غصيص بالشراب جريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل ما فى البيت يجيبه ويغنى معه من حسن غنائه حتى خلت والله أنى أسمع أعضائى وثيابى تجاوبه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى ثم غنى

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة * فانى الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتننى * وكدت بأسرار لهن أبين
دعون بتردادالهدير كأنما * شربن حميا أو بهن جنون
فلم ترعينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فكاد عقلى أن يذهب طربا ثم غنى شعر اليزيد بن الطثريه

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أان هتفت ورقاء فى رونق الضحى * على غصن غض النبات من البرد
بكيت كما يبكى الحزين صبابة * وذبت من الحزن المبرح والجهد
وقد زعموا ان المحب اذا نأى * يمل وان النائى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء المأخورى خذه وانح نحوه فى غنائك وعلمه جواريك فقلت أعده على فقال لست تحتاج قد أخذته وفرغت منه ثم غاب من بين عينى فارتعت وهمت الى السيف فجردته ثم غدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة فقلت للجوارى أى شئ سمعتن عندى فقلن سمعن أحسن غناء ما سمع بمثله قط فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أى شيخ والله ما دخل اليوم اليك أحد فرجعت لا أتأمل أمرى فاذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا ابليس وأنا كنت نديمك اليوم فلا ترع فركبت الى الرشيد وأظرفته بالحديث فقال لى ويحك اعتبر الاصوات التى أخذتها فأخذت العود فاذا هى راسخة فى صدرى فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشرب وأمر لى بصلة جزيلة قال وكأن الشيخ أعلم بما قال انك قد أخذتها وفرغت منها فليته أمتعنا به نفسه يوما واحدا كما امتعك قال أبو الفرج الاصفهانى هكذا حدثنا ابن أبى الازهر لهذا

الخبر

الخبر وما أدرى ما أقول فيه * عن المدايني قال قال ابراهيم الموصلي قال لي الرشيد يوما يا ابراهيم اني قد جعلت غدا للحرم وليلته للشرب مع الرجال واقتصرت من المغنيين عليك فلا تشتغل غدا بشئ ولا تشرب نبيذا وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين فقال وحق أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشئ لاضربن عنقك قلت نعم يا أمير المؤمنين وخرجت فما جاءني من أحد الا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لاحد حتى اذا صليت المغرب ركبت قاصدا اليه فلما قربت من داره مررت بفناء قصر واذا زنبيل كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى ادم قد دلي من القصر وجارية قائمة تنتظر انسانا قد وعد ليجلس فيه فنازعتني نفسي الى الجلوس فيه ثم قلت هذا خطأ فلعله ان يجرى سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك فلم أزل أنازع نفسي حتى غلبتني فجلست في الزنبيل فرفع حتى صار في أعلا القصر ثم خرجت فنزلت فاذا جوار كأنهن أقمار جلوس فضحكن وطرين وقلن قد جاء والله فلما رأينني من قريب تبادرن الى الحجاب وقلن يا عدو الله ما أدخلك الينا فقلت يا عدوات الله الذي أردتن ادخاله خير مني ولم كان أولى مني ولم يزل ذلك دائرا وهن يضحكن وأضحك معهن فقالت احداهن أما من أردتن فقد فات وما هذا الاظريف فهلمن نعاشره معاشرة جميلة فأخرج الى طعام ولم يكن في فضل الا أني كرهت أن أنسب الى سوء العشرة فأصبت منه ثم جئ بالنبيذ وجعلت أشرب وأخرجن ثلاث جوار لهن فغنين غناء حسنا فغنت احداهن صوتا للمعبد فقالت احدى الثلاث من وراء الستر أحسن ابراهيم هذا له فقلت كذبت هذا لمعبد فقالت يا فاسق وما يدريك الغناء ما هو ثم غنت الاخرى صوتا للغريض فقالت تلك أحسن ابراهيم هذا له أيضا فقلت كذبت يا خبيثة هذا للغريض فقالت اللهم اخزه ويلك ما يدريك ثم غنت الجارية صوتا لي فقالت تلك هذا الشريح وأحسن فقلت كذبت هذا لابراهيم وأنت تنسبين غناء الناس اليه وغناءه اليهم فقالت وما يدريك فقلت أنا ابراهيم فتباشرن بذلك وظهرن كلهن لي وقلن كتمتنا نفسك وقد سررتنا سرورا عظيما فقلت أنا الآن أستودعكن الله فقلن وما السبب فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد فضحكن وقلن الآن والله طاب حبسك علينا وعلينا ان خرجت أسبوعا فقلت هو والله القتل فقلن الى لعنة الله

فأقمت والله عندهن أسبوعا لا أزول فلما كان بعد أسبوع ودعتني وقلن ان سلك الله فأنت بعد ثلاثة أيام عندنا قلت نعم فأجلسنني في الزنبيل وسرحت فضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد فاذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من أحضرني فقد سوغ مالي وملكي فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد فلما رآني شتمني وقال السيف والقطع انك يا ابراهيم تشاغلت عني وجلست مع السفهاء أشباهك حتى أفسدت علي لذتي فقلت يا أمير المؤمنين أنا بين يديك وما أمرت به غير فائت ولي حديث عجيب ما سمع بمثله وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختيارا فاسمعه فان كان عذرا فاقبله فقال هاته فحدثته فوجم ساعة ثم قال ان هذا لعجيب أفتحضرني معك قلت نعم وأجلسك معهن ان شئت قبلي حتى تحصل عندهن وان شئت فعلى موعد فقال بلى على موعد قلت أفعل قال انظر قلت ذاك حاصل فلما أصبحت أمرني بالانصراف وان أجيئه من عندهن فضيت اليهن وقت الوعد فوجدت الزنبيل على حاله فجلست فيه ومدت الجواري وصعدت فلما رأيتني تباشرن بي وحمدن الله على سلامتي وأقمت ليلتي فلما أردت الانصراف قلت ان لي أخا هو عندي عدل نفسي وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك فقلن ان كنت ترضاه فرحبا بذلك فوعدتهن ليلة غد وانصرفت وأتيت الرشيد فأخبرته فلما كان الوقت خرج معي متخفيا وقد كان الله وفقني أن قلت لهن اذا جاء صديقي فاستترن عني وعنه ولم يسمع لكن لفظة وليكن ما تختزنه من الغناء أو تقلنه من قول مراسلة فلم يتعدين ذلك وأقمن على أتم ستر وخفر وشربنا شربا كثيرا وقد كان أمرني ان لا أخاطبه بأمير المؤمنين فلما أخذ النبيذ مني قلت سهوا يا أمير المؤمنين فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن فقال لي يا ابراهيم قد أفلت من أمر عظيم والله لو برزت لك واحدة منهن لضربت عنقك قم بنا فانصرفنا فاذا هن له وقد كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر ثم وجه من غد بخدم فردوهن الى قصوره ووهب له مائة ألف درهم وكانت الهدايا والالطاف تأتيني بعد ذلك منهن (حكاية) تناظرت المغنون يوما عند الواثق فذكروا الضراب وحذاقهم فقدم اسحق بن ابراهيم الموصلي ربرباعلى ملاحظ والملاحظ في ذلك الرياسة عليهم كلهم فقال الواثق هذا حيف وتعدمنك فقال اسحق يا أمير المؤمنين اجمع بينهما وامتحنهما

وامتحنهما فان الامر سينكشف لك فيهما فأمر بهما فأحضرا فقال له اسحق ان للضراب أصواتا معروفة فامتحنهما بشئ منها قال افعل فسمى ثلاثة أصوات كان أولها

علق طيبة السكب جهلا * فقد أغرى بتعذيبي
نمت عليها حين مرت بنا * محاسد ينفحن بالطيب
تصدها عنا عجوز لها * منكرة ذات أعاجيب

الشعر والغناء لاسحق فضرب عليه فتقدم ربرب وقصر ملاحظ فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه فى مجلس واحد فقال ملاحظ فما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس ولا يضرب هو فقال يا أمير المؤمنين انه لم يكن فى زمانى أضرب منى ولكنكم أعفيتمونى من الضرب فثقلت على ومع ذلك ان معى بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة ثم قال يا ملاحظ عوشوش دك وهاته ففعل ملاحظ ذلك فقال اسحق يا أمير المؤمنين هذا خلط الاوتار خلط متعنت وهو لا يألو افسادها ثم أخذ العود فحبسه ساعة حتى عرف مواقعه ثم قال يا مخارق غن أى صوت شئت فغنى مخارق صوتا وضرب عليه اسحق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرجه من لحنه فى موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة ويده تصعد وتحدر على الدساتين فقال له الواثق والله ما رأيت مثلك قط ولا سمعت به اطرحه على الجوارى فقال هيهات يا أمير المؤمنين هذا شئ لا يفى به الجوارى ولا يصلح لهن ألبتة وانما بلغنى ان الفلهيذ ضرب يوما بين يدى كسرى أنوشروان فأحسن فحسده رجل من حذاق أهل صناعته فرقبه حتى قام لبعض شأنه فخالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره فرجع وضرب وهو لا يدرى والملوك لا تصلح فى مجالسها العيدان فلم يزل يضرب بذلك العود حتى فرغ ثم قام على رجله وأخبر الملك بالقصة فامتحن العود فعرف ما فيه فقال له زه وزه ورهان زه ووصله بالصلة التى كان يصل بها من يخاطبه بهذه المخاطبة فلما تواطأت الروايات بهذا أخذت نفسى به وروضتها عليه وقلت لا ينبغى أن يكون الفلهيذ أقوى على هذا منى فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق فى الاوتار موضع على طبقة من الطبقات الا وأنا أعرف نغمته كيف هى والمواضع التى تخرج النغم كلها منها من أعاليها الى أسافلها وكل شئ منها يجانس شيأ غيره كما أعرف ذلك فى مواضع الدساتين

وهـذا شئ لا يفى به الجوارى فقال له الواثق لعـمرى لقد صدقت ولئن مت لتموتن هذه الصناعة معك وأمر له بثلاثين ألف درهم

(الباب الثالث والعشرون فى الغلمان)

كان يقال العبـد من لا عبيد له وقال دعفل السابة فى المماليك هم غير مستفاد وغيظ فى الاكباد وقال سعيد بن مسلم لا بد للعبيد من عبيد وقال جعفر بن سليمان العبيدان أكلوا من مالك زاد فى جمالك وقال غيره العيش فى سعة الدار والعز فى كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك فى كثرة المماليك وقال آخر رب عبد خير من الولد لان الولد فى أكثر الاحوال يرى صلاحه فى موت والده والعبد يرى صلاحه ببقاء مولاه (كان) يحيى بن أكتم يقول قد أكرم الله تعالى أهل جنته بأن أطاف عليهم الغلمان فى وقت رضاه عنهم وافضاله عليهم وبره بهم لفضلهم فى الخدمة على الجوارى وما الذى يمنعنى عاجلا فى طلب هذه المزية المخصوص بها أهل القربة عند الله تعالى والزلفة لديه (وقال) مطيع بن اياس لو لم يكن للمرد فضيلة لما كان الله جعل ملائكته مردا وأهل الجنة مردا وهذا فيه كفاية وانما عنى الحديث أهل الجنة جرد مرد مكحولون (وكان) واثلة بن الحباب يقول الغلام هو الرفيق فى السفر والصديق فى الحضر والمعين على الشغل والنديم عند الشرب وهو سبب الانس (وقيل) لمسلم الاصفرى لم فضلت الغلام على الجارية فقال لانه فى السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفى الخلوة أهل (ومن رسالة) الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان فى فرجة يحدث مرآها الحسن أحاديث جنان امامه عشرة مماليك من الترك ليس الخبر فى محاسنهم المبدعة كالعيان جلبهم الى مصر تاجر لحظته السعادة فاستنزلت له البدور من آفاقها وأصحبته الشموس بشرفها واشراقها فصار الى مصر بيوسف وبمن سجد له فى المنام وأتى بلاد القبلة بجماعة ما منهم الا من هو فى الحسن امام وما فيهم الا من يقول له المتأمل بلسان الاعتراف يا بشرى هذا سيد وبلسان العرف يا بشرى هذا غلام قد وشحوا بالدقة خصورهم وحموا بأسياف الجفون كما تحمى الثغور ثغورهم من كل لدن القوام مهفهف ساجى الطرف أوطفه حلو الجناية والجانى طيف العين لا يجود على العانى منسوب الى أرض الفان أصله فياحزنا من خده

القانى

القانى قد أفضح البدور فى الدياجى ورمى القلوب من حبه ولها بين هاجره وهاجى
وعلا بعنق يجاب من أرض الفرات فعطل عنق الغزال بأرض حاجى ونضى
من جفن عينيه حساما وقسم من لحظاتها على القلوب سهاما وطال قده عن
قصر الاغصان ودنا عن الرماح فكان بين ذلك قواما فسبحت حين رأيت الاقمار
واقفة على الارض وتفاءلت بوجوه حب التفاؤل بمثلها كاد يكون من الفرض
وقلت

جئت من الاتراك سرجا آذر * يعلم زهاد الورى كف تعشق
لهم منظر فى الحسن يفتح خاطرا * ولكن سهم اللحظ فى القلب مغلق
دخلت بقلبى فى مجال عيونهم * فأودى به ذاك المجال الضيق
وكم قر فى القوس عاينت منهم * فمالك ياطرفى المسافر تعلق

واستقبلنا دمشق على هذا الفأل الجليل وفاصلنا السفرة بحمد الله على وجه
جميل

(فصل) فى المنظوم من ذلك قول لسان الدين بن الخطيب فى غلام ساقى قال

كيف أمنتما على الشرب ساق * لحظه فى القلوب غير أمين
راح يسقى فصب فى الكأس نزرا * ثقة منه بالذى فى العيون

(وقال) الشيخ شمس الدين الرئيس فيه

مدير الكأس حدثنا ودعنا * بعيشك من كئوسك والحديث
حديثك عن قديم الراح يغنى * ولا يسقى الانام سوى الحديث

(وقال) صلاح الدين الصفدى فى غلام يشوى أوزا

قلت لما شوى الحبيب أوزا * واكتسى باللهيب ثوب سناه
لو يعيش الجزار ملت معنى * فى معانى محاسن الشوّاء

وله أيضا فيه

شوى الاوز فأضحت * فى خمرة الخد بسطه
فقلت تشوى أوزا * أم كنت تشوى بطه

قال الشيخ برهان الدين القيراطى فى غلام يلعب بالعود

غنى على العود شادسهم ناظره * أضحى به قلبى المضنى على خطر
دنا الىّ وحسبت كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ساقى معذر

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ما تنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

(وقال) فى غلام تركى أهيف

علقته من بنى الاتراك مقترنا * من خاطرى وهو منى غير مقترب
جمالة الحلى والديباج قامته * تبت غصون الربا حمالة الحطب

(وقال) الشيخ صفى الدين الحلى فى راقص

جاء وفى قده اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد * حف به اللطف والدخول
يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا * تثنى الى نحوه العقول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

(وقال) آخر فى راقص

وراقص أبصرته مرة * فلم أزل بالرقص مفتونا
لو قيل شعر بين كمره * أخرجه بالرقص موزونا

(وقال) ابن خروف النحوى الاندلسى فيه

ومنوع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن بين رياضه * متلاعبا كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى غلام يرمى بالقوس

فديتك أيها الرامى بقوس * ولحظ يا ضنا جسدى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

(وقال) محيى الدين بن قرناص فى غلام يرمى فى الاماج

أتى الاماج مائسا والردف قد أفلقه * يرشق ثم ينثنى يالله ما أرشقه

(وقال) بدر الدين حسن العربى فى غلام يرمى فى الايك

أهواه فى الايك يرمى دائما * وسواد قلب الصب من اعراضه

أطلقت

أطلقت لحظى نحوه فأصابنى * سهم وما عاينت كشف بياضه

قلت ما أحسن قول الشيخ عز الدين الموصلى من قصيدة

أصاب فؤادى المستهام بعينه * فكامه سهم له غير ناطق

(ولبعضهم) فى غلام يقوم سهما

وافى وفى يده سهم يقومه * يومى اليه بعينيه ويرمقه

وذاك ايداع سر من لواحظه * فيه ليزداد فعلا حين يرشقه

(نكتة) حسنه عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا القمر فى العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر الى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل مملوك له من أحسن خلق الله وجها يقال له آى دغدى فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين يا مولانا بالله اركب الساعة فهذا القمر فى القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا وتفاؤلا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (وقال) بدر الدين حسن بن حبيب الحلبى فى غلام تركى يطلب وردا شعرا

رام ظبى الترك وردا * قلت أقصر خاب ضدك

عندك الورد المربى * قال فأنى قلت خدك

(وقال) الشيخ زين الدين العجمى ونقلتها من خطه فى غلام نثر وردا من أكمامه

وافى وفى كمه ورد أحمر * حيى به مذ بست تحت لثامه

فرشفت صرف الراح من خوطومه * وجنيت غض الورد من أكمامه

(وقال) برهان الدين القيراطى فى غلام مطاوع

أباح لى من نرجس احداقه * فى مجلس ما فيه ما أنكره

فقلت ورد الخد جد لى به * أيضا فقال الكل فى الحضره

(وقال) شمس الدين بن الصائغ فى غلام ذى خال

بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(وقال) شهاب الدين بن أبى حجلة فى غلام يدعى مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل

من لى بيوم فيه يسمح باللقا * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

(وقال) برهان الدين القيراطى فى غلام يبكى شعرا

لم يبك حين بكيت من * هجرانه متحسرا

وقد ذكرتهما فى باب البركة والشاذروان والفوارة وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين الرئيس فى غلام مليح وله لألاء مضمنا

ومليح لألاءه قد حكاه * فهو كالبدر فى الدجى يتلالا

قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

وأنشدنى من لفظه لنفسه سيدى وأخى المولى الكامل شمس الدين محمد الشهير بابن الكفتى أبقاه الله تعالى لاحبابه حسبما اقترحه فى غلام يعتز على من يهواه

وارحمتاه لقلبى كان يمنحنى * حبى وصالا وكان الحب مستترا

وحين باحت بسرى أدمع هملت * درى بعشقى له فاعتز واقتدرا

(وقال) الشيخ المحدث الفصيح الترحال صلاح الدين خليل الاقفهسى قال أنشدنى الشيخ العارف الناسك المحقق الصوفى ابراهيم بن الشيخ أحمد العربى الشهير بابن رقاعة أعاد الله من بركته من لفظه لنفسه فى غلام معذر

رسم العذار بعارضيه بنفسجا * فوق الخدود فصار كالمرقوم

قبلت مرسوم العذار تأدبا * ومن التأدب قبلة المرسوم

(وكتب) الى القاهرة المحروسة من بعض متجددات سيدى الجناب المجدى بن مكانس أبقاه الله تعالى فى غلام أبيض

دعنى وحالى فى هوى أبيض * كالبدر أو أحسن من ذلك

وعش مغنى فى هوى أسمر * أومت اذا ماشئت فى حالك

(وقال) شمس الدين بن محمد بن العفيف فى غلام جرحت كفه السكين

لم تجرح السكين كف معذبى * الا لمعنى فى الهوى يتحقق

هى مثلما قد قيل جارحة غدت * ولكل جارحة اليه تشوق

(وكتب) الى من القاهرة من بعض متجددات سيدى القاضى شهاب الدين أحمد ابن حجر سلمه الله تعالى فى غلام مر بروضة مزهرة

ولم آنس اذ مر الحبيب بروضة * فغارت من المحبوب أعينها المرضى

ولاحت بخد الورد فى الروض حمرة * حياء وسمت أطراف نرجسه غضى

(وقال)

(وقال) محيي الدين بن قرناص فى غلام شد بوسطه بندا أحمر

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر وعقيق
خصر تحت أحمر البند يحكى * خنصرا فيه خاتم من عقيق

وقال صلاح الدين الصفدى أنشدنى من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين أحمد ابن مهاجر بحلب المحروسة فى غلام لابس لامة حرب

ما لاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضئ تحت المغفر
الا حسبت البحر مد يجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

وقال جمال الدين بن نباتة فى غلام يدعى خليل مغرما

يغيب خليل الحسن عنى ليلة * فأسأم من ليل طويل أراقبه
وكيف يطيب الليل عندى والكرى * وليس الى جنبي خليل ألاعبه

(وأنشدنى) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه فيه

قال حبي خليلي غيرت ودى * وتركت الفؤاد منى عليلا
بعد عشق الملاح صرت تقيا * ما تراعى من الانام خليلا

(وأنشدنى) سيدنا ومولانا القاضى صدر الدين بن الآدمى حسبما ورد اقتراحه من السادة المخاديم فضلاء الديار المصرية لنفسه

يا متهمى بالقسم كن منجدى * ولا تطل رفضى فانى عليل
أنت خليلي فبحق الهوى كن * لشجونى راحما يا خليل

(وقال) سيدنا القاضى بدر الدين الدماميني فى غلام يسقى الماء

بروحي ساق همت اذ طاف بيننا * بأكوابه اللاتى سقين أناما
ورمت ارتشاف الريق منه فلم يجد * ولكن كساجسمى ضنا وسقاما

والنختم هذا الباب بحكاية لطيفة ونكتة غريبة ذكرها أبو الفرج المعروف بالببغا قال تأخرت بدمشق عن سيف الدولة بن حمدان مكرها وقد سار عنها فى بعض وقائعه وكان الخطر شديدا على من أراد اللحاق به من أصحابه حتى ان ذلك كان مؤديا الى النهب وطول الاعتقال فاضطررت الى اعمال الحيلة فى التخلص والسلامة بخدمة من بها من الرؤساء والاخشيدية وكان سنى فى ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعى منهم الى أبي بكر على بن صالح الروزبادى لتقدمه فى الرياسة ومكانته من الفضل والصناعة فأحسن مقيلى وبالغ فى الاحسان الى

وفضلت تحت الضرورة فى المقام فتشوقت على قصد البقاع الحسنة والمتنزهات المطروقة تسليا وتعللا فلما كان فى بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور الموضع فى الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت من كنت آنس به وأمرت بحمل ما يصلح وتوجهنا نحوه فلما نزلنا أخذنا فى شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسماحة النفس والخلق حسبما جرى به الرسم فى غشيان العمار وطروق الديرة من الطرق بعشرة أهلها والانسة بسكانها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى ان فض اللهو ختامه ولوح السكر لمحيى اعلامه وحالت منى نظرة الى بعض الرهبان فوجدته الى خطابى متوثبا ولنظرى اليه مترقبا فلما أخذته عينى أكب على يزمجنى بخفى الغمز ووحى الايماء فاستوحشت من ذلك وأنكرته ونهضت عجلا واستحضرته فأخرج الى رقعة مختومة وقال لى قد ألزمك فرض الامانة فيما تتضمنه هذه الرقعة دونى وسقط زمام كاتبها فى استرهانك عنى ففضضتها فاذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه

بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاى بين حشم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على السانح بنفيس الحظ منك الى أن استنزلتنى الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبره ورفعت بينى وبينك سحب الحشمة فأطعت بالانبساط أوامر الموانسة وانتهزت فى التوصل الى مودتك فأبت الفرصة والمستماح منك جعانى الله فداك زورة ارتجع بها ما اغتصبتنيه الايام من المسرة مهنأة بالانفراد الامن غلامك الذى هو مادة مسرتك وأنشد

وماذاك عن خلق يضيق بطارق * ولكن لآخذ باحتياط على حالى

فان صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا فنية غفل الدهر عنها وان فارق مذهبه فيما أهداه الى منهاجرى على رسمى فى المضايقة فيما أوثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فزمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها واذا أنا بأبيات تتلو الخطاب

ياعامر العمر بالفتوة والقصـ ـف وحث الكؤس والطرب
هل لك من صاحب يناسبك فى الغر * بة أخـ ـلاقه وبالادب

أوحشه

أوحشه الدهر فاستراح الى * قربك متنصرا على النوب
فان تقبلت ما أتاك به فلم * يشب الظن فيه بالكذب
وان أبى الزهد دون رغبتنا * نكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج فوردعلى ماحيرنى واستردمنى ما كان الشراب حاره من تميزى وحصل لى فى الجملة أن أغلب الاوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما فشاهدته بالفراسة فى ألفاظه وجدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته وقلت للراهب من هذا ويحك وكيف السبيل اليه فقال أماذكره فاليه اذا اجتمعنا وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قلت دانى قال فكيف تعمل بالغلمان قلت لا أدرى قال تظهر فترة وتتصنع عذرا تفارق به أصحابك مصرفا فاذا حصلت بباب الدير عدلت بك الى باب تدخل منه فرددت الرقعة اليه وقلت أدفعها اليه ليتأكد أنسه وسكونه الى وعرفه ان التوفر على اعمال الحيلة فى المبادرة الى حضرته على ما أوثره من التفرد أولى من التشاغل باصدار جواب وقطع وقت بمكاتبة ومضى الراهب وعدت الى أصحابى بغير النشاط الذى ذهبت به فأنكروا ذلك فاعتذرت اليهم بشئ عرض لى واستدعيت ما أركبه وتقدمت الى من كان معى من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا عملنا على المبيت فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعى غلام صبى كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكرى برد الدابة وستر خبرى ومباكرتى فتلقانى الراهب وعدل بى الى طريق مضيق وأدخلنى الى الدير من باب غامض وصار بى الى باب قلاية متميز عما جاوره من الابواب نظافة وحسنا فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته فى غلالة تنم على ما يستره وتجفو مع رقتها عما يظهره وعلى رأسه مجلسيته بصمت فبهر عقلى حسنا فاستوقف نظرى ثم جفل كالظبى المذعور فتلوته والراهب الى صحن القلاية فاذا أنا ببيت فضى الحيطان رخامى الاركان مفروش بحصير قد اتعب صانعه منقوش كأنه روضة مزخرفة بالنور أضحكها سقوط الندى فوثب الينا منه فتى مقبل الشباب حسن الصورة والاهاب ظاهر النبل والهيئة

فلقيني حافيا يعثر في سراويله واعتنقني ثم قال انما استخدمت هذا الغلام الى تلقيك ياسيدي لاجعل ما العلك استحسنته من وجهي مصانعا عما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت اختصارة الطريق الى بسطي وارتجاله النادرة على نفسه حرصا في تأنيسي وأفاض في شكري على المسارعة أمره وأنا أواصل في خلال سكاته المبالغة في الاعتدال به ثم قال ياسيدي أنت مكدود بمن كان معك والاستمتاع بمجادثتك لا يتم الا بالتوصل الى راحتك وقد كان الامر على ما ذكرت فاستلقيت يسيرا ثم نهضت فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفيتها في دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء وأحضر لنا خادماله لم أر أحسن وجها منه يحمل طبقا يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف وقال الاكل مني ياسيدي للحاجه ومن لك للمماحكة والمساعده فأكلنا شيأ وأقبل الليل وطلع القمر ودخل من مناظر ذلك البيت الى فضاء أدى الينا محاسن الغوطة وحيانا بذخائر رياضها من المنظر الجاني والنسيم العطري وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع عليه اتفاقنا على المختار منه ثم اقتعدنا غارب اللذه وجرينا في ميدان المفاوضه فلم نزل نتناهب نوادر الاخبار وملح الاشعار ونمزج ذلك من المزج بأظرفه ومن التودد بألطفه الى أن توسطنا الشراب فالتفت الى غلامه وقال يامترف ان مولاك ليس مما يدخر عنا السرور بحضوره ومما يجب ان ندخر ممكنا في مسرته فانتقع وجه الغلام حياء وخفر افأقسم عليه بحياتي وأنا لا أعلم ما يريد فمضى وعاد يحمل طنبورا وجلس وقال لي ياسيدي أتأذن لي في خدمتك فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من السرور بذلك فأصلح الطنبور وضرب وغنى هذه الابيات

ياما لكي وهو ملكي * وسالبي ثواب نسكي
نزه يقين الهوى فيك عن تعرض الشك
لولاك ما كنت أبكي * الى الصباح وأبكي

فنظر الى الغلام وتبسم فعلمت ان الشعر له فكدت والله أطير فرحا بملاحة خلقه وحسن خلقه وقوة حذقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه فاستدعيت كثيرا فأحضر الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ما شربت ثم قال لي أنا والله ياسيدي أحب ترفيهك

ولا

ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن اذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد ان نشى ليلتنا بشئ يكون لها طرازا ولذكرها معلما فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب منى هذه الابيات

وليلة اوسعتنى * حسنا ولهوا وأنسا
مازلت الثم بدرا * بها وأشرب شمسا
اذ أطلع الدير سعدا * لم يبك منه كان نحسا
فصار للروح روحا * وصار للنفس نفسا

فطرب على قولى ألثم بدرا وأشرب شمسا وجذب غلامه فقبله وقال ما جهلت ما يجب لك من التوقير وانما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فبحياتى الا ما فعلت ذلك بغلامك فاتبعت ايثاره خوفا من احتشامه وأخذ الابيات وجعل يرددها ثم أخذ الدواة وكتب اجازتها

ولم أكن لغرمى والله أبذل فلسا * لو ارتضى لى غريمى بدير مران حبسا

فقلت اذا والله ما كان يؤدى أحد حقا ولا باطلا وداعبته فى هذا المعنى بما حضر وعرفت فى الجملة انه متستر من دين وقال لى قد خرج اليك أكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها فبينت ما يؤثره من كتمان أمره فقلت له يا سيدى كل من لا يتعرف بك نكرة وقد اغنت المشاهدة عن الاعتذار وبانت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب وينتحب من غير استكراه ولا حث ولا استبطاء الى أن رأيت الشرب قد دب فيه وأكب على مجاذبة غلامه والفطنة تثنيه فى الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام بفرش حسن ففرش لى بازاء فرشه فنهض اليه وقام يتفقد أمرى بنفسه فقلت له ان لى مذهبا فى تقريب غلامى منى واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذا الحال فى أمر غلامه فتبسم وقال لى بسكره جمع الله لك شمل المسرة كما جمع جمعه لى بك وأظهرت النوم وعاد الى محادثة غلامه وتعاتبه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويمزج ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه وغلبتنى عيناى الى ان أيقظنى هواء السحر وانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس فأردت توديعه فخفت انتباهه وازعاجه فخرجت فلقينى الخادم يريد ايقاظه وتعريفه بانصرافى فأقسمت عليه ألا يفعل ووجدت

غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعاملا على العودة اليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ منه في معاشرته ومتوهما ان الذي كنت فيه منا ما الطيبه وقرب أوله من آخره واعترضتني أسباب أدت الى اللحاق بسيف الدولة فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك هذه الابيات

ويوم كان الدهر سامحني به * فصار يسمى بيننا هبة الدهر
جرت فيه افراس الصبا بارتياحنا * الى دير مران المعظم ذي القدر
فمن روضة بالحسن توقد روضه * ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعمور منه اقترعتها * وصحبي حلالا بعد توفية المهر
ونزهت عن غير الدنانير قدرها * فمازلت منها أشرب التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محرما * وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
فأهدت لي الايام فيه مودة * دعتني في ستر فلبيت في ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة * فغاطبني من معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعة لا مقالة * ومن ذا الذي لا يستجيب الى اليسر
فلاقيت من العينين نيلا وهمة * محلى السجايا بالطلاقة والبشر
وأحشمني بالبر حتى حسبته * يريد اختداعي عن حياتي ولا أدري
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا * وكنت واياه كقلبين في صدر
وشاء السرور ان يلينا بثالث * فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
يعط العيون ما أسهمت من جماله * ومضى القلوب بالتجني وبالهجر
جنينا جنى الورد في غير حينه * وزهر الربا من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه * بشمسين في جنحي دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف أجدا * بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وأتبعنا في وجنتيه بمثل ما * تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور سكرنا منه لاصحو اذ دعا * اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالي غمن عنه فبعدما * تنبهن يبكين الوفا الى العذر
مضى وكأنما كنت فيه مناما * فحدثت عن طيف الخيال اذا يسر
وهل يحصل الانسان من كل ما به * تسامحه الايام الا على الذكر

ولم

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ماسلبت من عظيم النعمة بفراق الفتى لاسيما ولم أحصل منه على حقيقة ولا يقين خبر يؤدّيانى الى الطمع فى لقائه الى أن عاد سيف الدولة الى دمشق وأنا فى جملته فابدأت بشئ قبل المصير الى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الىّ مرعوبا ولا يعرف السبب فلما رآنى أستطار فرحا وأقسم لا يخاطبنى الا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك ففعلت فلما جلسنا للمحادثة قال مالى أراك لا تسألنى عن صديقك قلت والله مالى فكر منصرف عنه ولا أسف يتجاوز ماحرمته منه ولا سررت بعودى الى البلد الا من أجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكر لى خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من أولاد عظماء مصر جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال كثير فخاسر به ضمانه لقعود السعر وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفيا الى أن ورد دمشق بزى تاجر وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن له عادة بخدمته فأتيت عنده يوما اذ ظهر لى وقال لصديقه أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان مأمونا فذكر له صديقى مذهبى وأظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بى وأنا لا أعرفه غير ان صديقى قد أمرنى بخدمته وحصل فى قلايتى وواصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا هو والغلام والخادم قد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال يا راهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب اليه واعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكى ووقف على السفاتج وأنفذها مع درج رقعة منه الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه ألفى دينار وقال له ابتع لنا ما نستعمله فى هذه الضيعة فابتاع آلة وفرشا ولم يزل مكبا على ما رأيت الى أن ورد عليه كتاب أهله بتدبير حاله مع سلطانه وأخذ خط السلطان بحطيطة المال وطيب قلبه وتحقق رضى السلطان فلما عزم على المسير قال لغلامه سلم جميع ما بقى معك من نفقتنا الى الراهب ليصرفه فى مصالح الدير وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك يقطع جميع الاوقات بذكرك ولا يشرب الا على ما يغنيه الغلام من شعرك وهو الآن بمصر على أحسن الاحوال وأجلها ما يخل بتفقدى وخف بعض ما عندى من الحزازة بما عرفت من حقيقة خبره وأقمت يومى عند الراهب وكان آخر العهد منه ومن الغلام والسلام

(الباب الرابع والعشرون فى الجوارى ذوات الالحان)

قال الثعالبى فى تحفة الارواح وموائد السرور والافراح ان غناء الجوارى ذوات الحسن والدلال له موقع فى القلب أحسن من موقع غناء الرجال وان كان أجود منه وذلك مع الرويه وقال افلاطون غناء الملاح تحرك فيه الشهوة والطرب وغناء القباح يحرك فيه الطرب لا الشهوة وقد قيل أحسن الناس غناء من تشبه بالنساء من الرجال ومن تشبه بالرجال من النساء وما أحسن قول القائل

جاءت بوجه كأنه قمر * على قوام كأنه غصن
غنت فلم تبق فى جارحة * الا تمنيت أنها أذن

(وقال) يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يسقط المروءة وينقص الحياء ويبدى العورة ويزيد فى الشهوة وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وان كان ولا بد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) بعض أهل الادب لا يكون الملك ملكا حتى يلبس من طرازه وينكح من بلاده ويركب من نتاجه ويسمع الغناء من جاريته وغلامه (وقال) بعضهم فى جارية عوّاده

وكأنه فى حجرها ولدلها * تحنو عليه عند كل أوان
أبدا تدغدغ بطنه فاذا هفا * عركت له أذنا من الآذان

(وقال) ابن تميم فيها أيضا

ومهات قد راضت العود حتى * عاد بعد الجماح وهو ذلول
خاف من عرك أذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول

وقال آخر فيها وأجاد

أشارت بأطراف لطاف كأنها * أنابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار حسا كأنها * بنان طبيب فى محبس عروق

(وقال) ابن حجاج فيها وأجاد

هذا ومحسنة بالعود عاشقها * بذلك الطيب فى الاحيان مسرور
اذا تثنت وغنت خلت قامتها * غصنا عليه قبيل الصبح شحرور

(وقال) صلاح الدين الصفدى فيها

حبست

حبست منانى عودها بأنامل * عبثت بباب الخاشع المتورع
وشدت فلو شاءت عذوبة لفظها * عطفت عنان البارق المسرع
وعجبت من ريح الصبا اذ لم يقف * طربا ولكن مالها اذن تعى
أبصرت ياعيناى مالم تبصرى * وسمعت يا أذنى مالم تسمع

(وقال) جمال الدين بن نباتة فيها

بروحى هيفاء المعاطف حلوة * تكاد بألحاظ المحبين تشرب
لقد عذبت ألحاظها وصفاتها * على أن قلبى فى هواها معذب
نجاسر عود اللهو يشبه صوتها * فمن أجل هذا أصبح العود يضرب
وأجرى دموع العاشقين بلعبها * فقال الاسى دعها نخوض ونلعب

(وقال) النور الاسعردى فى جارية جنكيه

لبنت شعبان جنك حين تنطقه * يغدو بأصناف ألحان الورى هازى
لاغرو ان صاد الباب الرجال بها * أما تراه يحاكى مخلب البازى

(وقال) الصلاح الازيلى فى الجنك

الجنك مركب عقل فى تشكله * والرق قلع له الاوتار أطناب
يجرى بريح اشتياق فى بحار هوى * يؤم ساحل وصل فيه أحباب

(وقال) سيدى شهاب الدين أحمد بن حجر فى جارية تلعب بالكمنجا

ما بالها هجرت وكم قد مر لى * منها الرضا فى سالف الاعصار
وقضيت معها اذ شذت بكمنجة * ما بين سالف نغمة أوطار

(وقال) سيدنا القاضى بدر الدين الدمامينى فى جارية تدق بالكف

لقد دقت بكفيها فتاة * صفت فينا خلائقها ورقت
فأفديها مغنية رأينا * بها الافراح حلت حين دقت

(وقال) شمس الدين بن دانيال فى جارية تضرب بالدف وأجاد

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالمختار معصمها * أنامله بنان تشبه البلحا
غناؤها برقيق الغنج تمزجه * فما ينقط الا كل من رشحا

(وقال) شمس الدين الكوفى الواعظ فى جارية مشبية كذا ذكره الصفدى فى تضمين التضمين

لقد حصلت لى ليلة لا تقوم * وعندى من أهوى بها أتنعم
وفى كفها شبابة تجمع المنا * فنحن سكوت والهوى يتكلم
و ينفخ فيها الروح روح بأمرها * وما هو جبريل وما هى مريم
وما الدهر الا صورة دمها لطلا * فحرم اذ شرب الدماء محرم
ومازلت شيعيا الى أن أتوا بها * عتيقا فنادت العتيق المقدم

وهذا التضمين أغار عليه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وقد ذكرته فى الحذاق المطربين (وقال) كمال الدين جعفر الادفوى فى تاريخه البدر السافر عن انس المسافر فى ترجمة القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف ينعت بابن البيت الاعز الشافعى ومن شعره ملغزا فى شبابة

ومحبوبة مهما خلت مع حبيبها * يقبلها لثما و ينظرها شزرا
منقبة عريانة وهى فتنة * لمن أصبحوا من شرب كأس الهوى سكرى
وتصحيفها فى كف من شاء منهم * ومن شاء فى اليمنى ومن شاء فى اليسرى

وكتب الى شرف الدين بن الحلاوى ملغزا فيها مضمنا

وناطقة خرساء باد شجوها * تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سد منها منخر حاش منخر

فأجاب بهذا البيت واجاد

نهانى النهى والعلم عن وصل مثلها * فكم مثلها فارقتها وهى تصفر

(قلت) تكرير لفظة مثلها غير طائل وألم بهذا التضمين مجير الدين بن تميم فقال

وشبابة قد كنت أهوى سماعها * وقد صرت منها عند ما بت أنفر
وها أنا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

(قلت) كان المذكور لهجا بالتضمين مكثرا منه حتى قال فى نفسه وظرف

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيرى
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعرى نصفه من شعر غيرى

(وقال) ابراهيم بن المعمار فى جارية مغنيه

وجارية مغنية باطف * على الايقاع بالكعبين دقت
فغنت ثم رقت لى بوصل * فقمت قطعتها من حيث رقت

(وقال) بدر الدين بن الصاحب فيها

غنت فأغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيمنى صوتها * فى مثل ذا الحلق تروح الذقون

(وقال) صفى الدين الحلى فى جارية ترقص بالشراب

والراقصات وقد شدت مآزرها * على خصور كاوساط الدنانير
كأن فى الشيرينا ها وقد رقصت * صبحا تقلقل فيه قلب ديجور
ترعى الضروب بكفيها وأرجلها * وتحفظ الاصل من نقص وتغيير
وتعرب الرقص من لحن فيلحقه * مايلحق النحو من حذف وتقدير

(وقال) جمال الدين حسن بن على بن داود الفارقى

لله راقصة تميس كأنها * ظل القضيب اذا تمايل مزهرا
تزهو وترجع كالخيال فلا ترى * حركاتها الا كطارقة الكرى
لانت معاطفها فكيف تلفتت * وتفلتت لا يستطاع بأن ترى

(وقال) أبو الحسن على بن أبى اليسر فيها

هيفاء ان رقصت فى مجلس رقصت * قلوب من حولها من حذقها طربا
خفيفة الوطئ لو جالت بخطرتها * فى جفن ذى رمد لم يعرف الوصبا

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه فيها

هيفاء راقصة للزهر قد كشفت * فى الكون مامثلها نجم على الكرة
كالغصن ان خطرت يا ليتها عطفت * مذ أمرضتنى وعادت باللمى شفتى

(وقال) الوجيه المناوى فى جارية تلعب بخيال الظل

وجارية معشوقة اللهو أقبلت * بحسن كزهر الروض تحت كمام
اذا ما تغنت قلت شكوى صبابة * وان رقصت قلنا حباب مدام
أرتنا خيال الظل والستر دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلعب باشخاص من خلف سترها * كما لعبت أفعالها بأنامى

(فصل) فيما يتعلق بكتابة المتظرفات منهن على آلاتهن كتبت مزنة على مضربها * من نظر الى سوانا لم يصدق فى هوانا * وكتبت ظبية مغنية ابن يزداد على ملهاتها * احفظ سرك عن غيرك * وكتبت ظوافر على ملاويها وافق من ترافق * وقارب من تصاحب * وكتبت ضوء الصباح على عودها بالذهب * من خالفنا فليس منا * وكتبت تحفة * ومن أرادنا لا يصبر عنا

وكتبت قينة جارية الملك الظاهرية على بابها * صل من قطعك وأعط من حرمك
وكتبت نزهة جارية الجصاص على أحدى جانبي مضرابها * من ورد عودها غير
حياء به صدر ندائه * وعلى الجانب الآخر * السعيد من وعظ بغيره (حاشية)
قال علي بن الجهم اشتريت جارية فقلت لها ما أظنك بكرا فقالت كثرت
الفتوحات في زمن المعتصم وقلت لها كم بيننا وبين الصبح فقالت عناق
مشتاق ونظرت الى الشمس كاسفة فقالت احتشمت محاسني فتنقبت وقلت لها
نجعل مجلسنا في القمر فقالت ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكانت تكره
الحلي وتقول يستر المحاسن كما يغطى القبايح

(فصل) في المولدات من الجواري وغيرهن قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر
في جارية تدعى وردة بابي دمية مولدة الحســـن دعوها بوردة البستان
في التصاوير مثلها ليس يلقى * فيقولون وردة كالدهان

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة في جارية تدعى حكم الهوى
حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
ياعاذلي لاتلـــني في حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

(وقال) بدر الدين بن الصاحب في جارية تدعى صباح
وقينة تدعى صباحا قد غدت * في حسنها تباهـة في مراح
تصـد والطرف لها ساهر * تقول ليلي ماله من صـباح

(وقال) الشيخ نجم الدين الفخفاري في جارية تدعى قلوب
عاتبني في حبكم عاذل * يزعم نصحي وهو فيه كذوب
وقال ما في قلبك اذكره لي * فقلت في قلب المعـني قلوب

(وقال) القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري في جارية تدعى حدق
سكرت في حب من أهوى معاطفـه * تطوى الضلوع على التبريح والحرق
قالوا فجد بدموع العين قلت لهـم * لا تسألوا ماجرى منها على حـدق

(وقال) أبو حفص جعفر الشطرنجي في جارية سوداء
أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في حسنها قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

(وقال) ابن قلاقس فيها وأبدع

رب سوداء وهى بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون تحسبه النـــاس سوادا وانما هو نور

(وقال) أبو تمام الحجام الطيطلى وأجاد

يا كعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنا غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من منوالك فى الحدق

(وقال) شهاب الدين بن فضل الله فى جارية سوداء مغنيه

يارب سوداء لا جفانها * كالبيض الهند تأثير
يطربنى ترجيع ألحانها * وكيف لا يطرب شحرور

ولا بأس بايراد نبذة يسيرة من ذمهم * قال الجاحظ لعلى بن ازازى وقد أراد شراء جبشية تمتعها الدهر مزمن وأبطها منتن وجسدها لا يقبل الطيب واذا شربت احمرت عيناها واخضرت وجنتاها واذا كسيت فنخاعة على جسد اسود * وقال الماهانى لصديق له لما أولعت بالسودان فقال لانهن أسخن فقال الماهانى أسخن للعير (نادرة) تزوج مدنى سوداء فعوتب فقال عتق ما يملك ان لم يكن ضراطها فى الليلة الشتائية أنفع من عدل فحم وقال الصنوبرى يهجو زامرة سوداء

فكأنما المزمار فى أشداقها * غرمول عير فى حيا أتان
وترى أنامله على مزمارها * نكحنا فس دبت على ثعبان

(وقال) السراج المختار الحلبى فيها

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أنملها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

ولنختم هذا الفصل بلطائف من حكايات الجوارى الحسان وما خصوا به من فصاحة اللسان * قال بعض الرواة الاخيار ومن يوثق به فى الاخبار رأيت بالبلقاء ثلاث جوار كأنهن أقمار أو كأنما أفرغن فى قالب الحسن أو ملكن أنفسهن فتصورن كما اشتهين قلت ياضرائر الشمس أخوات أنتن فان لا ولكنا الاف مودات وعقائل حبيبات نجتمع فى هذا المكان لسبب ما تشتمل عليه القلوب من دفائن العيون ونحن نصف لك حالنا فاقض علينا بما تسمع من أشعارنا قلت قلن فقالت الاولى

يقولون طعم الحب مر وأنني * أظن بأن الهجر مر من الحب

فقلت المريض أعلم ببدائه فقالت سبحان من ستر خلقه بثوب عفوه ولم يعلم غيره ضمائرهم بثاقب علمه وقالت الثانية

أظن بأن الحب يقتل أهله * اذا لم يكن في الحب قرب ولا وصل

فقلت من جرب أمرا عرفه فأظهر حياءها وتورد خديها فقالت الثالثة

أخال الهوى داء يعز دواؤه * اذا غاب من يهوى وعانده الدهر

فقلت من خاف شيأ حذر منه والاوقع فيه فتنفست الصعداء وقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقن فما رأيت أغصانا تحمل من أثمار أسافلها كثبان الاهن * وحكى سيار بن المعتمر قال زرت مخارقا وكنت أهوى جاريته معين وكانت أديبة مسمعة فاخرجها وجعلت تغني وطرفها يضحك فوهمتني سرورها بمجيئي اليها فبقيت في لذة من غنائها تتجاوز الوصف فلما قرب وقت الانصراف دخلت ثم خرجت وعليها عصابة فيها مكتوب

تبسم طرفي فاستهام فؤاده * الى ضحك عين صيرته له سحرا

الا ان حسن الطرف ما كان ضاحكا * فلا يوهمنك الضحك في مقلتي أمرا

فاختلط عقلي وتمرر على ما كان حلا من تمتعي معها فلما رأت ما قد نزل بي قلبت العصابة فاذا عليها مكتوب

مزحت فلا تجعل مزاحي علة * لصرف الهوى عني فتجعله هجرا

منحتك من قلبي مكانا وقربة * عليك فلا تأسى لما حكيته شعرا

وقرأت في كتاب منازل الاحباب ومنارة الالباب تأليف العلامة شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى * حكى أبو الفرج الاصبهاني عن بعض بني حمدان قال كنت مع المتوكل لما شخص الى الشام فلما وصلنا الى حمص قال أريد أن أطوف هذه الكنائس والمواضع التي تعرف بالفراديس فاني كنت أسمع بطيب هذا المكان فقلت الرأي ما رأى أمير المؤمنين فلما استراح من الركوب دعاني وأخذ بيدي ولم يزل يستقري تلك الكنائس والاديره وما فيها من الصور واحداث الرهبان وبنات القسيسين فرأينا وجوها كأنها الاقمار على غصون تثنى على تلك الاروقة والحصون وكل ما مر بنا شئ من ذلك قال أتدري ما نحن فيه وخلونا براهب من قوام الكنيسة فجعل المتوكل يسأله عن اسم كل من مر به ونسبه فبينما نحن

كذلك

كذلك اذ مرت بنا جارية ما رأيت لها شبها فى يدها مبخرة تبخر بها فقال لها المتوكل تعالى يا جارية فأقبلت بحسن أدب وكمال حسن فقال للقس من هذه قال ابنتى قال وما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين استقنى ماء فقالت ماءنا ههنا من الغدران ولست استنظف لك آنية الرهبان ولو كانت روحى ترويك لجدت لك بها ثم جاءت بكوز من فضة فيه ماء فأومت الى أن أشربه فشربته فازداد عجبه بها وقال لها يا شعانين ان أنا هويتك تساعدينى فتنفست الصعداء وقالت يا مولاى أما الآن فأنا أمتك وأما كونى عرفت صدق محبتك وتمكنها من قلبك فلا فما أخوفنى من حدوث الطغيان عند تملك السلطان أما سمعت قول الشاعر

كنت لى فى أوائل الامر عبدا * ثم لما ملكت صرت عدوا
أين ذاك السرور عند التلاقى * صار منى تجنبا ونبوا

فطرب المتوكل حتى كاد يشق ثوبه وقال لها هبى لى نفسك أشرب أنا وأنت اليوم فقالت على الرحب والسعة ثم أصعدتنا الى علية مشرفة على تلك الكنائس فرأينا منظرا عجيبا ثم جاءت بادام حسن ورقاق وكان المتوكل عاف ما جاءت به واستأذنها فى احضار طعام فأذنت فأتى بخرفان مشوية وأشياء غريبة الانواع فاستظرفت ما جيء به واستهولت الآلة وقطنت لامر المتوكل وقامت بين يديه وهمت بالسجود له فمنعها ثم جاء القس من بيت الرهبان بشراب ذكر المتوكل انه لم يشرب مثله قط فشرب وشربت معه ثم استعفيته من أجل حمى لحقتنى فأعفانى وشربها بحديثها فلما أخذ منه الشراب قالت يا سيدى أغنيك عن ضعف الصنعة فقال ان فعلت كمل والله ظرفك فأتت بشئ يشبه العود فاندفعت تغنى بهذه الابيات

يا خاطبا من المودة مرحبا * نفسى فداءك لا عدمتك خاطبا
أنا عبدة لهواك فاشرب واسقنى * واعدل بكأسك عن جليسك ان أبى
قد والذى رفع السماء ملكتنى * وتركت قلبى فى هواك معذبا

فصاح المتوكل وقال أميت أنت وذلك لانى كنت أخطأت فى ترك مساعدته فأخذت رطلا وشربته حتى لحقته ومضى لنا من الايام الافراد ثم أرغبها المتوكل واستسلمها وتزوجها ولم تزل عنده حظية الى أن قتل فى داره * كتب بعض المجان

الى صاحب له يستهديه جارية حفظك الله وحفظ النعمة عليك ان بين كل أمر يطلبه الرجل وبين المطلوب منه ذريعة يتوسل بها الى معروفه ولى بالرجاء فيك درجة توجب قضاء الحقوق وحاجتى أبقاك الله ظريفة من الجوارى لم تتداولها أيدى التجار ولم تمتهنها خدمة الموالى ولى فيها شريطة أعرضها عليك وأذكرها لديك لترى رأيك فيها انه كان يقال اذا اتخذت جارية فاستحد شعرها فان الشعر أحد الوجهين وتكون رابعة البياض تامة القوام فانه يقال ان البياض والطول نصف الحسن كله وتكون مليحة المضحك فانه أول ما يستجاب من المرأة به المودّة ومتقاربة الخطوة وتكون جيداء العنق غيداء اللبب كحلاء العين لها طرف أدعج وحاجب أزج موردة الخدين سهلتهما واضحة الجبين قتوب الانف حمراء الشفتين مفلجة الثنايا نقية الثغر مشرقة النحر ولست أكره الانكسار فى الثديين لانه لا لذة للنهود عندى الا لذة النظر وهى أيضا تحول بين المعانق وبين ارادته وان قال الشاعر

حال الوشاح على قضيب زانه * ورمان صدر ليس يعطف ناهد

واكره العجيزة الضخماء ولا أحب الرشحاء أريدها وسطا لان خير الامور أوساطها وتكون سبطة البنان فتلى الساعد ممتلئة الذراع فخمة العضد قبياء البطن نحيفة الخصر يطويها الضجيع طى الجمالة عبلة الفخذين بردية الساقين لطيفة القدمين ولولا افراط الغيرة لذكرت ما أحبه مما هو مستور الا عند الحاجة اليه وأريدها رخيمة الصوت شهية النغمة عذبة الالفاظ بها غنة الحداثة وبحة الاحتلام أشجى خلقا من الفريض وأنعم كلاما فى الآذان من مخارق وأثبت حجة من أبى الهذيل العلاف وأبين معنى من النظام ظريفة المجون حسنة الوقار ان أردتها دنت وان كرهتها نأت أطوع من الرداء وأذل من الحذاء وقدرك أيدك الله يحمل اقتراحى عليك وشكرى لك يستوجب ما سألته منك وأنا بالاسعاف جدير وأنت بالافضال قدير * فأجابه سألت أعزك الله عن هذه الصفة وطلبت هذا النعت فأعيني فى الدنيا وما أراني أجدها الا فى الآخرة وقد بعثت لك بالف دينار لتلتمسها أنت وتسأل اخوانك معاونتك على ذلك فمتى وجدتها أو وجدها لك أحد دفعت اليه الدنانير رهين الدلالة وعرفنى بمقدار الثمن لانفذه اليك

ان

ان شاء الله تعالى

(الباب الخامس والعشرون فى الباءه)

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسن على بن أبى الحزم القرشى المتطبب المعروف بابن النفيس تغمده الله بالرحمة فى كتابه المعروف بالموجز فى الجملة الثانية من الكتاب المذكور فى قواعد الجزء العملى من الطب فى تدبير الجماع قال رحمه الله وسامحه الجماع أفضله ما وقع بعد الهضم وعند اعتدال البدن فى حره وبرده ويبوسته ورطوبته وخلائه وامتلائه فان وقع خطأ فضرره عند امتلاء البدن وحرارته ورطوبته أسهل من خلائه وبرده ويبوسته وانما ينبغى أن يجامع اذا قويت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف ولا فكرة فى مستحسن ولا نظر اليه وانما هاجته كثرة المنى وشدة الشبق وان تحصل عقيبه الخفة والنوم والجماع المعتدل ينعش الحرارة الغريزية ويهيئ البدن للاغتذاء ويفرح ويحطم الغضب ويزيل الفكر الردىء والوسواس السوداوى وينفع أكثر الامراض السوداوية والبلغمية وربما وقع تارك الجماع فى أمراض مثل الذوار وظلمة البصر وثقل البدن وورم الخصية أو الحالب فاذا عاد اليه برئ بسرعة والافراط فى الجماع يسقط القوة ويضر العصب ويوقع فى الرعشة والفالج والتشنج ويضعف البصر جدا وجماع الغلمان أقل استفراغا للمنى فيكون اضعافه وضرره أقل لكن يحوج الى حركات متعبة لكونه استفراغا غير طبيعى وليجتنب جماع العجوز والصغيرة جدا والحائض والتى لم تجامع من مدة طويلة والمريضة وقبيحة المنظر والبكر فكل ذلك يضعف بالخاصية وجماع المحبوب يسر ويقل اضعافه مع كثرة استفراغه المنى وأردء أشكال الجماع أن تعلو المرأة الرجل مستلقيا لتعسر خروج المنى وربما بقى فى الذكر بقية فيتعفن بل ربما سال من الفرج رطوبات الى الذكر وأفضل أشكاله ان يعلو الرجل المرأة رافعا فخذيها بعد الملاعبة التامة ودغدغة الثدى والحالب ثم حك الفرج بالذكر فاذا تغيرت هيئة عينيها وعظم نفسها وطلبت التزام الرجل أو ج الذكر وصب المنى ليتعاضد المنيان وذلك هو الجبل ومما يعين على الجماع رؤية المجامعة والنظر الى تساقد الحيوانات وقراءة

الكتب المصنفة فى الباءة وحكايات الاقوية من المجامعين واستماع الرقيق من أصوات النساء وحلق العانة يهيج الشهوة وطالة العهد بترك الباءة ينسيه النفس والاستمناء باليد يوجب الغم ويسقط الشهوة والانتشار انتهى كلام ابن النفيس * وسئل ابقراط كم ينبغى للانسان أن يجامع فقال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هى روحه متى شاء أخرجها

(فصل) ولما كان جمال المرأة وحسن تناسب أعضائها هو الداعى الرجل الى وطئها وأجلب لشهوته عند النظر اليه والمدلحواسه فى حال مصاحبتها فلا بأس بايراد نبذة من ذلك أجمع أهل المعرفة ان الذى يحمد فى المرأة من السواد أربعة اشياء الشعر والحاجبان والحدقة والاهداب ومن البياض أربعة أشياء بياض لونها وبياض بياض عينيها وبياض أسنانها وبياض فرقها ومن الحمرة أربعة أشياء حمرة اللسان وحمرة الوجنات وحمرة الشفتين وحمرة الاليتين ومن الغلظ أربعة أشياء العضدان والساقان والشفران والذوائب ومن الرقة أربعة أشياء العظام والانف والخصر وأطراف الانامل ومن الطول أربعة أشياء الشعر والعنق والقامة والحاجب ومن التدملج أربعة أشياء الرأس والعنق والساعدان والساقان ومن العراض أربعة أشياء الجبهة والعينان والصدر والالية ومن الصغر أربعة أشياء الفم والكفان والقدمان والاذنان ومن الضيق أربعة أشياء المنخران ثقب الاذان السرة الموطأ ومن الصلابة أربعة أشياء الثديان الاليتان القبل عضلة الساق ومن الملس أربعة أشياء ظهر الكفين الترقوة الاصابع العنق ومن النشافة أربعة أشياء العينان المنخران الفم الفرج ومن الصفاء أربعة أشياء الحدقتان البشرة الاسنان الاظفار ومن الكبر أربعة أشياء الكتفان الركبتان الفخذان الموطأ ومن الاشياء البارزة أربعة أشياء الارداف الموطأ الكاهل ومن الحلاوة أربعة أشياء الوجه والريق والعينان والنغمة ومن اللين أربعة أشياء اللحظ النفس الكلام البشرة ومن الحسن أربعة أشياء الخلق والخلق والادب والطاعة ومن الملاحة أربعة أشياء الضحك والنغمة والنوم

والمشية

والمشية ومن النظافة أربعة أشياء الوجه والفرج والابطان والاطراف ومن الاشياء الشهية أربعة الملامسة المحادثة المعانقة المعاتبة ومن الاشياء الخافية أربعة الكعبان الزندان المرفقان الترقوة ومن الصدق أربعة أشياء المودة والحياء والعفة والامانة ومن المخونة أربعة أشياء الموطأ الكفان المجلس باطن القدم ومن الطيب أربعة أشياء النفس النكهة الابطان الفرج تمت الاربعات *ومن الاشياء المهيجة للباءة التقبيل قال الاصمعي كل جماع لا قبل فيه فهو خداج يعني ناقصا وقال الجاحظ أربعة أشياء ممسوخة البركة أكل الارز البارد والبوس على النقاب والغناء من وراء الستارة والجماع في الماء قالوا وأحسن الشفاه وأشدها تهييجا وأوفق مارق الاعلامنها وأحمرت ونظفت وحرفت وكان في الاسفل منها بعض الغلظ واذا عض عليها أخضرت فان القبلة لهذه الشفة احلا وأعذب وقالوا ان الذ القبل قبلة ينال فيها لسان الرجل فم المرأة ولسان المرأة فم الرجل وذلك انه اذا كانت الجارية نقية الفم طيبة النكهة فانها تدخل لسانها في فم الرجل ادخالا يصيب ريقها وحرارة لسانها لسان الرجل فيحدر ذلك الريق وتلك الحرارة والتسخين الى ذكر الرجل وفرج المرأة فيثير ذلك شبقهما وغلمهما ويقوى شهوتهما فيزدادلونهما صفاء وحسنا وما أحسن قول ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وتلطف بن وكيع في قوله

ظفرت بقبلة منه اختلاسا * وكنت من الرقيب على حذار
ألذ من الصبوح على غمام * ومن برد النسيم على خمار

وأما كلام المجامع عند الباءة فانه من كمال المسرة وتمام اللذة لان كل حاسة من حواس الفاعل تكون مشغولة بلذة ما فالعين بلذة النظر والفم بلذة الرشف والانف بلذة الطيب والذكر بلذة الجماع فيحتاج أن تكون الاذن ممتعة بلفظ المحبوب لاسيما ان كان ذلك الكلام مما يجلب الشهوة فتتكامل اللذة فان الملتذير يد أن يجد اللذات المتفرقة في شخص واحد ليتم باجتماعها صورة

واحدة شريفة قال الشاعر

وفى أربع منى خلت منك أربعا * فما أنا أدرى أيها هيج لى كربى
أوجهك فى عينى أم الريق فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان بالهند امرأة تعرف بالالفية وذلك انه كان قد وطئها ألف رجل وكانت أعلم زمانها بأحوال الباءة وان جماعة من النساء اجتمعوا اليها فقالوا أيتها الاخت أخبرينا ما نحتاج اليه ونستعمله وما الذى يثبت محبتنا فى قلوب الرجال وما الذى يتلذذون به ويكرهون من اخلاقنا وما ينبغى أن يعمل معهم ليستجلب به محبتهم قالت نعم أول كل شئ أقوله لكم انه ينبغى أن لا يقع له نظر الا على زينة قالوا وما الذى يجب على الرجل أن يتقرب به الى قلب المرأة قالت الملاعبة قبل الجماع والهزء بعد الفراغ قلن فما الذى يكون سبب محبتهم لبعضهم بعض واتفاقهم قالت الاتزالين فى وقت واحد قلن فما الذى يفيد مودتهما وصحبتهما قالت أنى يكون غير ما ذكرت لكم ثم سألوها عن أصناف الجماع فذكرت لهن ذلك أضربت عن ذكرها لكثرة أقسامها ومن أراد ذلك فليطالع الكتب المؤلفة فيها فانها مشحونة بها * واما ميلهن الى النكاح وشدة شبقهن فمنه ما حكى انه كانت امرأة لها يسار وحال فخطبها رجل له يسار وحال وثروة فلم تفعل فقالت لها أمها يا بنية لم لا تتزوجين بهذا الرجل فانك لا تجدى مثله فقالت لا أريده لانى سمعت ان فى وسطه ايرا عظيما مثل الوتد ولا طاقة لى به قال فتشفع الرجل الى أمها وسألها أن تشفع فقالت له قد ذكرت لها أمرك فقالت انها لا تطيق ايرك فقال زوجينى بها واشرطى لها على شرطا انى لا أدخل منه شيأ الا بأمرها ويكون فى يدك تدخلى منه الذى تشتهين وتتركى الذى لا تريدينه فقالت لابنتها ذلك فقالت رضيت بهذا الشرط فلما كان ليلة العرس قالت له أمها أنت على الشرط قال نعم فلما خلا بها قال لها تقدمى وامسكيه بيدك وأدخلى منه ما تريد ابنتك فأخذته بيدها وأدخلت منه مقدار عقدة وقالت يكفيك هذا قالت زيدى يا أماه عافاك الله فزادتها فلم تزل كذلك الى أن لم يبق منه شئ فقالت أزيدك يا بنية فقالت أى والله يا أمى قالت يا بنية فأنت قلت لا طاقة لك به فوالله ما بقى معى منه شئ فقالت البنت أسخن الله عينيك والله لقد كان أبى يقول انك أى شئ وضعت يدك عليه طارت البركة منه

وانا

وأنا الأعلم وقد علمت الآن (صفة شربة) نافعة للهوى وعليل النوى بسم الله اللطيف الحكيم يؤخذ على بركة الله ولطفه * ثلاثة مثاقيل من صافى وصال الحبيب * منقاة من عيدان الجفا وخوف الرقيب * وثلاث مثاقيل من بزر الاجتماع * منخولة من غلت الهجران والانقطاع * وأوقيتين من خالص الود والكتمان * منزوعة من عيدان الصد والهجران * ويؤخذ من عطر البخور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان * ويؤخذ مائة بوسة رمانيه محكوكة مرضوضه منها خمسون صغار سكريه * وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيريه ويؤخذ غنج حلبى وشخير عراقى من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الوجنتين * ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصريه * ويضاف اليها قرص الاعكان المطويه ويغلى بماء المحبة على شراب الشوق وخطب الطرب فى مرحل البجلة ويصفى الجميع على دبيق سلطانى ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق من ثغور الاحباب ويكون الغذاء مزورة بقطين الاشتياق ويضاف اليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة أرطال من المدام ثلاثة أيام ويتبعه برطلين من شمل الساقين ويدخل الحمام نافع مجرب والسلام * بعث بعض الظرفاء الى محبوبة له مروحة وبأوقة زهر وسكر نبات وشرابه وعود ففهمت مراده وبعثت اليه خيطا أحمر وقطعة من صباره وثلاث كمونات سود وغاسول وزر ففهم مقصودها وصبر والمراد من فعله أنه أراد بالمروحه نروح وبالزهر البستان وبالسكر النبات نبات وبالشرابة نشرب وبالعود نسمع الغناء ومقصودها انها عرضت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة اصبر وبالثلاث الكمونات ثلاث ليال والغاسول أغتسل وأزورك * وأهدت بعض القينات الى الملك العزيز بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى بعض الايام كرة من العنبر فكسرها فاذا فى وسطها زر ذهب وكانا يكتمان أمرهما خوفا من السلطان فلم يفهم معنى ذلك فارسل الى القاضى الفاضل يسأله عن ذلك فقال ارتجالا

أهدت لك العنبر فى وسطه * زر من التبر دقيق اللحام
فالزر فى العنبر معناهما * زر هكذا مستتر فى الظلام

(كتبت) بعضهن على عصابتها أصعد وتمكن على بطن معكن
(وكتبت) أم القاسم بنت بابل العطار وكانت من كبار المساحقات على خاتمها
مل من الباطل فرجع الى الحق وأين هذا من قول بعضهن وقد قيل لها أرجعي
الى الحق فقالت الحق بعض مرادى وهذا من الاجوبة اللطيفة وما أحقها بقول
القائل شعرا

مغرمة بالسحاق أضحت * تبكى عليه بكل عين
ما اتقنت من الهيول الا * تصنيف اسحق فى حسينى

(وحكى) ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما يتساحقان فجذب التى هى
فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال (وقال) آخر

جرح يريد القتيله * ايش تنفعه الزقاق

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

قولوا لمن تهوى السحاق الذى * حرمه الله ففيه خير
أخطأت يا كاملة الحسن اذ * أتيت اسحق مقام الزبير

يحكى ان جده بنت زياد المؤدب ذكرها المؤرخ الترجال نور الدين بن سعيد فى
كتابه المغرب وقال وهى من خنساء المغرب من نظمها وقد خرجت الى وادى
مدينة وادبا القرب مع جوار لها فسبحت معهن وكان لها فيهن هوى

أباح الدمع اسرارى بواد * له فى الحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يطوف بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة أنس * لها لبى وقد سلبت فؤادى
لها لحظ ترقده لامر وذا * ك الامر يمنعنى رقادى
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقالت ماجنة لمسحاقة مافى الدنيا أطيب من الموز قالت نعم الا انه ينفخ
البطن وقالت ماجنة لمسحاقة أين أنت عن الاصلع الاقرع الاحدب
المربوق الذى كأنه بوق العظيم الحوق الكثير العروق الذى يخرق
الخروق ويسد الشوق ويفتق الفتوق ويرفو الشقوق ويقضى
الحقوق ويأخذ بالخلوق الاجرد الاربد الذى كأنه الوتد أو رقبة

الاسد

الاسد الاحمر الاشقر المجر الذى رأسه كالحور وأصله كالانحر وفيه عرق أخضر كأنه عرق لحم البقر فى رأسه كماه ووسطه قناه وفى أسفله مخلاه ولحيته فى قفاه يراك من حيث لا تراه لو نطح الفيل كوره أو دخل البحر ثوره كأنه غصن بان أو سيف يمان أو صقلانى عريان أو زنجى غضبان بل كأنه شيطان أو راهب بحران أو هامة هامان أو عنتر فى الحرب أو حارس فى درب أو رأس جمل أو ركبة جمل أو كوكب الذنب أو وطن قصب أو ذنب التنين أو شوبك القيارين ينطح بغير قرنين ويمشى بغير رجلين ويبصر بغير عينين يدخل فى الظلمات وهو أحد البليات فى عنقه طوق من أسفل الى فوق اذا ارتفع النهار يكون كالجلنار أتيه من ملك القندهار مدمج كالطومار يغوص فى البحار ويثقب الابكار ويدخل فى الاحجار اذا جنه الليل أطال القيام والناس ينام (فقالت) المساحقة أما علمت ان اللطف والنظافه والظرف واللياقه والتساحى والبراعه فى السحق الذى هو سبعون ومائة واحدة منها العقبى والاستكلاب والطنبلب والملح والمعوج والمقرطح والدارتردار والطاق برطاق والمخالف والمؤالف والشراعى وقبضه وبسطه وعقبه وضغطه والغطيط والصفدعى والتفن والرهز وغيره هذه * وأما أنتم فكل شئ لكم النوم على القفا والادخال فى الاست فاذا جهدتم جهدكم كان لون آخر وهو القيام على أربع ويسمونه الجمارى وتفتخرون به وأين هذا من أخذه سوقا وعمل وسؤال وعلل ورقدة وخلوه وحديث هندوالزرقا ودعنا نبوران وقد بلغنا ان رجلا قبض على امرأة فى خزانة الشراب ورفع رجليها ليضعه بين شفريها فغلط وأدخله فى أستها فتسمت ورفسته فانصدع من حلقه ست وثلاثون خابية خمر ونحن فتجتمع منا الغانية الشكل البيضاء القمحيه الشطبة الرطبه الغضة البضه التى كأنها ريحان أو قضيب خيزران بثغر كاللؤلؤ وذوائب كالارسان وخدود كشقائق النعمان أو تفاح لبنان وثدى كالرمان وبطن بأربعة أعكان وحر كأنه قبة الدار أربع فى ثمان أو قرنبة عليها شونير أو أرنب حائم أو بطة سكاريه بشفرين أغلظ من شفة البقره كأنهما سنام نافر فى لون العاج ولين الديباج وبياض الفنك ودهنية الودك كأنه الركوة

المنفوخه منتوف محلوق مضمخ بالمسك والخلوق كأنه كسرى أنوشروان
فى صدر الايوان متهلل خذلان فرح مرح ومعه من الملاحات مايخرج عن
حد الصفات من الاصابع المطرفه والاصداغ المزرفه والحواجب المزججه
والخدود المذهبه والشعور المرجله والنحور المزينة بالمراسل من الدر
والياقوت والمرجان فى الغلائل المعسكة المبخرة بالعود الهندى المجعون بالعنبر
مع أخرى تتهادى كالفجر بل كالشمس والقمر فى منازل السعود على الفرش
الديبقيه والاردية القصبيه ومطارف الخز المضربات من رقيق القز
المحشوة فوق الاسرة من الابنوس والعاج ومخاد الديباج المحشوفيها زغب
الريش المحفوفه باللحاف السليمانيه والدسبونات السوسيه وبرانى النرجس
مع أترج السوسن وتفاح أصبهان والسفرجل والرمان وأطباق الرياحين
المشمومه بين تلك الافاويه المقمعة بالعنبر والوصائف الفارغات عليهن
العقيان يتضوع من قراطقهن العنبر فيخلو معها بتلك المعاتبات الشجيه
والنغم العذبه والاشارات اللطيفه والغمز بتلك الحواجب والجفون الساحره
السالبة لالباب ذوى العقول والآداب بالالفاظ الرقيقة المحركة للسواكن
المسكنة للحركات بالغنج والشكل والبراعه واللمس الذى تضرب له العروق
الهاديه وتهدأله العروق الضاريه فاذا صافحت الخدود الخدود وانحدرت
الدموع فيما بينهما برقة الشكوى ولطافة النجوى كالطل على ورق الورد
وتطابقت الصدور على الصدور وانضمت النحور الى النحور واصطكت الثغور
بالثغور والتفت الساقان المدملجة بأخواتهما وتراكب الشفران على الشفرين
واختلج كل جانب منهما على الآخر لم يقع أبقراط ولا جالينوس على بنصته ولا
اركاعانيس على مجسه ولا افلاطون وارسطاطاليس على حسنه ولا بطلميوس
على حسابه ولا قس بن ساعدة على شرحه وبيانه ولا ابراهيم النظام على
برهانه ولا النعمان على قياسه ولا منصور بن عمار على صفاته حتى اذا علت
الانفاس واستغرقت الحواس وارتفعت الحرارة العزيزية الى الرأس
وبطل فيما بينهما كل قياس نظرت الى الحركات الحسيه والضمائر الوهميه
والطبائع الغريزيه والالحاظ العشقيه وقد ضبط كل عضو اقليمه
واستكمل فيما هو فيه نعيمه بين مص وقرص ومقابلة ومخايله ومخالبة
ومناهبه

ومناهبه ومواثبة ومسالبه ورهز وغمز وشهيق ونهيق وتخير وتعير
لوسمعه أهل الثغور لصاحوا النفير مع رفع ووضع وجذب ودفع وضم
وشم والتزام وقبل وعمل أحسن من كل عمل كل ذلك بأنين وحنين وأدب
وأرب حتى اذا حان الفراغ ووصلت اللذة الى بطون الدماغ شممت روايح
الروايح من حانة خمار ونظرت الى اهتزاز غصن البان فى حلى الازهار فلو
ابصر الفطناء ماهما فيه لحاروا ولو سمع بها الركبان لساروا فيالها من لذة
كاملة ونعمة شاملة (قلت) وأنشدنى الشيخ شمس الدين الرئيس من لفظه
لنفسه شعرا

عشاقة النسوان مذلتها * قالت دع اللوم وان فى المقال
ما فى سويداء القلب الا النسا * ما حيلتى ما فى السويداء رجال

(ونقلت) من الاحاطة بتاريخ غرناطة تأليف الامام العلامة ذى الوزارتين
لسان الدين محمد بن الخطيب تغمده الله بالرحمة قال المصنف المذكور كتب
الى سيدنا ومولانا قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى
صبيحة الانبياء بجارية تدعى هند

أوصيك بالشيخ أبى بكره * لاتأمنن فى حالة مكره
واجتنب الشل اذا جئته * جنبك الرحمن ماتكره

سيدى لازالت تنصف بالوالج بين الخلاخل والدمالج وتركض فوق هار كض
الهمالج أخبرنى كيف كانت الحال وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال
وأحكم بمردود المراودة الاكتحال واكتحل بالسقيا الامحال وصح الانتحال
وحصحص الحق وذهب المحال وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند
منك الى بشر فلله من عشيقة تمتعت من الربيع بفرش موشيه وابتذل منها
أى وساد وحشيه وقد أقبل ظبى الكناس من الدعاس ومطوق الحمام من
الحمام وقد حسنت الوجه الجميل النظر به وأزيلت عن الفرع الاثيث
الابريه وصقلت الخدود فكأنها الامريه وتسلط الدلك على الجلود وأعزبت
النورة بالشعر المولود وعادت الاعضاء تنزل عنها اللمس ولاينالها البنان الخمس
والمحلة يجول فى صفحتها الفضية ماء النعيم والمسؤل يبنى من بينه الشعيم
والقلب يرمى من الكف للرقيم بالمعقد المقيم وينظر الى نجوم الوسوم فيقول

انى سقيم وقد تفتح ورد الخضر وحكم لزنجى الضفيرة بالظفر واتصف أمير الحسن بالصدود المغتفر ورش بماء الطيب ثم أعلق بلله بالعود الرطيب وأقبلت الغاده تهديها الثمن وتزفها السعادة فهى تمشى على استحيا وقد ذاع طيب الرباوراق حسن المحيا حتى اذا نزع الخف وأقبلت الاكف وصحب المزمار وأجاب الدف وداع الازج وتخوّر اللوى والمنعرج ونزل على بشر بزيارة هند الفرج اهتزت الارض وربت وغوصبت الطباع البشرية فأبت ولله در القائل

ومرت وقالت متى نلتقى * فهش اشتياقا اليها الخبيث
وكاد يمزق سربالة * فقلت اليك يساق الحديث

فلما انسدل الظلام وانتصفت من عريم العشاء الآخرة فريضة الاسلام وخاطت خيوط المنام عيون الانام تأتى دنوا لجلسه ومسارقة الخلسه ثم آن عض النهد وقبلة الفم والخد وارسال من الخدالى الوهد وكانت الاماله القليلة قبل المد ثم الافاضة فيما يعيط ويرعب ثم الاماطة لما يشوش ويشغب ثم اعمال المسير الى السرير وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضيت فذلت صعبة أى اذلال هذا بعد منازعة الاطواق بسره تراها العيد من حسن المسره ثم شرع فى حل التكه ونزع السكه وتهيئت الارض الغرار عمل السكه ثم كان الراى الاستجمال وحمى الوطيس وضاق المجال وعلا الحرة الخفيف وتصافرت الخصور الهيف وتساطر الطبع العفيف وتواتر التقبيل وكان الاخذ الوبيل وامتار الانول من النيل ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل فيالها من نعمة متداركه ونفوس على سبيل القحة متهالكه ونفس تقطيع حروف الحلق وسبحان الذى يزيد فى الخلق وعظمت الممانعه وكثرت باليد المصانعه وطال النزاوع وشكى التجاوز وهناك تختلف الاحوال وتعظم الاهوال وتخسر وترجح الاموال فتى عصى ينقلب ثعبانا مبينا ونونه تصير سينا وبطل لم يهله المعترك الهائل والوهم الزائل ولا حال بينه وبين قربه الحائل فتعدى فتكة السليك الى فتكة البراض وتقلد مذهب الاراقة من الخوارج فى الاعتراض ثم شق الصف وقد خضب الكف بعد ان كان يصيب البراء بطعنته وسبق بمقت الله وبعنايته طعنة ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نقد

لولا

لولا الشعاع أضاءها وهناك هذا القتال وسكن الجبال ووقع التوقع فاستراح البال وتشوق الى مذهب التنويه من لم يكن للتوحيد بمثال وجعل الجريح يقول وقد نظر الى دمه يسيل على قدمه انى له عن دمى المسفوك معتذرا وقول حملته فى سفكه تعبا ومن سبات عاد عيانا وشجاع صار جبانا كلما شابته شائبة ريبه أدخل يده فى جيبه فالحجرة الحيه وماتت الغريزة الجبه وتقلب الخضر وخف اللغاب وتظاهر اللعاب ويخفق الفؤاد ويكبو الجواد ويسيل العرق ويشتد الكرب والارق ولبس فى محل الامن الغرق ويدرك فرعون الغرق ولا يزيد الحال الاشده ولا يعرف تلك الجارحة المؤمنة الارده

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللبث وهو من الخبث يؤمل الكره ليزيل المعره ويستنصر الجبال ويعمل باليد الاحتبال شعر

انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

فقال سيحدث الله بعد عسر يسرا وبعد عمى ثباتا اللهم انا نعوذ من فضايح الفروج اذا استغلقت أقفالها ولم تتمم بالنجيع أعقالها ومن معرات الاقدار والنكول عن الابكار ومن النزول عن البطون والسرر والجوارح الحسنة الغرر قبل تثقب الدرر ولا تجعلنا ممن يستحى من البكر بالغداه وتعلم منه كلال الاذاه وهو محل فضحت فيه رجال وفراش سكنت فيه أوجال وأعملت رويه وارتجال فمن قائل

ارفعه طورا على أصبعى * ورأسه مضطرب أسفله
كالحنش المقتول يلقى على * عود لكى يطرح فى مزبله

أو قائل

عدمت من ابرى قوة حسه * يا حسرة المرء على نفسه
تراه قد مال على أصله * كحائط مر على أسه

وذكر أبيا تا مستكثرة من هذا النمط أضربت عن ذكرها هموم لا تزال تبكى وعلل على الدهر تشكى وأحاديث تقص وتحكى قال كنت أعزك الله من النمط الاول ولم يقل وهل عند رسم دارس من معول فقد جئت واستطبت السمر فاستدعى الابواق من أقصى المدينه واخرج على قومك فى ثياب الزينه

واستبشر بالوفود وعرف مسمعه المسمع حارفة الجود ونجح بصلاته العود وانجاز الوعود واجن رمان النهود من أغصان القدود واقطف بنان اللثم اقاح الثغور وورد الخدود وان كانت الاخرى فاخف الكمد وارض الثمد وانتظر الامد واكتد التوسم واستعمل التبسم واستكتم النسوه واقص فيهن الرشوه وتقلد المغالطة وارتكب وجئ على قميصك بدم كذب واستنجد الرحمن واستعن على أمرك بالكتمان لا تظهر لعاذل أو غادر التبيان واستنشق الارج وارتقب الفرج فكم غمام طبق وماهما ومارميت ولكن الله رمى واملك بعدها عنان نفسك حتى تمكنك الفرصه وترفع اليك القصه ولا بشرى الى عمل لا يفى منه بتمام وخذ عن امام ولله در عروة ابن حزام

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا مهرى بأشقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل دونهم * اقبل ولا يضر عدوى مشهد
ففررت منهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

واللبانات تلين وتجمح والمآرب تدنو وتبرح وتحزن ثم تسمح وكم من شجاع حام ويقظ نام ودليل أخطأ الطريق وأظل الفريق والله عز وجل يجعلها خلة موصوله وشهلا أكافه بالخير مشموله وبينت أركانها لو كانت اليمن مأموله حتى يكثر خدم سيدى وجواريه واسرته وسراريه وتصفو عليه نعمة باريه ما طورد قيص واقتحم عيص وادرك مدام غويص واعطى زاهد وحرم جريص بمنه وكرمه

(فصل) فى بعض ما كتبته المتظرفات * كتبت طرفة جارية النطاف على عصابتها بالذهب ليس فى الحب مشوره * وكتبت توفيق جارية ابن حمدان على برقعها كمال المكارم اجتناب المحارم * وكتبت سلامة حظية عبد الله بن طاهر ليس على القلب حكم * وكتبت عنان جارية الناطقى على عصابتها باللؤلؤ اذا لم تستحى فاصنع ما شئت * وكتبت فرحة جارية على بن الجهم على عصابتها بالريش من صبر ظفر * وكتبت مشتهى جارية القاسم البجلى على معجرتها من واصله الحبيب هان عليه الرقيب * وكتبت نزهة جارية الخصاص على عصابتها من جاد ساد ومن بخل ذل ونقشت على فص خاتمها من حن أن * وكتبت كنوز جارية ابراهيم

ابن

ابن اسحق على جبينها بالمسك العشق والكتمان ضدان لا يجتمعان * وكتبت نسيم جارية جميلة المدنية على جبينها بالغالية مراغمة الرقباء في مصالحة الاحباء * وكتبت خلف جارية ابن حمدان على طرازها من عشق ولم يصبر هلك ولم يعلم * وكتبت المستحسنة جارية اللاحقي على طرازها الايمن بالذهب من داري خليله داوى عليله وعلى الايسر من كشف الغطاء استحق العطاء * وكتبت وشاح المؤيدية على طراز معجرها بالذهب الوفاء مليح والعذر قبيح قال علي بن الجهم كنت عند اسحق بن ابراهيم الموصلي فدخلت جاريته مهج الموصوفة بالجمال وقد كتبت على أحد خديها بالغاليه

من يكن صبا وفيا * فعنانى فى يديه

وعلى الآخر

خذ مليكى بعنانى * لا أمانعك عليه

وعن الجاحظ قال رأيت نشوان جارية زلزل قد كتبت على عصابتها

ان للنرجس حسنا وعيونا أشتهيها
فأراها فترينى * عين من أهواه فيها

وكتبت ترشف جارية هرون بن اسحق على عصابتها

أليس عجبا ان بيتا يضمنى * واياك لا تخلو ولا تتحدث

وكتبت جارية المتوكل زاجر على عصابتها

اذا خفنا من الرقباء يوما * تكلمت العيون عن القلوب
وفى غمز الحواجب مغنيات * لحاجات المحب الى الحبيب

وكتبت نظيفة جارية يحيى بن خالد بن برمك على طوق لها

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فى النار من فى عمره لم يعشق
والحب فيه حلوة ومرارة * فأسأل بذلك من تطعم أوذق

وكتبت هاجر جارية محمد بن على على خمارها

اذا نظرت نحوى تكلم طرفها * فجاوبها طرفى ونحن سكوت
فكم نظرة منها تقرب بى الرجا * وأخرى لها حتى تكاد تموت

وكتبت حسانة البدوية جارية المعتز على برقعها بالذهب

ألاحظها خوف المراقب لحظة * فأشكو لطرفى ما ألاقى من الوجد

فتفهم عن لحظي عظيم صبابتي * فتومي بطرف العين اني على ا
وكتبت ملاعب على جبينها بالمسك

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * فان كنت مظلوما فقل أناظ
فانك ان لم تحمل الذنب يافتى * يفارقك من تهوى وأنفك راغ

تم الجزء الاول من مطالع البدور في منازل السرور
ويليه الجزء الثاني أوله الباب السادس والعشرون
في الحمام وما غزي معناه

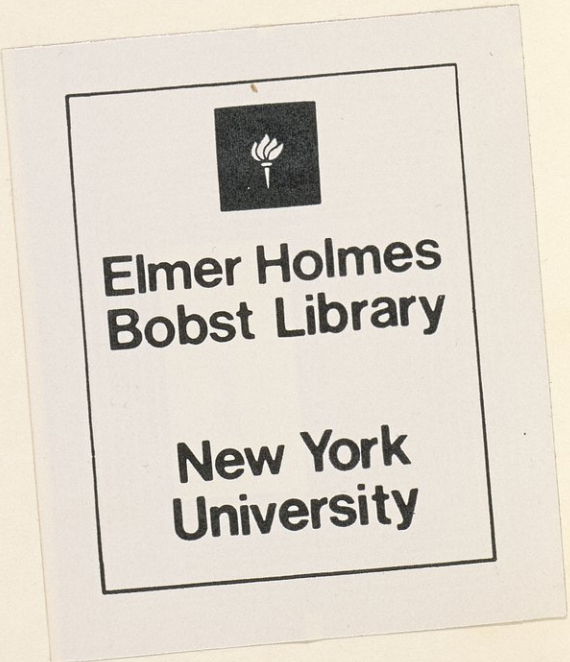
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

[illegible]imes
[illegible]obst Library

New York
University

PJ
7760
.G47
M3
1881
c.1